

المملكة العربية السعودية
وزارة المعارف
المكتبات المدرسية

الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا

Mn goal.com

الصيد عند العرب

أدواته وطرقه - حيوانه الصائد والمصيد

دار النفائس

توزيع
مكتبة
الكتاب
مؤسسة الرسالة

مكتبة
الكتاب

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

م ١٣٩٤ - هـ ١٩٧٤ م

الطبعة الثانية

م ١٣٩٨ - هـ ١٩٧٨ م

المقدّمة

ما كنت أحسب أنني سأكتب في يوم من الأيام في الصيد لبعده ما بيني وبين هذا الموضوع ؛ فما أنا بالصائد ولا أنا بالذي بينه وبين هذا الفنّ سببٌ أيّ سبب .

غير أنني حين ارتضيت أن أجعل مبحث « شعر الطرد » موضوعاً لرسالة « الدكتوراه » (١) التي تقدّمتُ بها لجامعة القاهرة قادمي البحث إلى كتابة فصل عن الصيد وأدواته وحيوانه الصائد والمصيد ، ذلك لأن شعر الطرد لا تفهم معانيه حقّ الفهم ولا تتضح صورته تمام الوضوح ما لم يقف دراسته على الصيد ووسائله ويلمّ بجوارحه وضواربه ، فهذا الشعر في جملة وصف للصيد في حالاته المختلفة ، وكيف يستطيع المرء أن يدرك الصفة وهو لا

(١) قامت مؤسسة الرسالة ودار النفائس في بيروت بنشر كتاب « شعر الطرد » المشار إليه .

يعرف الموصوف، ومن أين له أن يتذوق النعمت وهو خالي الذهن من المنعموت؟! وما إن شرّعت في إعداد هذا الفصل حتى وجدت في عالم الحيوان الصائد والمصيد من عجائب صنع الله وبدائع خلقه ما أغراني به إغراء لا طاقة لي بدفعه .

فكم أدهشني وأثار عجبني أن يستطيع الإنسان بما وهبه الله من ذكاء وحياسة تأنيس الفهد - مثلاً - وهو حيوان شرّس مفترس في مرتبة الأسد والنمر ، وأن يبلغ في تأنيسه حدّاً يُمكنه من أن يأمره فيأتمر ، ويزجره فيزدجر ، وأن يطلقه على الطريدة متى شاء فإذا ظفر بها أمسكها بكلتا يديه ولبث واقفاً في مكانه ؛ ليقدمها لصاحبه جية دون أن تحدّثه نفسه بأن يمسّها بكلمٍ ، أو ينال منها قطعة لحم ، مهما كان جائعاً .

بل إن الفهّا دين بلغ من ثقمتهم بتأنيس هذا الوحش الضاري ما جعلهم يُركبونه على الخيل ؛ فإذا لم يجدوا جواداً يخصونه به ؛ أركبوه خلفهم وجعلوه رديفاً لهم .

وليس هذا الذي ذكرته عن الفهد إلا صورةً واحدةً من صور كثيرة رائعة بارعة ؛ لذا عقدت العزم على أن أجعل من الصيد وأدواته وحيوانه الصائد والمصيد موضوعاً لكتابٍ مستقلٍّ في الصيد لشعوري بأن المكتبة العربية خالية من سفرٍ جامع لشتات هذا البحث مكتوب بلغة العصر يحقق أقرائه الفائدة والمتعة في وقتٍ معاً .

ثم حالت المشاغل دون تحقيق هذه الأمنية لكنها لم تقبل من صحة العزم على بلوغها ، حتى أذن الله ويسرّ فكان هذا الكتاب الذي آمل أن أسدّ به فراغاً في المكتبة العربية ظلّ زمناً طويلاً ينتظر من يسدّه .

فالكاتب التي ألفها الأقدمون في هذا الفن 'كتبت' بلغة غير لغة هذا العصر و'حشيت' بأشياء عفى عليها تقادم الزمن ، وشجّنت باستطرادات تذهب بوحدة الموضوع ، وتقضي على تسلسله .

ثم إن 'جل' هذه الكتب ما زال مخطوطاً راقداً في أقبية دور الكتب ومستودعاتها ينتظر اليد الحازمة العالمة لتوقظه من سباته وتبعثه حياً لينتفع به الناس .

وأما القليل الذي طبع من هذه الكتب ؛ فنه ما مضى على طباعته نحو قرن من الزمان ، مما جعل العثور على نسخة منه ضرباً من المحال (١) ، ومنه ما حشي بصنوف من التصحيف والخطأ المطبعي ؛ مما جعل الإفادة منه متمسرة إن لم تكن متعذرة (٢) .

ولم يكن إعجابي بالموضوع واستمتاعي به السبب الوحيد الذي دفعني إلى الكتابة فيه ، وإنما برزت إلى جانب ذلك أسباب أخرى تجعل للكتاب وظيفة لا يقوم بها غيره من الكتب :

فنحن - اليوم - أمة كثيرة الأعداء مهددة بالهجو والإفناء ، محتاجة - أكثر من أي وقت مضى - إلى تنشئة أجيالها على الفتوة ، وطبعمهم بشائيل البأس والقوة ، وتمويدهم على شطف الحياة وخشونة العيش ، وليس مثل الصيد وسيلة لذلك ؛ فهو ضرب من ضروب الفروسية ، ولون من ألوان الحرب يقوم على الكرم والفر و يكسب النصر فيه بالمطاولة والصبر .

وفي الكتاب إغراء للشباب بمزاولة الصيد ، ودعوة غير مباشرة للاستمتاع بلذاته والانتفاع بشمراته ، وفي طبيعتها تنشيط أجسامهم الذابلة وإيقاظ طاقاتهم المعطلة ونقلهم - بين الحين والآخر - من نتن المدن وعقنها وما

(١) المراد به كتاب « أنس الملا في وحش الفلا » لمحمد بن منكلى من أهل النصف الأول من القرن الثامن الهجري ، وهو مطبوع في باريس سنة ثمانين وثمانمائة وألف للميلاد .

(٢) المراد به « كتاب المصايد والمطارد » لكشاجم المطبوع في بغداد سنة أربع وخمسين وتسعمائة وألف للميلاد .

اكتظت به من فاسد المغريات إلى سجر البراري وطهر الفلوات وما حفلت به من بديع صنع الله وجليل آلائه .

هذا بالنسبة للذين لم يزاولوا الصيد ولم يتدوَّقوا مسراته .

أما البقية الباقية من أبناء أمتنا الذين ما فتئوا يمارسون هذه الهواية النبيلة؛ فكم سيُمتِعهم وينفعهم أن يجدوا في هذا الكتاب ما يفهمهم على طبائع جوارحهم وضواربهم ويعرفهم من شئونها المختلفة ما يجهلون ، فيداووها بأنفسهم إذا مرضت ، ويعالجوها بثقافتهم إذا كُتت أو تعبت ، ويسلكوا في سياستها سبلا علمية قويمية هي ثمرة تجارب الأقدمين وإرث الأولين للآخرين .

على أن الانتفاع بهذا الكتاب لا يقتصر على هؤلاء وهؤلاء وإنما يمتد إلى فئة ثالثة تتمثل في قراء الشعر العربي القديم ودارسيه ؛ ذلك لأن فقرة الصيد عنصرٌ أصيل من عناصر القصيدة الجاهلية مهما كان غرضها ، وهي فقرة قد تطول حتى تبلغ ثلث القصيدة أو نحواً من ذلك ، وفهم هذه الفقرة وتدوُّقها لا يمتان إلا لمن ألمَّ بالصيد وأدواته وحيواناته ، ووقف على الدقيق من معاني ألفاظه ومصطلحاته .

وقد أخذ هذا الكتاب على عاتقه استيفاء ذلك كله وعرضه بأسلوب سهلٍ قريب التناول .

ثم إن الكتاب يعرف القراء بطائفةٍ حسنة من كتب الصيد ، ويقفهم على ما وصل إليه الأقدمون في طب الجوارح والضواري ، وأطلقوا عليه اسم «البيزرة» ، ويمد الذين يبتغون التأليف في الطب البيطري بمئات المصطلحات العلمية التي نحن أحوج ما نكون إليها اليوم لترجمة العلوم الحديثة والتأليف فيها وتقديمها لأبنائنا في الكليات والجامعات بلغة القرآن سيّدة اللغات .

هذا وقد جعلتُ الكتاب في ثلاثة عشر فصلاً؛ فخصّصتُ الأول منها للكلام على

الصيد عند الأمم التي اتصلت بالعرب من فرس وروم ؛ وذلك للموقف على ما أخذه العرب عن غيرهم في هذا الفن وما أعطوه للآخرين .

وجعلت الفصل الثاني للحديث عن الصيد عند العرب في الجاهلية والإسلام .
أما الفصل الثالث فقد تكلمت فيه على حاجة الصائد إلى المعرفة بالحيوان وطبائعه .

وخصصت الفصل الرابع للحديث عن معرفة العرب بالحيوان والبيزة .
وجعلت الفصل الخامس للكلام على الصيد بفسير الحيوان من قوس ورمح وغيرها من أدوات الصيد الكثيرة المتنوعة .

أما الفصل السادس فقد بسطت فيه القول في الجوارح كاللبازي ، والباشق ، والشاهين ، والصقر ، والعقاب ، وغيرها .

وخصصت الفصل السابع للحديث عن الضواري ، فوفيتُ الكلام على الكلب ، والفهد ، وعناق الأرض ، وتأنيس الوحشي منها وسياستها وطرق الصيد بها .

وجعلت الفصل الثامن للكلام على أمراض الجوارح والضواري وطرق علاجها والأدوية التي وصفها لها الأقدمون .

أما الفصل التاسع فأفضت فيه القول في المصيدات من الوحوش كالحمار الوحشي ، والبقر الوحشي ، والأيتل ، والظبي ، والأرنب ، وطريقة صيد كلِّ منها .

وخصصت الفصل العاشر للكلام على المصيدات من الطير كالنعام ، والكسركي والإوز البري ، والحباري ، والقطا ، وطرق اصطياد كلِّ منها .

وجعلت الفصل الحادي عشر للكلام على آداب الصيد عند العرب قبل الإسلام وبعده .

أما الفصل الثاني عشر فجعلته للكلام على الصيد في العصر الحديث رغبة في وصل ماضي هذا الفن بحاضره .

وخصّصت الفصل الثالث عشر والأخير للحديث عن أهم كتب الصيد .
والبيزرة التي احتفظت بها المكتبة العربية لأقف القارئ على أبرز كتب هذا
الفن ، ولأعرفه بالمصادر التي اعتمدها في إعداد هذا الكتاب .

وقد حليت الكتاب بطائفة وافية من الصور الملونة لأهم الحيوانات
الصائدة والمصيصة رغبةً في أن تتأزر الكلمة المكتوبة مع الصورة المرسومة
في التعريف بهذه الحيوانات وتمييز بعضها من بعض .

وبعد فالله أسأل أن يهبنا الإخلاص في النية ، والصدق في القول ، والسداد
في العمل .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد سيد
المرسلين .

الفصل الأول

الصيد عند الأمم التي اتصلت بالعرب من فرس و روم

اختلط العرب بالفرس والروم في جاهليتهم وإسلامهم ، وتأثروا بهم وأثروا فيهم في كثير من المجالات وأخذ ملوك العرب وسادتهم ومترفوم كثيرأ مما لدى هؤلاء وهؤلاء من مظاهر الحضارة ووسائل الترف ، وكان في جملة ما أخذوه الكثير من معارف الصيد ووسائله وآدابه ؛ لذا كان لزاماً علينا أن نلم إلمامة يسيرة بالصيد عند هاتين الأمتين قبل الحديث عن الصيد عن العرب .

الصيد عند الفرس :

الفرس ذوو قدمٍ راسخة في فن الصيد وآدابه ، ودرايةٍ واسعةٍ بضواربه وجوارحه ، وسبق ملحوظ في الاهتداء إلى وسائله وآلاته ؛ فقد روي أن أول من صاد بالبازي أحد ملوك فارس ، ذلك بأنه خرج ذات يوم يريد النزهة واللهو بعتاق الخيل ، فوصل إلى مكان من أنزه الأماكن بسقت أشجاره وورفت ظلّاله ، وجرى في وسطه نهر متدفق المياهاً مُنزع الجنبات ، فضربت له فيه الخيام .

وفيا هو في مقامه هذا أبصر طائراً أقبل ، فاهتاجت الطيور لإقباله ، وطارَت عند اقترابه ، وابتعدت عن مكان نزوله ، وجثمت بعيداً عنه ، وجعلت تنظر إليه ، فحط على شجرة باسقة الأفنان ، وقعد بين أغصانها الملتفة قعود الملك المتفرد في سلطانه يرقب الطيور في هيبة وجلال ، حتى إذا عابن طائراً انقضّ عليه وكسره .

ثم حمله إلى ظل شجرة وجلس فوقه ، ورتف ريشه ، وأكل من لحمه ما شاء أن يأكل ، ثم تقدم إلى النهر فشرب منه وسبح في مائه ثم عاد إلى شجرته ، ولما كان آخر النهار فعل فيه مثل ما فعله في أوله ، فقال الملك لرجال دولته : لقد رأيت من هذا الطائر ما يحير اللبّ ، ويألأ القلب ، فهو عظيم السطوة ، شديد البأس ، كبير النفس ، طويل الصبر ، جليل القدر ، تخافه الطيور ولا يخافها .

ولقد علمني هذا الطائر كثيراً مما لم أكن أعلم من شؤون المملكة وسياسة الناس ؛ فقد أرشدني إلى التزام الحرمة ، والاستتار من أوباش الناس ، وغضّ الطرف لاستمرار الهيبة ، ودوام الصمت للخديعة ، والسرعة في البطش لتخويف الأعداء ، وطول الأكل للاستمراء ، وتصغير اللقم للامن من الغصة ، وتشمير الثوب للنظافة ، وعلى الجملة فقد جمع هذا الطائر ضروب الأدب مع للعقل الكامل ، ثم أمر رجاله بالاحتيال له والقبض عليه ، فلما صار في يديه فرح به فرحاً شديداً ، وأمر بأن يشد بين يديه .

غير أن الطائر لم يقرّ بعد ذلك ولم يهدأ ، فقال الملك لجلسائه : ما بال هذا الطائر؟! لقد زال طربه ، وازداد شعبه فتأمله أحد حكامه فوجده إذا فتح عينيه خاف وقلق ، وإذا أطبقها اطمأن وأمن ، فأشار بأن تمشّئ عيناه ليألف الناس ويهدأ روعه ففعلوا .

ثم قالوا عن هذا الطائر : إنسه ملك الطيور وُعرف البازي بهذا اللقب بعد ذلك .

ثم أمر الملك بأن يُحملَ إليه كل طائر من هذا النوع ، فاجتمع لديه من
الهبزة الشيء الكثير (١) .

وُروي أيضاً أن كسرى أفر شروان (٢) أتي بيازٍ قد انكسر جناحه
وهو لا يعرفه فسأل الذي أتاه به : كيف رأيت طيران هذا الطائر ؟ فقال:
رأيتُه إذا علا صف (٣) وإذا نزل دفّ (٤) ، وإذا ضرب زفّ (٥) ، وإذا
وثب ذرق ، وإذا عاين سرق فقال : هذا جبار لا يبقي إذا قدر ولا يؤمن
إذا اشتهر ، ثم سلمه إلى ولده (داد) فكان يلعب بسائر أنواع الطيور ،
وهو الذي سميت به « بغداد » . وبغداد في لغة المعجم مؤلفة من (بنج)
وهو البستان و (داد) وهو اسم ولد كسرى (٦) .

ويبدو أن (داد) (٧) ابن كسرى هذا قد أولع بالبازي فأدب به وضراً ،
فهو كما يقول المنكلى : « أول من صنع القفاز للبازي ، وأول من سن ركوب
الخيل للصيد به ، وأول من أظهر الطبل له ، وأول من اختار الدستبان (٨)

(١) انظر أنس الملا : ١١٢ .

(٢) هو المعروف بالملك العادل ولي الملك سنة ٣١٠ ق م (انظر تاريخ إيران ١/٦١٧) .

(٣) صف الطائر جناحيه : بسطهما ولم يحركهما .

(٤) دف الطائر : حرك جناحيه كالحمام .

(٥) زف الطائر : رمى نفسه .

(٦) انظر أنس الملا : ١١٥ وما بعدها .

(٧) داد : هو ابن كسرى أفر شروان الذي ولي الملك سنة ٥٣١ م (انظر تاريخ إيران :

١/٦١٧) .

(٨) الدستبان : كيس من ادم يجعله الصقار على يده تحت رجلي الصقر وهو فارسي وفي العربية

يقال له : القفاز .

وأوجده ، وأول من أدب البازي على الإجابة ، وأول من حمله على الفرس ، وهو الذي رفع قدره فجعله يُحمل على يد راجل ، (١) .

والجاحظ يقول : « إن البازي أعجمي » (٢) والمنكلى يؤكد أولية المعجم في تضرية البازي وتأديبه وحسن القيام عليه ؛ فيروى عن أصحاب التجربة قولهم : إن البازي لا يصلح له من الأشياء إلا القفاز وهو مما ابتكرته المعجم (٣) .

وهو يرفض ما رواه بعض الرواة من أن الروم أول من لعب بالبازي فيقول : والذي ترجح عندي - والله أعلم - أن أول من لعب بالبازي المعجم ، أما ما روي عن أولية الروم في هذا المجال فلم أجد له دليلاً ولم يترجح عندي (٤) .

والفرس أيضاً هم أول من ضرّى الزمّج (٥) وكانوا يذمون من لا يصيد به ويقولون : إنه ناقص المعرفة بالصيد ، وذكر الحكماء من المعجم أن أحد الملوك وهو (أزدشير) (٦) نظر يوماً إلى صورة البازي وإلى الزمّج فعرف الزمّج بمشابهته للبازي فضراه على الصيد ولم يشاركه في تضريته وتأديبه أحد (٧) ،

(١) أنس الملا : ١١٥ .

(٢) الحيوان : ٤٨٧/٦ .

(٣) أنس الملا : ١٣١ .

(٤) أنس الملا : ١١٥ .

(٥) الزمّج : طائر دون العقاب يصاد به .

(٦) أزدشير : هناك أكثر ملك من ملوك فارس يدعى أزدشير وهم : أزدشير الأول الذي ولي

الملك سنة ٢٢٦ م ، وأزدشير الثاني الذي ولي سنة ٣٧٩ (انظر تاريخ إيران : ١/٥٢٥ .

٥٨٤) .

(٧) أنس الملا : ١١٩ .

وقيل أيضاً : إن أول من ضربَ الديؤيو^(١) على الصيد واصطاد به ملكٌ من ملوك فارس هو (بهرام جور)^(٢) وذلك أنه شاهد ديؤيوً أ يطارد قبرةً ويراوغها ويرتفع وينحط معها ، فتركها إلى أن صاها فأعجبه ، وأمر به فأدب وُضربَ ثم جعل يصيد به^(٣) .

والجاحظ يتحدث عن ولع ملوك فارس بالصيد فيقول : « وزعموا - وهو كذلك - أن ملوك فارس كانت لهجةً بالصيد إلا أن (بهرام جور) هو المشهور بذلك في العوام » .

ومن مظاهر ولع الفرس بالصيد ما روي من أن (فيروز بن قباد)^(٤) الملك الفارسي ألحَّ في طلب حمار وحشي أخدري^(٥) - وقد ذُكر له ووصف - فطاوله عند طلبه والتاسه وجدَّ في ذلك فلجَّ به عند طلبه الاغترام ، وأخرجته الحفيظة إلى أن آلى ألا يأخذه إلا أسراً ولا يطارده إلا فرداً فحمل فرسه عليه فحطه في خبار ثم تبع جراميزه - وهو على فرسه - ووثب فإذا هو على ظهره فقمص به فضم فخذيه فحطم بهض أضلاعه ثم أقبل به إلى معظم الناس وهم وقوف ينظرون إليه وهو راكبه^(٦) .

وبلغ من ولع ملوك فارس بصيد الحمر الوحشية ومباهااتهم بذلك « أن

(١) الديؤيو : طائر من أصناف الصقور يصاد به .

(٢) هو ابن يزدجرد وقد ولي الملك بعد أبيه سنة ٤٢٠ م (انظر تاريخ إيران : ١/٥٩٠) .

(٣) الصيد والطرود : ٥١ ونهاية الأرب ١٩٩/١٠ .

(٤) فيروز بن قباد : ولي الحكم بعد أبيه قباد وقتل في حرب القياصرة وكان الحكم قد آل إلى أبيه سنة ٩٣٦ (انظر تاريخ إيران : ١/٦٢٧) .

(٥) الحمار الأخدري : نسبة إلى أخدر وهو فرس كان لأزدشير فتوحش وخرجت من نسله حمر رائحة الشكل عظيمة الجسم .

(٦) الحيوان : ١٤٠/١ .

الملك منهم إذا أخذ غيراً أخدرياً أو غير ذلك ، فإذا وجدته فتياً وسمه باسمه وأرّخ في وسمه يوم صيده وخلصى سبيله وكان كثيراً ما يصيده الملك الذي بعده فيسير فيه مثل تلك السيرة ويخلصى سبيله فيعرف آخرهم صنيع أولهم ويعرفون مقدار أعمارها ، (١) .

هذا ولم تكن عناية المعجم خاصة بالجوارح وإنما هي عامة تشمل الجوارح والضواري ؛ فقد جاء في أنس الملا : أن المعجم أكثر الخلق معرفة بترويض الضواري ، (٢) .

بل إنهم اختصوا بأنواع من الضواري لا يعرفها العرب ولا يرتفقون بها في صيدهم فقد قال المنكلى عند حديثه عن عناق الأرسر : « ولم أذكر عناق الأرض في هذا الكتاب إلا تطرفاً لأنه لا يكون في بلادنا ولا يوجد إلا في بلاد المعجم ، (٣) .

«وكانت ملوك الأعاجم تجمع أصناف الحيوان في حظائر وتدخل أولادها للصغار عليها وتعرفها بها صنفاً صنفاً لكيلا ينسبوا إلى الجهل إذا كبروا ولم يكونوا رأوها في صفرهم ، (٤) .

ومما روي عن ولع الفرس بالصيد وحذقهم فيه أنه « كانت لبهرام شوبين ، (٥) محظية مفتنة في صنوف الآداب فاقتربت عليه حضور الصيد معه شغفاً منها به ورغبة في مشاهدة الطرد فأجابها إلى ذلك فبينما هي معه إذ عنّ لها سرب ظباء - وكان بهرام شوبين من جودة الرمي على ما لم يكن

(١) الحيوان : ١ / ١٤٠ .

(٢) أنس الملا : ٧٤ .

(٣) المرجع السابق .

(٤) البيزرة : ٢٢ .

(٥) هو قائدكسري أبرويز الذي ولي الحكم سنة ٥٩٠ م (انظر تاريخ إيران : ١ / ٦٦١) .

عليه سائر الملوك - فقال لها : أراك مشغوفةً بالصيد مرتاحة إليه فكيف 'تحبين أن أرمي هذه الطباءة؟ فقالت : أريد أن تجعل ذكورها إناثاً وإناثها ذكوراً؛ ففهم مرادها وقدّر أنها توهمت عليه المعجز عما التمسته منه وأنها حاولت أن 'تظهر نقصه فتفتت' في عضده عند من كان معه من أهل مملكته ، فقال : ما سألت شططاً ، ثم رمى التيوس من الطباءة فألقى قرونها فصارت كالإناث وجعل يرمي كل واحدة من الإناث بسهمين فيثبتهما في موضع القرنين فتعود كأنها تيس ، (١) .

وكانت للملوك فارس رحلات صيد صاحبةً يحتشم عليهم العرف أن يقوموا بها ، فقد جاء في كتاب قصة الحضارة (لبول ديورانت) أن حياة الملك الفارسي كانت مثقلة بالواجبات والتبعات التي لا آخر لها فقد كان 'ينتظر منه أن يخرج إلى الصيد والقنص بلا خوف ، فكان يخرج إليه في هودج مزركش تجره عشرة من الجمال وعليه ثيابه الملكية ، وكانت تحمل عرشه سبعة جمال وتُقلُّ شعراءه ومنشديه مائة رجل ، وقد يكون في ركابه عشرة آلاف فارس ، وكان عليه - كما يبدو من النقوش الساسانية - أن يواجهه بنفسه وغلاً أو نمرأ أو أسداً ، (٢) .

وكانت للصيد آدابه عند الفرس ؛ « فكان الملك من ملوك فارس إذا عمد إلى الركوب للصيد دفع أصحاب ركابه سوطه إلى بطانته - وهم خاصته - ودفعته الخاصة إلى الخدم ، وأدخله الخدم إلى موضع نساته فناولته إياه امرأة ثيب وخرج من عندها وهو بيده ، أما في أوقات ركوبه إلى سائر المواضع غير الصيد والحرب ، فيتناول السوط من المكان الذي يركب منه .

وكانت الجوارح تنصب على كنادرها (٣) من ناحيةٍ وساده نحو رأسه ،

(١) البيزرة : ٣٠ .

(٢) انظر : قصة الحضارة الجزء الأول من المجلد الرابع : ٢٨٥ .

(٣) جمع كندرة وهي عجم البازي هيباً له .

أما الضواري — وهي الكلاب والفهود وبنات عرس — فمن ناحية مدّ رجله، وأما الخيل فأمامه أو عن يمينه ، وكان كل من يشهد معه الصيد يحوش عليه العانة ^(١) والسرب حتى يكون الملك هو الذي يتصيدها ، أما هم فيتصيدون سائر الوحش والسباع ما لم يُنهبوا عن ذلك .

ولم يكن الملك من ملوك فارس يريد أن يخلو سمعه من زقاء ^(٢) جارح ونباح ضار ، وصهيل خيل ، وألحان قينة وطنين وتر ^(٣) .

وكما كانت لهم آداب خاصة في تناول السوط عند الصيد كانت لهم آداب مرسومة في إمساك الجوارح ، فساحب المصايد يقول عند الحديث عن كيفية إمساك الجارح وإطلاقه : « إن ملوك فارس كانت تحمل البازي على اليسار وكان من الآيين ^(٤) أن يأتي البازيار والجارح على يساره فيعارض الملك ورأس كل واحدٍ منهما إلى كفل الآخر فيحوله من يساره إلى يسرى الملك ثم أردف يقول : وهذا هو مذهب العرب في إمساك الجوارح » ^(٥) .

وكما كان ملوك فارس يخصصون أنفسهم بصيد الأنواع العزيزة من الحيوانات كانوا يخصصون بيوتهم بجلود الأسود والنمور « فلم يكن لأحد من غير طبقة الملوك أن يتخذ شيئاً من جلود السباع والنمور إلا بإذن » ^(٦) .

وكان ملوك فارس يتفانون ويتشائمون لدى خروجهم إلى الصيد « فإذا توجه أحدهم للصيد تفاءل بأن يلقاه الرجل الصحيح الجسم المرضي الاسم والمرأة الوسيمة العوان — وهي الثيب — والغلام المنصرف إلى أهله من كتاب وموضع أدب ، والدابة تحمل الطعام والتبن والرمل .

(١) العانة : القطيع من حجر الوحش ، والسرب : القطيع من الطباء .

(٢) الزقاء : الصياح .

(٣) اللبيرة : ٢٢ .

(٤) الآيين : القواعد المتبعة .

(٥) المصايد والمطارد : ٦١ .

(٦) المصايد والمطارد : ١٧٢ .

ويتطير بالزمن والكريه الاسم والفلام الماضي إلى كتاب أو موضع أدب
والثورين المقرونين بفدان^(١) والحيوان الموثق والداية المقيّدة ،^(٢) .

الصيد عند الروم :

كان الروم - وهم الأمة الثانية التي اختلطت بها العرب - مفرمين بالصيد
أيضاً، سباقين إلى تضرية بعض جوارحه وتأديبها فهم أول من لعب بالشواهين
ولم يسبقهم إلى اقتنائها أحد^(٣) .

فقد ذكر المسعودي في مروج الذهب أن «قسطنطين» ملك عمورية خرج
ذات يوم يتصيد بالبزاة حتى انتهى إلى خليج (نيطش) الجاري إلى بحر الروم
فعبه إلى مرج فسيح مديد واقع بين الخليج والبحر فنظر إلى شاهين ينكفيء
على طير ماء فأعجبه ما رأى من سرعته وضراوته ... فأمر أن يُصاد له ،
ثم ضراه ، فكان أول من لعب بالشواهين^(٤) ويبدو أن قسطنطين هذا قد
أولع بالشواهين ولما بالغاً حتى إنه راضها على أن تظله من الشمس ، فكان
إذا ركب حلتقت كوكبه منها فوق موكبه ، وحامت فوق رأسه ، وسارت
لمسيره فإذا نزل وقعت حوله^(٥) .

ثم إن أول من لعب بالعقاب الروم أيضاً ، فهم حين رأوا شدة أسر هذا
الجراح وإفراط سلاحه قال حكماؤهم عنه : هذا طائر لا يقوم خيره بشره ،
ثم ضرّوه وجعلوا يهدونه إلى ملوك الأمم الأخرى^(٦) .

(١) الفدان : أداة تجمع بين ثورين في قران للعرث ، والجمع أفدنة وقدن .

(٢) المصايد والمطارد : ٢٣٨ .

(٣) القانون في البيزرة ، الورقة : ٦ وما بعدها .

(٤) مروج الذهب : ١٦٠/١ وكتاب الطيور : ١٢ وما بعدها ، والقانون في البيزرة : ٦

وما بعدها .

(٥) انظر المصايد والمطارد : ٩٢ ومروج الذهب : ١٦٠/١ وما بعدها ونهاية الأرب :

٢٠٢/١٠ .

(٦) انظر المصايد والمطارد : ٩٩ ونهاية الأرب : ١٨٣/١٠ .

بل إن هناك من يقول : إن الروم كانوا أسبق من الفرس إلى تضرية البازي والصيد به .

فقد روي أن قسطنطين ^(١) ملك الروم مرّ يوماً بجبلٍ فرأى بازياً يطير ثم نزل على شجرة كثيرة الشوك ملتفة الأغصان فأعجبته صورته وراقه حسنه فأمر بأن يُصاد له بُجلة من البزاة ، فصيدت له وُحلت إليه فارتببها في مجلسه فعرض لبعضها أَيْمٌ ^(٢) فوثب عليه فقتله ، فقال : هذا ملك يفضبه ما يفضب الملوك ، ثم نصب له بين يديه كندرة ^(٣) وكان هناك ثعلب داجن مما يُربى في البيوت ، فوثب عليه فما أفلت منه إلا جريحاً ، فقال : هذا ملك جبار لا يحتمل ضيماً ثم مرّ به طائر فكسره ^(٤) ونهش منه فقال : هذا ملك نوعه ، لما جاع أخذ طعامه بسُلطان وقدرة ثم جعل يحمله على يده ويصيده به ^(٥) .

غير أن صاحب أنس الملا يؤكد - كما أشرنا من قبل - أن الفرس هم أول من عرف البازي وضراه حيث يقول : « والذي ترجح عندي - والله اعلم - أن أول من لعب بالبزاة العجم ، وما روي عن أولية الروم في هذا المضمار لم أجد له دليلاً ولم يترجح عندي ^(٦) .

وكان قباصرة الروم يتبادلون الهدايا من الجوارح والضواري مع أكاسرة الفرس ، فقد روي أن قبصر أهدى إلى كسرى عقاباً وكتب إليه أن يعلمها فإنها تعمل أكثر من عمل الصقور التي نالت إعجابيه ، فأمر بها كسرى ففُضرت

(١) في نهاية الأرب : « لذريق » بدلاً من قسطنطين .

(٢) الأيم : ذكر الأفعى .

(٣) الكندرة : مجثم البازي .

(٤) كسره : وقع عليه وضاده .

(٥) نهاية الأرب : ١٠/١٨٨ ، وصبح الأعشى : ٥٧/٢ والقانون في علم الببزة ، الورقة :

٦ وما بعدها ، والمصايد والمطارد : ٤٩ والصيد والطرْد عند العرب : ٤٧ .

(٦) انظر أنس الملا : ١١٥ .

وأرسلت على ظبيّ عرض لها فصادته فأعجبه ما رأى من شدة بأسها ثم
جوعها ليصيد بها ، فوثبت على صبي من حاشيته فقتلته ، فقال كسرى :
غزانا قيصر في بلادنا بفسير جيش ، ثم أهدى له نمرأ وكتب إليه : قد بعثت
إليك بما تقتل به الطباء وما قرب منها من الوحش ، وكرم عنه ما صنعت
العقاب ، فأعجب قيصر بالنمر ، ثم غفل عنه ذات يوم فافترس بعض فتيانه ،
فقال : صادنا كسرى ، فإن كنا صدناه فلا بأس ، فلما اتصل ذلك بكسرى
قال : أنا أبو ساسان (١) .

(١) انظر نهاية الأرب : ١٨٣/١٠ .

الفصل الثاني

الصَّيْدُ عِنْدَ الْعَرَبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ

أ - الصيد في الجاهلية :

كانت العربُ أمةً متبديّةً تعيش في جزيرتها عيش الإملاق ، ومن طبيعة أهل البر - إذا أملقوا - أن يعتمدوا في عيشهم على الصيد ، وأن يتخذوا من الحيوان مادة حياتهم الأولى ؛ فيقتاتوا بلحمه إذا عضهم الجوع ، ويصطلو بعظمه إذا مسهم البرد ، ويستنبروا بدهنه إذا أظلم عليهم الليل ، ويتخذوا من أوباره غطاءً وكساءً ، ويجعلوا من جلوده بساطاً وسقاءً .

وقد هدتهم الفطرة إلى أن يؤنّسوا وحشّه ، ويروضوا نافرّه ، وأن يسخروه لمنفعتهم ، فسلّطوا بعضه على بعض ، وضربوا ضعيفه بقويّته ، وقنصوا غبيّه بذكيه ، وجنّوا ثمرات ذلك كله متاعاً لهم ولمن يعولون .

ولم يكن الصيد عند عرب الجاهلية وسيلة من وسائل الرزق فحسب ، وإنما كان متعةً من متع النفس ، وضرباً من ضروب الحرب في أيام السلم ، وهم أشد ما يكونون حاجةً للرزق والمتعة والتدرّب الدائم على القتال .

لذلك أقبلوا على الصيد إقبالاً كبيراً فطعموا من جوع حين أكلوا لحوم

الطرائد ، واكتسوا من عري حين ارتدوا جلودها وأوبارها ، وأمنوا من خوف حين قتلوا الحيوانات التي تهدد حياتهم وتروع ماشيتهم .

ومن يتتبع الشعر الجاهلي يحسده طافحاً بذكر الصيد وأخباره ، حتى غدت المعارك التي تدور بين القانصين والنعام ، والطراد الذي يقع بين كلاب الصائدين وثيران الوحش وحيره تقليداً من تقاليد الشعر الجاهلي وركناً من أركان القصيدة العربية .

وكانت العرب تملئ من شأن القنص وتمدح الرجل بأكله من صيد يده وتعتبر ذلك آيةً على أنفته ، وعلامةً على زهادته بما في أيدي الناس ؛ فهذا هوذا امرؤ القيس يصف قانصاً هَرَمًا من بني ثعلل لا يزال - على الرغم من شيخوخته وطعنه في السن - يعتمد الصيد وسيلةً وحيدةً لكسب العيش فيقول :

رُبُّ رَامٍ مِنْ بَنِي ثُعَلِّ مُتَلِجٌ كَفِيَّهِ فِي قَتْرِهِ (١)
فَهُوَ لَا تَنْمِي رَمِيَّتُهُ ، مَا لَهُ لَا عُدٌّ مِنْ نَفْرِهِ (٢)
مُطْعَمٌ لِلصَّيْدِ لَيْسَ لَهُ غَيْرَهَا كَسْبٌ عَلَى كِبَرِهِ (٣)

وكان الصائدين منهم يعود على أهل حبيته بلحم صيده ، ويجد في ذلك مجالاً من مجالات الفخر ، يشير إلى هذا قول امرئ القيس :

إِذَا مَا رَكَبْنَا قَالَ وَلِدَانُ حِينَا تَعَالُوا إِلَى أَنْ يَأْتِيَ الصَّيْدَ نَحْطُبُ (٤)

وقد كانوا يرون أن طعام الصيد أكرم طعام ، فقد روى كشاجم قول أحدهم :

(١) متلج كفيه في قتره: مدخل كفيه في القتره، وهي البيت الذي يكن فيه الصائد للطرائد.
(٢) لا تنمي رميته: أي لا تنهض بالسهم وتغيب عنه وإنما تسقط في مكانها لإصابته مقتلها.
وقوله: لا عد من نفره: دعاء عليه على وجه التمجيد منه .
(٣) ديوان امرئ القيس ١٢٣ ، ١٢٥ ، ١٢٦ .
(٤) المصايد والمطارد: ١٠ والبيزرة ٢٣ .

ولقد أبيت على الطوى وأظلك حق أقال به كريم الماكل
ثم أردف يقول : « وفسره بعض الرواة بأنه الصيد » (١) .
وكان أبناء الملوك من العرب يفخرون بالصيد وأكل لحمه ، من ذلك قول
امرىء القيس على الرغم من عراقته في الملك وأصالته في المجد :
وظلُّ طهاة اللحم من بين مُنضِجٍ صفيفَ شواءٍ أو قديرٍ مُمَجَّلٍ (٢)
وكان العرب يطلقون على الصيد اسم « اللذة » ويعرفونه بذلك ، فقد
سمى الشاعر العربي الصيد لذة واستغنى بذلك عن أن يدعو باسمه لهمهم به
واشتهاره فيهم وقدره عندهم فقال :
كأنِّيَ لم أركب جواداً للذَّةِ ولم أتبطَّن كاعباً ذات خلخال (٣)
ولم يقتصر الصيد عند العرب على ذوي الفاقة وإنما مارسه الأغنياء
والفقراء ، وأولع به السادة والسوقة ؛ فعدي بن حاتم الطائي أحد ملوك
العرب في الجاهلية كان صياداً مولعاً بالصيد صاحب كلاب وجوارح وهو الذي
جاء يسأل الرسول صلوات الله عليه عن أمر الصيد فيقول : « سألتُ رسول الله
ﷺ فقلت : إنا قوم نتصيد بهذه الكلاب فقال : إذا أرسلت كلابك المعلمة
وذكرت اسم الله فكل مما أمسكن عليك إلا أن يأكل الكلبُ فلا تأكل فإني
أخاف أن يكون إنما أمسك على نفسه ، فإن خالطها كلبٌ من غيرها فلا
تأكل » (٤) .

وحزة بن عبد المطلب عم الرسول الكريم صلوات الله عليه كان صاحب
صقور يصيد بها وكان « إسلامه عند منصرفه من صيد وعلى يده صقر » فقد
جاء في السير : « أن حمزة كان صاحب قنص يرميه ويخرج له ، وكان أعز

(١) المصايد والمطارد : ١٠ .

(٢) البيزرة : ٢٤ وديوان امرىء القيس : ٣٥ .

(٣) المرجع السابق .

(٤) متفق عليه .

فتى في قريش ، فرجع يوماً من صيده فقالت له امرأة - كانت رأت ما قال رسول الله ﷺ من أذى أبي جهل - : يا أبا عمار ، لو رأيت ما صنع أبو الحكم ببن أخيك ، ففضى على حاله ، وهو متعلق قوسه في عنقه حتى دخل المسجد فالفى أبا جهل ، فعلا رأسه بقوسه فشجّه ثم قال : ديني على دين محمد : أشهد أنه رسول الله ، (١) .

وكما كانت الفرس أول من ضربى البئزة ، وكان الروم أول من اصطاد بالشاهين والعقاب ، فقد كان العرب أول من ضربى الصقور وصاد بها حيث أجمع الباعثون في البيزرة على أن أول من صاد بالصقر وضراه الحارث بن معاوية بن ثور بن كندة ، وسبب ذلك أنه وقف في بعض الأيام على صياد نصب شبكة للعصافير فانقضّ أكدر (٢) على عصفور علق في الشبكة وجعل يأكله ، فلما لبث أن علق جناحاه بها والحارث ينظر إليه ويعجب من فعله فأمر به فحُمِلَ إليه ، ووَكَّلَ كل به من يسوسه فصار يحمله على يده ، وفي ذات يوم رأى الصقر حمامة فطار عن يده إليها وأخذها وأكلها فأمر الحارث عند ذلك بتدريبه وتضريته والتصيّد به ، فبينما هو يسير يوماً ومعه الصقر لاحت له أرنب فطار إليها وأخذها ، فلما رآه يصيد الطير والأرنب ازداد به إعجاباً واعتباطاً ، واتخذته العرب من بعده ، واستفاضت الصقور بين الناس (٣) .

وقد شُهر العرب في الجاهلية عند الأمم المجاورة بتضريتهم للصقور وعرفوا بذلك وجعل الملوك يستهدونهم بعضاً منها ، فقد جاء في كتاب الطيور « أن العرب لما ضربوا الصقور وقنصوا بها الوحش والطير بلغ خبرها كسرى

(١) السيرة لابن هشام : ٣١٢ ، والبيزرة : ٤٠ .

(٢) الأكدر : اسم يطلق على الصقر .

(٣) مروج الذهب : ١٦٠/١ وما بعدها ، ونهاية الأرب : ١٩٦/١٠ وكتاب الطيور الورقة :

١٥ وما بعدها ، وأنس الملا : ١١٧ .

بهرام الأكبر بن سابور^(١) فأرسل إلى ملوك الحيرة من بني مضر بن خديمة جد المناذرة فبعثوا إليه بصقر فوجده يتماقب على صيد الطير والأرنب فأعجبه واتخذهُ ليُظهِر للروم فضيلة الصقور وعملها^(٢) .

ومن هنا قال الجاحظ « إن الباز أعجمي والصقر عربي »^(٣) .

ولم يكن العرب الجاهليون أول من صاد بالصقور فحسب وإنما كانوا أول من ضرى الفهود أيضاً، فقد روي أن أول من صاد بالفهد كليب بن وائل، وقيل همام بن مرة وكان صاحب هوى وطرب، وأول من حمل على الخيل يزيد بن معاوية بن أبي سفيان .

أما الكلاب فقد عني العرب بها في جاهليتهم عناية ملحوظة . واعتمدوا عليها في الصيد اعتماداً كبيراً ، فقد كانت لعامر بن عنزة كلاب صيد وكان يحسن صحبتها فلما مات لزمّت قبره حتى ماتت عنده^(٤) .

وقد بلغ من اهتمام العرب بكلاب الصيد وبخاصة السلوقية منها أنهم كانوا ينسبونها كما ينسبون الخيل^(٥) .

أما الصيد بالرماح والقسى فقد كانت أكثر وأشهر وأشيع من الصيد بالجوارح والضواري ، ومن يرجع إلى «المختص» وغيره من كتب اللغة يدهش لكثرة ما أطلقه العرب من أسماء وأوصاف على كل جزء من أجزاء القسيّ والسهام والرماح حتى ليُخيّل للمرء أنهم يصفون آلة من آلات الحرب الحديثة المعقدة .

(١) ولي بهرام الأول الملك سنة ١٧٢ م وذلك بعد سابور الأول، وفي الأسرة الساسانية أربعة ملوك عرفوا باسم بهرام ولي آخرهم الملك من سنة ٣٨٨ - ٣٩٩ انظر تاريخ إيران : ٥٤٢/١ و ٥٥٤ و ٥٢٧ و ٥٨٦ .

(٢) كتاب الطيور الورقة : ١٥ وما بعدها .

(٣) كتاب الحيوان : ٤٧٨/٦ .

(٤) فضل الكلاب على كثير من لبس الثياب : ١٠ .

(٥) المصايد والمطارد : ١٣١ .

وقد انصبّت عناية العرب بالصيد على صيد البر والجو ، أما صيد البحر فليس له عندهم شأن يذكر ذلك لأنهم في كثيرتهم أمةٌ بدوية تسكن الصحراء وتتنقل فيها ، وليسوا بأمة بحرية تغشى البحار وتفيد من صيدها .

ب - الصيد في صدر الاسلام :

لما جاء الإسلام برسائلته الشاملة لشئون العقيدة والحياة وأخذ العرب يبنون حياتهم الجديدة على أسسه وتعاليمه ويحكمون شريعته في جميع ما يأتون وما يذرون لم يكن بدعاً أن يسألوا الرسول صلوات الله عليه عن حلّ الصيد وحرمة وأنت يقفوا على رأي الإسلام في هذا الأمر الحيوي الهام ، وهم الذين جعلوا يتحرّجون من كل ما كان في الجاهلية خشية أن يكون للإسلام منه موقف آخر غير ما ألفوه وما تعاملوا به .

فقد روي أن زيد الخير وعدي بن حاتم سألا النبي صلوات الله عليه فقالا : « إنا نصيد بالكلاب والببؤة وقد حرم الله تعالى الميتة فماذا يحل لنا منها » فنزل قوله تعالى : « يسألونك ماذا أحلّ لهم ؟ قل أحلّ لكم الطيبات وما علمتمنّتم من الجوارح مكلّبين تعلمونن مما علمكم الله ، فكلوا مما أمسكنن عليكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله إن الله سريع الحساب » (١) .

وكان من ثمرة ما جاء به القرآن الكريم وما أورده الرسول العظيم ، وما دار حول ذلك من تفسير المفسرين واجتهاد المجتهدين تشريعٌ كامل شامل عالج موضوع الصيد من جوانبه كلّها فتناول الميراثات الصائفة من حيث إباحة الصيد ببعضها وتحريمه ببعضها الآخر ، ومن حيث وجوب تعليمها ، وحدّ التعليم وعلاماته ، وعرض للحيوانات المصيدة من حيث إباحة أكلها وحرمة ومن حيث وجوب تذكيته وعدمه ، كما عرض للصائد من حيث حكم تسميته عند إطلاق الجراح وما إلى ذلك من التفصيلات والتفريعات التي

(١) سورة المائدة ، الآية : ٤ .

أحاطت بعملية الصيد كلها سواء أكانت بالجرح أم بغيره من أدوات الصيد على وجه تبرز فيه دقة التشريع الإسلامي وروعته .

ونحن سنورد فيما يلي أهم الأحكام التي يحتاج إليها الصائد لمعرفة "حل" الصيد وحزمته .

أما الحيوانات الصائدة فقد أشار إليها الله سبحانه بقوله: «وما عَلَّمْتُمْ من الجوارح». والمراد من الجراح: إما الجراح حقيقةً بنايه أو مخلبه فيكون مشتقاً من الجرح بمعنى الجراحة ، وإما أن يكون المراد منه الكاسب للصيد على أهله وذلك من قولهم : جرح فلانٌ واجترح بمعنى كسب واكتسب . وقولهم : « ما لهؤلاء القوم من جارح » أي كاسب ، ومنه قوله تعالى : « وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ » (١) أي ما كسبتم ، ويمكن حمل الجوارح على المعنيين معاً فيشترط في الحيوان الصائد أن يكون من الكواسب على أهله وأن يجرح طريده .

والمعتبر من الجوارح العقاب ، والبازي ، والصقر ، والشاهين ، والكلب بجميع أنواعه وألوانه ، والفهد وعناق الأرض والنمر .

أما الأسد والذئب والخنزير فلا يجوز الصيد بها؛ ذلك لأن الأسد لا يعمل لغيره ، والذئب لا يُتصور منه التعلثم ؛ إذ من « التعذيب تهذيب الذيب » - كما يقولون - والخنزير نجس العين فلا يجوز الانتفاع به .

ولا يؤكل صيد الجوارح إلا إذا كانت (معلّمة) وذلك أخذاً من قوله جل شأنه «وما عَلَّمْتُمْ من الجوارح مُكَلِّبِينَ» إذ أن معنى «مكَلِّبِينَ» «معلّمين الاصطياد»؛ ذلك لأن المكَلِّب - بكسر اللام - هو معلّم الكلاب ومؤديها، ثم عمّ في كل من أدب جارحاً وراضه ، واستفاد « مكَلِّبِينَ » إما من الكلّب وهو الحيوان النابح المعروف؛ لأن التأديب أكثر ما يكون في الكلاب فاشتقّ من لفظه لكثرة في جنسه، أو لأن السبُع مطلقاً يُسمى كلباً، أو اشتقاقها من

(١) سورة الأنعام الآية ٦٠ .

الكلب بمعنى الضراوة حيث يقال : هو كلب بكذا إذا كان ضارياً به .
 وحده تعلم الجراح أن يسترسل إذا أرسلته وأن ينزجر إذا زجرته وأن
 ينصرف إذا دعوته وأن يُمسك الصيد على أهله لا على نفسه ، وأقل ما يعرف
 به ذلك ثلاث مرات ، فإن أكل الكلب من طريدته حرم أكل الطريدة
 لقوله عليه الصلاة والسلام لعدي بن حاتم : إذا أرسلت كلابك المعلمة
 وذكرت اسم الله فكل مما أمسكن عليك إلا أن يأكل الكلب فلا تأكل فإني
 أخاف أن يكون إنما أمسك على نفسه ، (١) .

فإن شرب الكلب من دم الصيد ولم يأكل منه حل أكله لأنه أمسك
 الصيد على صاحبه ، وهذا من غاية علمه حيث شرب ما لا يصلح لصاحبه
 - وهو الدم - وأمسك عليه ما يصلح له وهو اللحم .

أما الجوارح من الطير فأية تعلمتها أن تسترسل إذا أرسلتها وأن تجيبك
 إذا دعوتها ولا يشترط في حل صيدها الامتناع عن أكل الطريدة ، كما هو
 الشأن بالنسبة إلى الكلب ونحوه ، وقيل في تعليل ذلك : إن تأديب سباع
 الطير إلى حد ترك الأكل متعذرٌ ولأن آية التعلّم تبدو في ترك ما هو مألوف
 عادة ، ثم إن الطير متوحش نفور ؛ لذا كانت إجابته عند الدعاء علامة
 كافية على تعليمه ، أما الكلب فهو أليف بطبعه يجيبك إذا دعوته ، لكنه
 معتاد على انتهاب فريسته والأكل منها ؛ لذا كان تركه للأكل آية على تعلمه (٢) .

أما الحيوانات المصيدة فمنها ما يحرم أكله ومنها ما يحل أكله ، فيحرم
 من الطير كل ذي مخلب يُصطاد به كالصقر والبازي والشاهين والنسر والمقاب
 ونحوه ، أما الذي له مخلب لا يُصطاد به كالحمام فإنه يحل أكله .

ويحرم أكل كل ذي نابٍ من سباع البهائم يسطو به على غيره كالأسد

(١) رواه البخاري .

(٢) هناك خلاف بين الأئمة في أمر الأكل وعدمه فمن أراد الاستزادة من الموضوع فليراجع
 كتاب الصيد في كتب الفقه .

والنمر والذئب والدب والفيل والقرد والفهد والنمس (وهو ابن آوى) ،
والهرة أهلية كانت أم وحشية ، أما الذي له ناب لا يسطو به على غيره كالجمل
فإنه يحل أكله .

ويشترط لحلل الطريدة التي يقتلها الجارح في أثناء الصيد أن 'تجرّح' ،
وعند ذلك يقوم جرّحها مقام الذبح . أما الطريدة التي تقع في يد الصائد
حية فلا بدّ من تذكيّتها ، فإذا ماتت قبل الذبح حرم أكلها (١) . وأطيب
الذكاة وأحسنها ما جاء على وفق قول الرسول ﷺ « ... فإذا قتلتم
فأحسنوا القتل ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وليُهدّ أحدكم شفرته وليبرح
ذبيحته » (٢) .

أما الصائد نفسه فيجب أن يُسمّي عند إرسال الجارح ، فإن أرسله ولم
يُسمّ عامداً فالصيد ميتة يحرم أكله .

ويشترط ألا يشرك الكلب المعلم كلبٌ غير معلم ، أو كلبٌ لم يُرسل للصيد ،
أو كلبٌ أرسل وترك مُرسله التسمية عمداً ، وذلك لما أوردناه آنفاً من أن
عدي بن حاتم سأل الرسول ﷺ عن الصيد فقال : « إذا أرسلت كلبك
فخالطته أكلبٌ لم يُسمّ عليها فلا تأكل فإنك لا تدري أيها قتل » (٣) .

هذه 'بجمل' أحكام الصيد في الفقه الإسلامي ، أما نظرة الإسلام إلى الصيد
فتقوم على أنه وسيلة مشروعة من وسائل كسب العيش (٤) .

ج - الصيد في عصر بني أمية :

رأينا من قبل مبلغ حاجة العرب في جاهليتهم للصيد ومدى ولعهم به ،

(١) هناك خلاف بين أصحاب المذاهب حول هذا الموضوع ، وما أوردناه هو ما ذهب إليه
أبو حنيفة وصاحبه .

(٢) رواه مسلم .

(٣) انظر فيل الرام من تفسير آيات الأحكام : ٢٤٢ ، وجامع الأصول للجزيري : ٤٤٧/٧ .

(٤) هذا لإجمال أحكام الصيد ومن أراد التفصيل فليرجع إلى باب الحظر والإباحة في كتب

الفقه ، ففيها ما يروي القليل .

ولحظنا أن 'جلّ صيدهم كان للحاجة وأن أقلته كان للهو والمتعة .

ثم أكرم الله العرب بالإسلام ؛ فما لبث قليلاً حتى جعل من سكان الوبر سكان مدر ، ومن رعاة الإبل والغنم قادة ممالك وساسة أمم ؛ فطعموا من جوع ، واكتسوا من عري ، وامتلا فراغ حياتهم بأروع المعاني وأرفع المثل ، وأصبحوا أصحاب قضية وحمة رسالة ؛ فإذا الذي كان يصيد لسدّ الرمق يجد فيها أفاء الله عليه من غنائم الجهاد وأعطيات بيت المال ما يفنيه عن الصيد ألف مرّة .

وإذا بالذي كان يصيد للمتعة وملء الفراغ يجد أن كل لحظة من لحظات حياته قد امتلأت بالجليل الجليل من الأعمال ، وشغلت بالنبيل النبيل من الغايات والأهداف ، ويوقن أن العمر أكرم وأجلّ من أن يضيع في صيد حيوان أو اقتناص طائر ، وذلك على الرغم من أن الله سبحانه أباح الصيد وجعل له في شرعة الإسلام قواعد وأحكاماً .

ومضى المسلمون على ذلك زمن الرسول الكريم وخلفائه الأربعة الراشدين .

ثم آل الأمر إلى بني أمية ، وغدا المسلمون في بسطة من العيش ، وسعة في الأرض ، وسطوة في الملك ، فنظر الأمويون إلى الأمور نظرة جديدة وصيبروا الخلافة الإسلامية ملكاً عضوداً ، وأغرتهم الحياة بما حفلت به من غنى وثراء وما امتلأت به من متع وطيبات بأن يسلكوا مسلكاً يختلف قليلاً أو كثيراً عن مسلك السابقين من المسلمين ، فقد روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج إلى الشام يتفقد ما فتلقاه أميرها معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه في موكب لم يره من قبل ، وراح إليه في موكب مثله فأنكر عمر رضوان الله عليه ما رآه وقال له : « يا معاوية ، تروح في موكب وتقعدو في مثله !!.. فقال : يا أمير المؤمنين : إن العدو منا قريب ، وله علينا عيون ، فأردت أن يروا للإسلام عزاً » (١) .

(١) الطبري : ٢٤٤/٤ .

ثم تصير الخلافة إلى معاوية رضوان الله عليه ، وينتقل ذات يوم إلى بعض كور الشام لشيء من عمله وينزل هناك منزلاً حيث بُسِطَ له على مكان مشرف من أنزه الأماكن ثم مرت أمامه قطع الإبل وقد ضُمَّ بعضها إلى بعض على نسق واحدٍ وتلتها الرواحل والخيول والجواري فقال: « رحم الله أبا بكر، لم يرد الدنيا ولم ترده ، وأما عمر ... فأرادته الدنيا ولم يردّها ، وأما عثمان فأصاب من الدنيا وأصابته منه ، وأما نحن فتمرغنا فيها ، (١) » .

ثم آلت الخلافة إلى يزيد بن معاوية ، وكان فقيّ مبالاً إلى متع العيش ، رغباً في زينة الحياة .

ومن متاع الحياة وزينتها تلك الجوارح والضوّاري يلمو بها المرء ما شاء أن يلمو ويستمتع بمجائب صيدها ما طاب له الاستمتاع .

وقد كان يزيد - كما يقول المسعودي - صاحب طربٍ وجوارح وكلاب وفهود (٢) ، وكان مولعاً بالصيد مبتدعاً فيه ؛ فهو أوّل من حمل الفهود على ظهور الخيل .

ومن هنا كانت خلافة يزيد بن معاوية - مضافاً إليها العوامل الأخرى - من سياسية واجتماعية واقتصادية سبباً في أن يَفْشُوَ الصيدُ في زمن بني أمية ، وأن يغدو وسيلة من وسائل اللهو ، ومظهرأ من مظاهر الفنى والتسرّف .

ولا غروَ فالناس في عصر بني أمية ما زالوا قريبي عهد بالبادية ، والصيد والطرْدُ من أجل ما في حياة البادية .

والناس في زمن بني أمية أخذوا ينعمون بثراءٍ ما مثله من ثراء ؛ فقد كان رزقهم يأتيهم رغداً من كل مكان .

والصيد بابٌ من التسرّف كبير ، ومجال للإنفاق لا حدّ له ، فصاحب (الببيرة) يقول : إنه لا مؤونة أغلظ من تكاليف آلات الصيد ؛ لأنها خيل

(١) الطبري : ٤ / ٢٤٧ .

(٢) انظر مروج الذهب ١٥٦/٥ (الطبعة الأوروية) .

وفهودٌ وكلابٌ وآلاتٌ تحتاج في كل قليل إلى تجديد، ومن هنا كان لا يُشغَفُ
بالصيد إلا سخي^(١)؛ فكلب الصيد يحتاج إلى دابةٍ ترافقه وتوازره، وهما
يحتاجان إلى غلام يسوس الدابة ويرعى الكلب، ويذكتي الطريدة،
والطريدة تحتاج إلى جارية تطهئها، وهؤلاء - كما قال أبو دلامة للسفاح -
عيال لا بدّ لهم من دار قوويهم وضيعة يُنقَقُ من ريعها عليهم^(٢).

وقد كان في وسع كثير من الناس زمن بني أمية أن يجدوا ذلك كله وأن
يجدوا معه الفراغ العريض الذي يَمَكَّتْهم من اللهب به.

على أن الصائدين زمن بني أمية لم يكونوا جميعهم ممن يتخذون الصيد
وسيلةً للتسو وطريقاً إلى المتعة، وإنما كان هناك صائدون يصطنعون الصيد
زهادةً بما عند الناس، وكفّاً لأنفسهم عما في أيدي الآخرين، ذلك بأن
الصيد «يؤثره رجلان متباينان في الحال... ملكٌ ذو ثروة أو زاهد ذو
قناعة فالملكُ يُؤثره الحُبُّ الغلبَة والظفر أو للطرب واللذة والابتهاج
بظاهر العناد والعمدة.

والزاهد يؤثره لكفّ نفسه عن دنيّ المكاسب والنأي بها عن مصرع
المطالب، ووصون ماء وجهه عن غضاضة الامتحان... ومن هؤلاء من ينال
من صيده ما يكفيه ويتصدق بما فضل عنه توقياً عن المباينة والمعاملة وما
تجره من شبهات، ومنهم من يبيع ما فضل عن قوته وينفق ثمنه في مصالحه
الأخرى، وكانت هذه حال الخليل بن أحمد الفرهودي مع فضله وأدبه وكال
علمه، فقد كان له باز يقتنص به ويوسدُ خدّه لبنة، وكان جلةُ الناس
في عصره يتجاوزونه، ويسألونه أن يشاركهم في أموالهم فلا يثنيه ذلك عن
طريقه ولا يحميد به عن مذهبه، وكان ممن كاتبه وعرضَ عليه ماله سليمان بن
علي الهاشمي فكتب إليه الخليل:

(١) البيزرة: ٢٠.

(٢) انظر خبر أبي دلامة مع السفاح في الأغاني: ٢٣٦/١٠.

أبلغ سليمان أني عنه في سعة وفي غنى غير أني لست ذا مالٍ
شعاً بنفسيّ أني لا أرى أحداً يموت هزلاً ولا يبقى على حالٍ (١)

ومها تكن الأسباب والدواعي فقد شاع الصيد في زمن بني أمية وقشا
بين الناس ، وأصبحت تمارسه أصناف كثيرة منهم ، وغدت تمتد له الرحلات
ومقام الحفلات التي يجتمع فيها أشتات من الناس ويختلط في حوتمها الحابل
بالتابل ، ويتخلسى فيها ذور الوقار عن وقارهم ، وصاحب « الجمهرة في علوم
البيزرة » يروي لنا خبر رحلة من رحلات الصيد هذه ويصور فيها شغف
الناس بهذا الضرب من اللهو وإقبالهم عليه تصويراً بارعاً يذكرنا بصور بعض
حفلات الأعياد التي تقام في أوروبا في أيامنا هذه .

فاستمع إليه وهو يصف لك حفل صيد اشترك فيه هشام بن عبد الملك
حيث يقول : « وذكروا أن هشام بن عبد الملك خرج ذات يوم للقنص فلما
توسط مكان الصيد اختلط الناس بعضهم ببعض ، وأنكر في حوامة الصيد
الأخ أخاه ، والوالد ولده ، والخدام سيده ، وجعل الناس يصيدون من كل
جانب ، كل بما معه من آلة الصيد ، فمنهم من يرمي بالنبل ، ومنهم من
يتصيد بالجوارج ، ومنهم من يتصيد بالفهود ومنهم من يتبع المتصيدين لطلب
الفرجة ، قال : وهشام قائم على نشز من الأرض ينظر إلى من يتصيد ،
فبينما هو قائم ينظر ومعه ثلاثة نفر ، وإذا فارس يركض على سرب ظباء
ويطرده فلم يزل به إلى أن وصل إلى هشام ، فنزل من كان معه إلى السرب ،
وتبع كل واحد منهم ظبياً وتبع هشام ظبياً كذلك » (٢) .

بل إن هشاماً عرض نفسه ذات يوم للضرب والإهانة في رحلة من رحلات
الصيد هذه ، فقد جاء في أنس الملا ، « أن بعض الخلفاء - وهو هشام بن
عبد الملك ، وكان مولعاً بالصيد - قد انفرد عن صحبه فساقته قدماء إلى

(١) انظر البيزرة : ٢٠ .

(٢) انظر الجمهرة في علوم البيزرة : الورقة ٤١ .

بيت شعر فيه أعرابي^١ وعنده فرس ارتبطه^٢ وكان من هشام ما أحفظ
الأعرابي فتشاجرا فاغلظ هشام القول للأعرابي ، فوثب الأعرابي على فرسه
وطعن هشاماً برمح فشجه وأدماه ، (١) .

فهشام إذن كان صياداً ، وكان يشهد حفلات الصيد الصاخبة التي تذهب
بوقار الخلافة وأبهة الملك ، وكان يشارك عامة الصائدين في لهوم وطربهم
ونشوتهم ، يجلس أنفاسه في المواقف المثيرة ويستخفه الطرب فيجري وراء
الطريدة كما يجري الغلمان ، إنه أشبه ما يكون بهاور من هواة كرة القدم في
أيامنا هذه ، يشهد حفلاتها ويحتاج في مواقفها الحاسمة ويشجع الفريق الذي
يؤمره وبأسى عليه إذا أخفق .

بل إن هشاماً ذهب إلى أبعد من ذلك فرسم في قصره للصيد رسماً خاصاً
به وجعل له في أعماله وعملاته نصيباً ، واختار المنصب الجديد حاذقاً من
حذاق هذا الفن وإماماً من أئمة ، وأسلم إليه ضواريه ليؤدبها إذا جهلت ،
ويطببها إذا مرضت ويروضها على الصيد كلما آنس بها حاجة إلى الرياضة ،
ذلكم هو الغطريف بن قدامة الغساني^٣ ، وكان يُسمي صاحب صيد هشام بن
عبد الملك .

فكما كان المشرطة صاحب^٤ وللحسبة صاحب^٥ أصبح لدى الدولة الأموية
للضواري صاحب^٦ أيضاً .
والغطريف بن قدامة هذا عالم كبير من علماء البيزرة ومرجع موثوق
يرجع إليه في شؤونها .

فقد قال صاحب كتاب الطيور في مقدمة كتابه : استخرجنا هذا الكتاب
من خزانة الرشيد وعرضناه على الغطريف بن قدامة الغساني صاحب ضواري
هشام بن عبد الملك والوليد فمرفه ، وذكر أن معاذ بن أسلم زادهم فيه
كلمات للموك الأكارسة (٢) .

(٢) انظر أنس الملا : ١٧ .

(٣) كتاب الطيور : ١ وما بعدها .

وصاحب كتاب الطيور لا يفتأ يقول : قال الغطريف كذا ... وقال الغطريف وأدم بن محرز كذا ... وقالوا (يعني الغطريف وأدم) كذا ... مما يجعل 'جل' الكتاب رواية عنها (١) .

وصاحب كتاب القانون في علم البيزرة ينقل عن الغطريف أيضاً كما ينقل عن أدم فيقول : « قال الغطريف بن قدامة وكان استاذاً حاذقاً في معرفة الضواري قيماً بأمرها » (٢) .

والغطريف بن قدامة هذا كان 'مطليماً' - كما يبدو - على آثار الأمم الأخرى في البيزرة واقفاً على ما جاء فيها ، فقد نقل عنه صاحب كتاب القانون في علم البيزرة قوله : « وجدنا في كتاب خاقان صاحب الترك كذا ... » (٣) .

ورث الوليد بن يزيد عن هشام بن عبد الملك ولعه بالضواري فاصطنع الغطريف بن قدامة من بعده ، وجعله صاحباً لضواريه حين آلت إليه الخلافة .

بل إن ولع الوليد جاوز الحد مما جعل هشاماً نفسه يعمل على الكف من غلوائه في ممارسة اللهو بالضواري وغيرها (٤) .

وكان من الطبيعي ألا يقتصر اقتناء الجوارح والضواري والصيد بها على الخلفاء وحدهم وإنما شاركهم في ذلك الأمراء والأثرياء وذوو الوجاهة ، فهذا هوذا عبد الملك بن بشر بن مروان يفتنى الفهود ، ويولعُ بها ولما حمله على أن يستدعي شاعراً فحلاً من شعراء الطرَد ليصفها له ؛ فقد روَى الأصمعي أن عبد الملك بن بشر قال لأبي النجم العجلي : صف لي فهودي هذه ، فوصفها له في أرجوزة تأتية معروفة (٥) .

(١) انظر كتاب الطيور تجد مصداق ذلك في أي صفحة من صفحاته .

(٢) انظر كتاب القانون في البيزرة : الورقة ٦ وما بعدها .

(٣) انظر الطبري : ٥/٥٢٠ وما بعدها .

(٤) انظر المصدر السابق .

(٥) انظر الأعاني : ١٠/١٦٠ .

مما تقدم يتضح لنا أن اقتناء الجوارح والضواري ، والاستمتاع بالصيد بها والسخاء في الإنفاق عليها ، واتخاذ الوسائل العملية في تضريرتها على الصيد والسمهر على صحتها غدت مظهراً من مظاهر الحياة في عصر بني أمية .

وأن المتأخرين من خلفاء هذه الأسرة جعلوا للصيد وضواريه شأناً في أعمال الدولة ، وسمّوا له «صاحباً» يقوم عليه ويرعى شئونه كما كان للشرطة والحُسْبنة وغيرهما صاحباً أيضاً .

د - الصيد في عصر بني العباس :

لما دالت دولة بني أمية وآل الأمر إلى بني العباس كانت الراية الإسلامية ترفرف على أكثر أصقاع المعمورة ثروة وأوفرها غنى ، وكان خراج هذه الأرض العريضة يُجسبى من هنا وهناك ثم لا يلبث حتى ينصبّ كله أو جلته في خزائن بني العباس ، وكانت الدنيا تقبل على الناس ضاحكةً مستبشرة تحمل إليهم الحضارة وزخرفها ، وتسوق لهم الغنى ومتاعه ، يضاف إلى ذلك أن ربح الفتح والغزو قد ركبت وأصبح همُّ الخلفاء الجدد مقصوراً على حماية حدود دولتهم من أن تُنال أو تُنتقص ، وحفظ سلطاتهم من أن يخرج عليه خارج أو يثور به فائز .

ثم أقبل الحكام والمحكومون على الترف يكثرعون منه ثم لا يرتون وأوغلوا في المتع يلتمسونها إلتهاماً ثم لا يشبعون .

وكانت متع الصيد ولذائذاته في طليعة ما أقبلوا عليه ، فجملوا يقضون في حفلاته ورحلاته أجمل أيام العمر ، وينفقون على جوارحه وضواريه مُنْفَسَ المال .

ومما زاد في هذا الإقبال عظم مكانة العنصر الفارسيّ في الدولة الجديدة ، والفرس - كما رأينا من قبل - ذوو شأن في الصيد عظيم ضرّوا جوارحه وراضوا ضواريه ، وأتقنوا فنونه ، وأحكوا آلاته ، فلما صار لهم في المجتمع الجديد مقام الريادة والتوجيه نقلوا إليه كل ما كان لديهم في هذا المجال .

وكانت ولايةُ السفاح شأنَ المسلمين سبباً آخر من أسباب ولع الناس بالصيد وإقبالهم عليه ؛ فأبو العباس كان قبل أن يلي الخلافة يحيا حياة فيها كثير من الفراغ ، وفيها رغبة في الابتعاد عن متناول أيدي ولاية بني أمية ، وكان ذلك يغريه بالصيد ويدفعه إليه .

ومن هنا نشأ السفاح صائداً ، فقد صاد وهو غُلَيْمٌ صغيرٌ (١) وصاد وهو شابٌ يافع ، ثم صاد بعد ذلك وهو خليفة مكتهل (٢) .

وكان كثير الولع بالضواري (٣) ، شديد اللهج بالصيد (٤) ، وكان إذا تخلفت ضواريه ولم تصد الصيدَ الذي يليق بها وبه شكاً من ذلك وخجلاً ، وجعل يخرج إلى الصيد منفرداً عن عسكره ليس معه إلا خاصته من أمثال خالد بن صفوان ومن يساويه في المرتبة .

وكان ينذر النذور لله إذا نجح في صيده ، ويُثيبُ أجزل الثواب للذي يظن أنه كان سبباً في نجاحه (٥) ، فقد روي عن خالد بن صفوان أنه قال : « خرجتُ مع السفاح يوماً إلى الصيد وكان كثيرَ الولوع بالضواري ، وكان قد شكاني في تلك الليلة ما يجده من قلة نجاح ضواريه في الصيد ، وطلب أن يتَّصِّدَ منفرداً وقال : مر - يا خالد - أن يُنادَى في الناس ألا يبتغي الصيدَ أحدٌ غيري فإنني أخجل من قلة عمل ضواري ؛ فنودي في المسكر : أن ارجعوا فرجعوا إلا من أختاره السفاح ، فسرنا غير بعيد ، فقال إن سررتنا في صيد هذا اليوم تصدقتُ الله بكذا وكذا ، وكان قد اختار من ضواريه القليل وترك الكثير في المُخَيِّم ، وإذا أعرابي ينادي جارية له مع إبله : يا سعادة ، يا سعادة ، فقال السفاح : ويلك يا خالد ، قلت لبيك يا أمير المؤمنين :

(١) انظر البيزرة : ٤٢ .

(٢) انظر البيزرة : ٤١ .

(٣) أنس الملا : ١٤٢ .

(٤) البيزرة : ٤١ .

(٥) أنس الملا : ١٤٢ .

قال : إني قد سررت بهذا الاسم ، وإني لأظن بأن الضواري كلها ستصيد في هذا اليوم ، ثم أمر بعض غلمانه بأن يمضي إلى المَخِيْمِ وأن يحضر ما تبقى من الضواري وألا يترك منها شيئاً ، فقلت يا أمير المؤمنين : إني لأعجب من أنك كنت تشكو من الضواري ثم ها أنت تأمر بإحضارها جميعاً فكأنك قد استبشرت بهذا الاسم ، وغلب على ظنك بأن النجاح سيكون في هذا اليوم ؟ فقال : نعم وستجد مصداق ذلك قريباً ، ولما وصلنا إلى المتصيد اصطدنا يجمع ما جيء به من الضواري ثم أقسم أنه اصطاد ببعض الضواري التي لم تكن قد صادت من قبل (١) .

وقد كان السفاح كثير التفاؤل في الصيد شديد التشاؤم أيضاً ، فقد روي أنه خرج يوماً إلى الصيد فرأى غلاماً بدوياً صبيح الوجه فقال له ما أسمك ؟ فقال مسعود ، فقال : دلنا على مكان الصيد فدلهم فصادوا ما شاء الله أن يصيدوا ثم عادوا إلى خيمهم وأنعم على الأعرابي بما كان فيه غناه (٢) ، كما روي أنه خرج إلى الصيد يوماً وإذا منادٍ ينادي : يا سعيد مرتين أو ثلاثاً فلما لم يجبه نادى يا شقي فقال السفاح : أول يومنا طيبٌ وآخره رديءٌ (٣) (*) .

وقد أكثر السفاح من رحلات الصيد الصاخبة التي كانت تجمع جِلَّةَ أهل بيته وفيهم أعمامه وأخوه المنصور ، وكبار رجال دولته وفيهم وزراءه ، وكان يمضي في ذلك أياماً حافلة بالمتع والمسرات ، فقد روي صاحب البيزرة (٤) أن السفاح كان شديد اللهج بالصيد ناشئاً ومكتملاً ، وأنه خرج يوماً 'متنزهاً نحو الحَوْرَنْتَقِ' (٥) في يوم من أيام الربيع ومعه جمعٌ غفير من أهل بيته

(١) أنس الملا : ١٤٢ .

(٢) أنس الملا : ١٤٣ .

(*) لا يخفى على القارئ أن الشرع والعقل لا يقران ذلك .

(٣) أنس الملا : ١٤٣ .

(٤) انظر البيزرة : ٤١ وما بعدها .

(٥) الحورنق : بفتح الحاء والواو والتون قصر للنهمان الأكبر .

وجاعة من خاصته ومواليه ، فبُسط له هناك ودعا بفدائه ، وحضر مائدته
أعمامه وأخوه المنصور ، وفيما هم كذلك يتضحكون ويأكلون إذ طلع عليهم
أعرابي ، فأشار إليه أبو العباس فدنا منهم ، فقال له : أصب من طعامنا
فجئنا الأعرابي على ركبتيه بعد أن سلّم ثم أكل أكل جائع منهوم مقرور ،
فلما فرغ من طعامه أقبل على أبي العباس وقال بأبي أنت وأمي يا حسن
الوجه ، انتسب إليّ أعرفك ، فتبسّم المنصور ، ثم قال : رجل من اليمن من
عبد المدان ، فقال : أنت والله شريفٌ ولكني أشرفُ منك ، قال أبو العباس :
فانتسب إليّ أعرفك فقال : من بيت قيسٍ من بني عامر ، فقال أبو العباس :
شريفٌ ولكني أشرفُ منك ، فقال : كلا ، ما بنو الحارث بأشرف من بني
عامر إلا أن تكون عارضتني في نسبك ، فقال : ما عارضتُك وإنهم لأحد
طرفي ، قال : فمن أنت ؟ قال : من بني هاشم ، قال : رهط رسول الله
ﷺ ؟ قال : نعم ، قال : شريفٌ والله الذي لا إله إلا هو ، فما قرابة ما
بينك وبين هذا الملك - يعني أبا العباس - قال : قريبة ، قال : بأبي أنت
وأمي أهو الحميمي ؟ قال : هو هو ، قال فآكتم عليّ حديثاً أحدث به عنه ،
قال : آكتمُ عليكم ، قال : رأيتُه وهو عُليمٌ ، يقعد يرمي بالحُميمَةِ فيجمع
بين نبله في مثل راحتي هذه ، وكان يمرُّ بالطائر فيصرعه بسهمه فما يملك حتى
يندجه بسيفه ويقطعه ويضرم له ناراً أو يستعير نارَ مَلَمَةٍ قد أضرمها أهلها
لغداهم فيلقي صيده فيها ، ويرمي بطرفه إليها لئلا يغلبه أحدٌ عليها ، ثم
يأكل الطائر نتفاً بريدسه مع شظيةٍ من لحمه حتى يأتي على ما فيه لا يشركه
فيه عشير ولا خليل .

فصاح به داود بن علي عمُّ السفاح : اسكت فضّ الله تاجدك ، إنما تخاطب
أمير المؤمنين ، فقال أبو العباس لداود : يا عمّ ، ما هذه المعاشرة ؟! رجل
يتكلم على الأنس والانبساط وقد تحرّم بنا ولزمننا ذمامه فأرعبته وأوهنت
متمته وقطعت حديثه ، تكلم يا فتى ، فلما سمع الأعرابي ما قال داود أردف
يقول : وكنت أرى في هذا الفتى أمارات خير تدل على أنه سيملك ما بين

لا بَقِيَّتِهَا ، قال وما هي ؟ قال : لينُ الجانبِ والصَّفْحُ عن الجاهل ، والبذلُ
للنائلِ مع كَحْتِيدهِ الكَرِيمِ وموضعه عن النبوة ، فضحك أبو العباس حتى فحَصَ
الأرضَ برجليه وضحك أهل بيته ، وأمر له بألف دينار وكساء وحمله .

من هذه الأخبار يبدو لنا تعلقُ السفاح بالصيد وولعه به على وجه ما
كان يتوقَّعُ من الخليفةِ الأولِ في الدولة الجديدة التي ما زالت تحتاج إلى من
يُرسي دعائمها ويثبِّت أركانها .

فلما آلت الخلافة إلى المنصور لم يسر في الصيد ونحوه من أسباب اللهو
سيرة أخيه السفاح ، ولعل اختلاف شخصيتي الرجلين ، وما تعرَّض له حكم
بني العباس زمن المنصور من انتفاضات وثورات كانا السبب في أن يسلك
المنصور في حياته كلها مسلك الجد وأن يعتمد ما وسعه الاعتماد عن اللهو
بأشكاله كلها ومنها الصيد .

فقد روَى الطبريُّ وابن الأثيرُ أنه « لم يُرَ في دار المنصور لهوٌ قط ولا
شيء يشبه اللهو واللعب والعَبث ... وقد ذكر حمادُ التُّرْكِيُّ قال : كنتُ
واقفاً على رأس المنصور فسمع جلبة في الدار فقال : ما هذا يا حماد ؟ انظر ،
فذهبت فإذا خادم له قد جلس بين الجوارِي وهو يضرب لهن الطنبور ، وهن
يضحكن فجئت فأخبرته ، فقال : وأي شيء هو الطنبور ؟ فوصفتُ له فقال
لي : أصبتِ صِفته ، فما يدريك أنت ما الطنبور ؟ قلت رأيتُه بخراسان ،
قال : نعم ، هناك ، ثم قال : هات نملي ، فأتيتُه بها ، فقام يمشي رويداً
رويداً حتى أشرف عليهم ، فلما بصروا به تفرقوا ، فقال : خذوا الطنبور ،
فأخذ ، فقال : أضرب به رأسه فلم أزل أضرب به رأسه حتى كسرتُه ، ثم
قال : أخرجهُ من قصري وأذهب به إلى « حمدان » بالكرخ وقل له : يبيعه » (١) .

وكما كان المنصور ينزه نفسه عن اللعب بالجوارح والضواري ولا يجيد في
وقته متسماً لذلك كان يأخذ عماله بهذا ويحملهم عليه حملاً ولا يتأخر عن

(١) انظر الطبري : ٣٠٩/٦ وما بعدها ، والكامل : ٤٥/٥ .

تنحية من يتشاغل بالصيد عن شؤون الرعية ؛ فقد روى الطبري^(١) « أن المنصور ولّى رجلاً من العرب حَضْرَموتَ فكتب إليه صاحب البريد أن الوالي يكثر من الخروج في طلب الصيد ببزاة وكلاب قد أعدّها لذلك ، فعزله وكتب إليه : « شكلك أمك ، وعدمتك عشيرتك ، ما هذه العدة التي أعددتها للنكاية بالوحوش ، ونحن إنما استكفيناك أمورَ المسلمين ولم نستكفك أمور الوحوش ، سلّم منا كنت تلي من عملنا إلى فلان بن فلان والحق بأهلك ملوماً مدحوراً »^(٢) .

لكن المنصور على الرغم من ذلك كله لم يستطع القضاء على ولع الناس بالصيد ولم يتمكن من كفه عنده ، فهم قد ورثوا هذا الولع عن بني أمية وعن أخيه السفاح وتعلّقوا بالصيد وتمعنه ولذاته وأخذوا بما فيه من صور الترف الباذخ ومظاهر النعمة والخيلاء ، وأرسوا قواعدهم وأخذوا أنفسهم بآدابه ، فها هوذا واحدٌ من ندمائه وشاعره من شعرائه يتعلّق بالصيد تعلّق المحب بحبوبه ، ويبوح بذلك أمام الخليفة دون أن يتحرّج ، فقد روى صاحب الجهرة في علوم البيزرة أن أبا جعفر المنصور قال لأبي دلّامة : كيف حبّبتك للصيد ؟ فقال كحب المسجون للخلاص من القيد ، فقال وأي الأشياء أحب إليك من الضواري ؟ فقال : أحب الصقر الطويل النفس الأسود الجنس إذا صاد أشبع ، وإذا أمات أوجع ، يصيد الكبير ويُبعثي على الصغير ، وغنّه يا أمير المؤمنين حقير ، فقال : ولم لا تحب البازي وهو خير منه وألذّ وأحسن إصابة وأسرع ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، البازي ملك ولا أقدر أن أتشبهه بالملوك ، وإنما يحمل الملوك الملوك . فقال : فالشاهين ، قال : إنه - يا أمير المؤمنين - كبيرُ القدر كثيرُ القدر ، قال : فالباشق ؟ قال : ملعوبُ الصبيان ، وقد فاتني ذلك الزمان . قال : فاليآئي^(٣) ، قال : ملعوبُ الخدم وأولاد الحشم ، ولا أحب يا أمير المؤمنين أن أشتّم . فقال :

(١) الطبري : ٢١٣/٦ وما بعدها .

(٢) اليآئي : جمع يؤيؤ وهو صنف من الصقور يصاد به .

ما تصنع بلحم الصيد وعندك ما هو أطيب منه؟ فقال: صدقت يا أمير المؤمنين، غير أنني أجد فيه لذة الطرب، وهو الذي أتعبت فيه جوادي وأجهدت فيه مرادي (١).

بل إن أبا جعفر كان يعتقد أن الصيد سيفشو في أولاده وحفدته، وأنهم سينغرمون به غراماً يأخذه الناس عليهم، فأراد أن يجد لهم معذرة يعتذر عنهم بها، لذا فقد ركب ذات يوم فرساً مشهورة (٢) مشمراً عن ذيله وعلى يده باز حتى عبر الجسر باديأ وانكفاً فعبّر الآخر راجعاً وتبينته الناس، فلما عاد إلى مجلسه قال للربيع: ما قال الناس في ركوب أمير المؤمنين على هذه الحال؟ قال عجبوا منها، قال: إنه كان لأmir المؤمنين في ذلك مذهب وهو أنه سيأتي من أبنائنا من يحب الصيد ويتبدل فيه، فأحببت أن يكون مني ما رأيت، فمتى فعل مثله منا فاعل بعدي، قال الناس: قد ركب المنصور على مثل هذه الصورة (٣).

ولم يكذب أبناء المنصور وحفدته وخلفاء بني العباس ظن أبي جعفر، ولم يتمهلوا في هذا الأمر الذي توقعه لهم كثيراً ولا قليلاً، فها هو ذا ابنه المهدي ينشأ محباً للصيد مشغولاً به حتى إنه لا يكاد يقبئه (٤) أو يصبر عنه (٥)، وقد أكثر من رحلات الصيد ورويت له فيها طرائف وحوادث منها ما نقله المسعودي وغيره عن الفضل بن الربيع أنه قال: خرج المهدي متنزهاً ومعه مولاة عمرو بن ربيع وكان شاعراً فانقطع عن المعسكر والناس في الصيد فانتاب المهدي جوعاً شديداً، فقال لعمرو: ويحك، ألا إنساناً

(١) الجهرة في علوم البيزرة، الورقة: ٣٩ - ٤٠.

(٢) المشهورة: فرس مهلهل بن ربيعة وبها يضرب المثل.

(٣) البيزرة: ٤٣.

(٤) يقبئه: من أغب القوم: أي أظلم يوماً وتركهم يوماً.

(٥) البيزرة: ٤٣.

عنده ما نأكل!! فما زال عمرو يطوف إلى أن وجد صاحب مبقلة وإلى جانبها
 كوخ له فقمعد إليه ، فقال له : هل عندك شيء يؤكل ؟ قال : نعم ، رفاق
 من خبز شعير وزبيب وهذا البقل والكراث ، فقال له المهدي : إن كان
 عندك زيت فقد أكملت ، قال : نعم عندي فضلة منه ، فقدّم إليهما ذلك
 فأكلا أكلا كثيراً ... ووافى المعسكرَ ولحقته الخزائن والخدم والموكب ،
 فأمر لصاحب المبقلة بثلاث بدر دراهم ، (١) .

ومن أخبار رحلات صيد المهدي ما رواه كشاجم من أن المهدي كان في
 رحلة صيد ومعه علي بن سليمان وأبو دلامة فأنير أمامهم ظبي فرماه المهدي
 فأنفذه ورمى علي بن سليمان فأصاب كلباً من كلاب الصيد فقتله فقال أبو دلامة :

قد رمى المهدي ظبياً شكّ بالسهم فؤاده
 وعلي بن سليمان ن رمى كلباً فصاده
 قهينياً لها ، كل امرئ يأكل زاده (٢)

بل إن هناك من يروي أن المهدي قتل في رحلة صيد ، فقد جاء في
 الطبري وابن الأثير أنه اختلّف في سبب وفاة المهدي « فذُكر عن واضح
 قهرمان المهدي أنه قال : خرج المهدي بتصيّد بقرية يقال لها « الردّ بما
 سبذان » فلم أزل معه إلى بعد العصر ثم انصرفت إلى مضربي وكان بعيداً
 عن مضربه ، فلما كان السجّر الأكبر ركبت لإقامة الوظائف فإنني لأسير في
 برية وقد انقردت عمن كان معي من غلماني وأصحابي إذ لقيني أسود عريان
 على قتود رحل فدا مني ، ثم قال : يا أبا سهل ، عظم الله أجرك في مولاك
 أمير المؤمنين ، فهمت أن أعلوه بالسوط فغاب من بين يدي ، فلما انتهيت
 إلى الرواق لقيني مسرور ، فقال لي : أبا سهل عظم الله أجرك في مولاك
 أمير المؤمنين ، فدخلت فإذا أتابه مسجى في قبة فقلت : فارقتكم بعد العصر ،

(١) مروج الذهب : ٢٣٤/٣ وما بعدها والكامل : ٧٢/٥ .

(٢) المصايد والمطارد : ١٦٦ .

وهو أسرّ ما كان حالاً وأصحّه بدنًا ، فما كان الخبر !؟ فقالوا : طردت الكلابُ ظبياً فلم يزل يتبعها فاقترحم الظبيُ باب خربة فاقترحت الكلابُ خلفه واقترحم الفرسُ الذي كان عليه المهديُّ خلفَ الكلابِ فدقَّ ظهره في باب الخربة فمات من ساعته (١) .

وقد عرف ملوك البلاد المجاورة ولع المهدي بالضواري وشدة شغفه بالصيد حتى إن « ميخائيل بن ليون » عظيم الروم لما وقف على ذلك أهدى إليه كتاباً في فن البيزرة كان لأوائل الروم (٢) كما أشرنا إلى ذلك من قبل .

ثم كان الرشيد - على ما عُرف به من تقيّ وحزم - صاحب ولع بالصيد وتعلّق به ، فقد روى صاحب البيزرة أن الرشيد كان ذا حظٍّ في الصيد ، وأنه كان يرتاح له ارتياحاً شديداً حتى تحمله الأريحية على ركض فرسه والشدة في إثر الطريدة (٣) ، وكان إذا نمي إليه خبر مُتفني في الصيد استقدمه إليه واتخذ لنفسه ؛ فقد روى صاحب « أنس الملا » : أنه كان في زمن الرشيد رجلاً من أهل البصرة اسمه إبراهيم البازيار يصيد جميع الطير ، وكان له كتاب في البيزرة ، وكان من أدوات صيده التي استحدثها قصب الدبّق ، فاستدعاه الرشيدُ إليه وأحلته عنده منزلةً عاليةً لمعرفته بالضواري وبالذّبّق ، وقفرع التدبّيقُ من إبراهيم البازيار ، ودبّقَ الناس بعده بخمس قصبات أو أكثر زمن المأمون (٤) .

وكانت للرشيد رحلاتُ صيدٍ صاخبةٌ يقوم بها ومعه رجال دولته وبعض شعرائه من أمثال أبي نواس ، وكان الخليفة يتخلّى في هذه الرحلات عن وقاره ويحيدُ في نفسه على من يتزمتَ منهم أو يتعرجُ ؛ فقد أخبر بعض ولد عبد الملك بن صالح الهاشمي عن أبيهم أنه قال : كنتُ أحضر مع الرشيد الطرد

(١) انظر الطبري : ٢٩٣/٦ والتكامل : ٤٨/٥ .

(٢) انظر مقدمة كتاب الطيور .

(٣) انظر البيزرة : ٤٣ .

(٤) الجهرة في علوم البيزرة ، الورقة : ٥٦ وأنس الملا : ٨٢ .

كثيراً فشده معه يوماً ومعنا حسين الخادم^١، وكانت الحال بيني وبينه متباعدةً وكان لا يزال يتتبع هفواتي ويغري بي الرشيد فأرسلت الكلاب على طريده وأعطى الرشيد لفرسه عنانه واندفع يشتد في طلبها فلم أتبعه ولا زدت في عنان فرسي فاغتمت حسين ذلك وأسرع إلى الرشيد وقال له : لو زاد عبد الملك بن صالح في عنان فرسه حتى يلحق بأمر المؤمنين ما كان في ذلك من بأس، فقال الرشيد: أستجئلهنا أبو عبد الرحمن، ولم ير مساعدتنا على ما نحن فيه؟! فقال: قد فعل ذلك، ثم أمسك الرشيد فضل عنانه وتوقف حتى دنوت منه فعاتبني على ما أنكره، فقلت: يا أمير المؤمنين العذر واضح، قال وما هو؟ قلت: أنا على فرس لا أثق به، قال: عذر، وأمر لي بدابة فركبتها وفسايرنا غير بعيد إلى أن أثرت طريده أخرى ففعل مثل فعله الأول ولزمت حالي الأول فاشتد إنكاره وجعل يلومني فلحقته فقال: أفلننا العلة فما استلقيت الزلة، فقلت: يا أمير المؤمنين إذا كنت لا أثق بفرسي وقد بلوته، فأنا بما لم أبله أقل ثقة فقال: لا، ولكن السكينة والوقار أفرطاً على أبي عبد الرحمن وكان هذا بعض ما أحفظه علي^(١).

وكان يخرج إلى الرقة أو غيرها ليصطاد، ثم يمضي في ذلك الأيام الطوال ذوات العدد^(٢).

ولم يقف هذا الولع بالصيد عند الخليفة وحده وإنما تجاوزه إلى عماله؛ فلما رفع إليه أمر بعضهم لم يفعل به كما فعل المنصور بصاحبه من قبل، وإنما اكتفى بكتاب يوجه إليه، فقد روى المسعودي: أنه ورد على الرشيد يوماً كتاب صاحب البريد بخراسان، وقد جاء فيه: إن الفضل بن يحيى تشاغل بالصيد واللذات عن النظر في أمور الرعية فلما قرأه الرشيد رمى

(١) انظر البيزرة: ٤٣ وما بعدها والمصايد والمطارذ: ٣ وما بعدها. وقد جعل يحيى بن برمك بدلاً من حسين الخادم.

(٢) انظر الطبري: ٥٣٩/٦ و٤٢٥.

به ليحيى بن خالدٍ - وكان بين يديه - وقلقه له: يا أبتِ اقرأ هذا الكتاب، واكتب إليه بما يردعه عن فعل هذا، فد يده إلى دواة الرشيد وكتب إلى الفضل على ظهر كتاب الرشيد: حفظك الله وأمتع بك قد انتهى إلى أمير المؤمنين ما أنت عليه من التشاغل بالصيد ومداومة اللذات عن النظر في أمور الرعية ما أنكره، فعاود ما هو أزينُ بك؛ فإنه من عاد إلي ما يزينه لم يعرفه أهلُ دهره إلا به والسلام، (١).

وكما عُرف عن المهدي في الآفاق ولمه بالصيد وأدواته فقد عُرف مثل ذلك عن الرشيد فاعتنم «نقفور» ملك الروم إحدى المناسبات الطيبة وأهدى الرشيد اثني عشر بازيًا وأربعة أكسبٍ من كلاب الصيد ليتقرب إليه بها (٢).

ثم آل الأمر من بعد الرشيد إلى ابنه محمد الأمين فكان - كما يقول صاحب البيزرة - أشدَّ انهماكًا بالصيد وأحرص عليه من كل من تقدّمه (٣) فهو ما كاد يلي الخلافة حتى «بعث في الأمصار يطلب المهتمين وجعل يضمهم إليه، ويجري عليهم الأرزاق ونافس في ابتياع قُرّه الدواب وأخذ الوحوش والسباع وغير ذلك» (٤) وشاع ذلك عنه وعُرف بين الصائدين فطفقوا يأتونه بصيدهم، فقد روى المسعودي أن الأمين اصطبغ يوماً - وكان أصحاب اللبايد والحراب قد خرجوا على البغال إلى سبعٍ كان بلغهم خبره بناحية (كوثى) و (القصر) فاحتالوا عليه إلى أن أتوا به في قفص من خشب على جبل بختي فحطّ بباب قصر الأمين وأدّخل عليه فلما مثل في صحن القصر والأمين مصطبغ قال لهم: خلّوا عنه وافتحوا باب القفص، فقبل له: يا أمير المؤمنين، إنّه سبعٌ هائل أسود وحشي (٥). بل إنّه بالغ في تعلقه بالصيد مبالغة جاوزت كل

(١) مروج الذهب: ٤٨٤/٣.

(٢) انظر الطبري: ٥١٠/٦ وما بعدهما.

(٣) البيزرة: ٤٦.

(٤) انظر الطبري: ١٠٢/٧.

(٥) انظر مروج الذهب: ٣٠٧/٣.

حد ، ففي سنة خمس وتسعين ومائة حيث كان الصراع بينه وبين أخيه المأمون في ذروته وكان مصيره معلقاً على وقفة حازمة يقفها ، وجه قائده علي بن عيسى لحرب المأمون فقتل ، فلما جاءه نعيه « كان في وقته ذلك على الشط يصيد السمك فقال للذي نعي إليه قائده : ويلك دعني فإن (كوثر) (١) اصطاد سمكتين وأنا ما صدت شيئاً » (٢) .

والخبر التالي الذي رواه المسعودي أبلغ من سابقه في استهتار الأمين بالصيد فقد قال « إبراهيم بن المهدي : استأذنت على الأمين يوماً وقد اشتد عليه الحصار من كل وجه فإذا هو قد طلع إلى دجلة بالشباك ، وكان في وسط قصره بركة عظيمة وفي المخترق شباك حديد فسلمت عليه وهو مقبل على الماء والخدم والغلمان قد انتشروا يفتشون الماء وهو كالواله ، فقال لي - وقد ثنيت بالسلام وكررت - : لا تؤذوني فمقرطقي ذهب في البركة مني إلى دجلة ، ومقرطقتنه هذه سمكة كانت صيدت له وهي صغيرة فمقرطها حلقتين من ذهب فيهما حبتا دري ، قال فخرجت وأنا يائس من فلاحه ، وقلت : لو ارتدع من وقت لكان هذا الوقت » (٣) .

أما المأمون فما عرف عنه أنه أولع بالصيد كما أولع به الخلفاء الذين سبقوه أو الذين لحقوه أيضاً ، وإنما كان مولعاً بجالس العلم يعقدها في بلاطه ويحشد لها جللة العلماء ، مشغولاً باقتناء الكتب يحتلبها من كل مكان ، ويبدل في سبيلها أغلى الأثمان .

لكن أشد خلفاء بني العباس ولماً بالفروسية والصيد إنما هو المعتصم ، فقد قال عنه « كشاجم » : « إنه كان أكثر خلفاء بني العباس مخالفة

(١) كوثر : اسم خادم الأمين .

(٢) مروج الذهب : ٣٠٦/٣ وما بعدها .

(٣) المصدر السابق .

للصيد ، وأخفهم فيه ركاباً ، لتوفر ممتته على الفروسية وما شاكلها (١) .
وكانت له رحلات صيدٍ يُمضي فيها الأيام الطوال ، فينشطُ لذلك جسمه ،
وتنبسط نفسه ، ويزداد إقباله على الطعام .

بل إنّه اختار الأرض التي بنى عليها « سامراً » في رحلة صيد ، لما
وَجده في مكانها من طيب المناخ واعتدال الجو ؛ فقد روى المسعودي : أن
المعتصم كان في رحلة صيدٍ فانتهى إلى مكانٍ واسعٍ تُسافرُ فيه الأبصارُ ،
وهواءٍ طيبٍ ، وأرضٍ صحيحة ؛ فاستمرأها واستطاب هواءها ، وأقام
هناك ثلاثة أيامٍ يتصيد في كل يوم ، فوجد نفسه تتوق إلى الغذاءِ وتطلب
الزيادة (٢) .

وكان المعتصم لقرط شجاعته واعتداده بنفسه يُعِين في الصيد ، ويبتعد
عن أصحابه ، ويُسامرُ الذين يلقاهم في الفلوات ، ثم لا يكون حديثه معهم
إلا عن الصيد وطرائفه .

فقد روى صاحب البيرة عن ابن الداية (٣) أن المعتصم أوغل يوماً في
الصيد وحده ، فبصرُ بقانص يصيد ظباء فاستدناه وقال : حدثني عن أعجب
ما رأيت في صيدك ، فقال : « خربقتُ » (٤) المشارع التي تردّها الظباء فلما
شمت الحريق رجعت عطاشاً ولم تشرب ، ثم عادت من غدٍ فانصرفت أيضاً
عطاشاً ، ثم عادت في اليوم الثالث بأجمعها ، فلما جهدها للعطش رفعت
رؤوسها إلى السماء ، فأثأها الغيثُ ، فلما انصرفت حتى رويت وخاضت
في الماء ، (٥) .

(١) المصايد والمطارد : ٥ .

(٢) مروج الذهب : ١٠/٤ .

(٣) هو أحمد بن يوسف الكاتب وزير من كبار وزراء بني العباس توفى سنة ٢١٣ هـ .

(٤) الحريق : نبت كالسم يغمس على آكله ولا يقتله ، وخربق المشارع جعل فيها الحريق .

(٥) البيزرة : ٣٩ .

وقد تأثر الناس بخليفتهم الفارس الصياد فتزيّوا بزِيَّه و اقتدوا بآثاره ؛ فقد جاء في مروج الذهب أنه « غلب على المعتصم حبُّ الفروسية والتشبه بالملوك الأعاجم في الآلة ، ولبس القلانس والشاشيات فلبسها الناس اقتداءً بفعله واثماً به » (١) .

ولم يكن المتوكل الذي ولي الخلافة في أوائل العقد الثالث من هذا القرن أقلّ من أبيه المعتصم تعلقاً بالصيد وإقبالاً عليه ، وإن كان لا يدانيه في فروسيته وشجاعته ، فقد أولع بالفهود وأغرّي بها واستكثر منها ، وكان يهوي صيدها واللعب بها (٢) ، وهو إلى ذلك أول من تصيد بالشبكة ثم اتخذها الخلفاء من بعده ، فكانت المستنجد شبكة .

ويبدو أن شبكة المتوكل هذه كانت حسنة الصنعة غالية الثمن مما جعل بعض البيازرة يقول: إن الشبكة لا تصلح أن تكون إلا للسلطان (٣) .

وفي زمن المعتضد بلغ الاستهتار بالصيد غايته وعدا طوره ، فالخليفة قد ورث عن المعتصم قوِّه وولعه بالفروسية وشغفه بالصيد، فقد روى صاحب المصايد والمطارد : أن المعتضد كان كالمعتصم في أكثر أموره ومآربه ، وأشبه به من سائر أهل بيته وبنيه من الخلفاء؛ لمباشرة الحرب وللصيد وما أشبهها ولم يكن ينفك من حربٍ إلا إلى صيدٍ ولا من صيدٍ إلا إلى حربٍ (٤) .

وورث عن المتوكل الولع بالفهود والاستكثار منها وأرْبى عليه في ذلك حتى قال صاحب الجهرة « وأكثر من اشتهر باللعب بالفهود من العباسيين المعتضد ، فإنه كان شديد الغواية بها » (٥) .

(١) مروج الذهب : ٢٤٦/٤ .

(٢) أنس الملا : ٦٩ .

(٣) انظر أنس الملا : ١٣٧ .

(٤) المصايد والمطارد : ٦ والبيزرة : ٤٦ .

(٥) الجهرة في البيزرة ، الورقة : ٥٤ .

وكان إلى ذلك مفرماً بالصيد بالعقاب (١) ، وهو جارحٌ صعب المنال يمتصم بالشواهي من قمم الجبال ، عسير الترويض إذا كبر وتوحش ، لذا كان عزيزاً نادراً لدى هواة الصيد ، وقد بلغ من شغف المعتضد بالصيد وقفانيه فيه أنه دأب على ممارسة صيد الأسود بنفسه دون أن يُمكن أحداً من مؤازرته في ذلك أو مساعدته عليه (٢) .

فقد روى كشاجم في المصايد والمطارد ، والمنكلى في أنس الملا : أن المعتضد كان يخرج إلى صيد الأسود فيخيم عليها ، ولا يزال يميناً في صيدها حتى لا تبقى منها باقية ، وهو يباشر ذلك بنفسه لا يشركه أحد فيه (٣)

وقد أشاد أحد الشعراء بصيده للأسود وفتكه بها فقال : (٤) :

يا صائدَ الأسد إن صَيندَ كها (٥)
 فلئذْهُ "تَجْتَنِي" ومنفعةً
 لجامعٍ خلتين من رَشِدِ
 للسالكين السُّبُلِ (٦) والقعدِ
 وأيُّ شيءٍ أَجَلٌ منفعةً
 من أسدٍ قاسطٍ إلى أسدِ
 وأيُّ لصٍ أَجَلٌ مرزأةً
 من مُتَلِفِ الروح متلفِ الجسدِ

بل إن المعتضد كان ذا مذهب بالصيد لم يُرَ مثله (٧) ، وشغفٍ به لم يبلغه أحد قبله حتى غدا وكأنه لا يطيق صبراً عنه ؛ فإمّا أن يمارسه بيده وإمّا أن يراه بعينه وذلك أضعف الأحوال ، فقد روى عنه نديّه يجيى بن علي (٨) أنه لما بنى قصره (الثريا) كان يقول كثيراً « أتعلم أن بناءً من أبنية

(١) الجمهرة في البيزرة ، الورقة : ٥٤ .

(٢) أنس الملا : ١١٩ .

(٣) المصايد والمطارد : ٦ وأنس الملا : ١١٩ وانظر البيزرة : ٤٦ .

(٤) المصايد والمطارد : ١٧٣ .

(٥) وردت في المصايد والمطارد : « صيدكا » والتصويب من عندي .

(٦) وردت في المصايد والمطارد : « السيل » ولا يستقيم معها الوزن .

(٧) أنس الملا : ١٢٠ .

(٨) لعله ابن المنجم المتوفى سنة (٨٣٠٠هـ) ، انظر الأعلام .

الخلفاء يشبه هذا البناء أو يعادله في محلٍّ أو موقعٍ !! أما تراني قاعداً على سريري يَعرِضُ علي وزيرِي ، ويُصَادُ بين يديّ صيدُ البرِّ والبحرِ كأنِّي في وسط المتصيد ، (١) .

وقد عرف عمال المعتضد مدى ولعه بالصيد وحيوانه ؛ فجمعوا يهدون إليه الجوارح في جملة ما يسوقونه إليه من الطُرفِ ، فقد روى الطبري أنه في سنة ستٍ وثمانين ومائتين وافت إلى المعتضد هديةً عمرو بن الليث الصفار من نيسابور إلى بغداد فكان مبلغ المال الذي وجهه أربعة آلاف ألف درهم وعشرين من الدواب بسروج ولجم بحلّة ... ومائة وخمسين دابة يجلالٍ مشهرة وكسوة وطيباً وبزاةً (٢) .

والقارىء لا يستطيع أن يتصور مدى تهالك المعتضد على الصيد واندفاعه فيه إلا إذا عرف المبلغ الذي كان مخصصاً له في نفقات الدولة ، ونظر إليه بالنسبة إلى وجوه الإنفاق الأخرى ، فقد كانت جملة نفقات بيت المال في السنين الأولى من خلافة المعتضد العباسي (٢,٥٠٠,٠٠٠) دينار في السنة تُدفع مياومة باعتبار كل يوم سبعة آلاف دينار تُنفق على حرس القصر والغلمان والفرسان وأصحاب الرسائل ، وأصحاب الأخبار والقراء والمؤذنين وشرطة دار السلام ، ونفقات المطابخ والخباز ، ونفقات خزائن الكسوة والخلع والطيب ، وحوائح الوضوء ، وخزائن السلاح ، وأرزاق القائمين في القصر ... وأرزاق الخاصة من الغلمان والمهالميك وأرزاق الحشم والصناع من الصاغة والخياطين وغيرهم ، وأرزاق الحرم وثمان عloffة الكُراع، وثمان الكُراع نفسه والإبل والحيل ، وأصحاب الركاب والجنائب وأكابر المُلهين وجماعة المتطبيين ، وأرزاق الملاحين في الطيّارات والحرفّافات وثمان النفط للنقاطات والمشاعل ، وجاري أولاد المتوكل والوائق والناصر وأرزاق مشايخ بني هاشم

(١) المصايد والمطارد : ٦ والبيزرة : ٤٦ .

(٢) الطبري : ١٩٦/٨ .

وجهورهم ... وأرزاق أكابر الكتاب وأصحاب الدواوين ... والمديرين والأعوان ... ونفقات السجون وثنن أقوات المسجونين ... ونفقات الجسرين وثنن ما يُبدل من سفنها ونفقات البيارستانات وأرزاق الأطباء وأئمان الدوا والاطعام ، إن مجموع ما كان ينفق على ذلك كله في اليوم الواحد سبعة آلاف دينار. كان يُدفع منها سبعون ديناراً يومياً لأصحاب الصيد من البازياريين والفهادين والكلابين ، وهو ما يعادل واحداً في المائة من أصل ذلك المبلغ الذي كان يُنفق في تلك الوجوه التي ذكرناها (١) ، وهو أمر يدعو إلى الدهشة ويبعث على العجب ، ويصور المكانة التي كان يحتلها الصيد في المجتمع العباسي في القرن الثالث الهجري .

ولما آلت الخلافة من المعتضد إلى ابنه المكتفي لم يكن الولد دون أبيه ولعاً بالصيد واستهتاراً به ؛ فقد ورث عن أبيه الخلافة وورث معها جوارحه وضواريه وبيازرتة وفهاديه وكلابيه ، فقد نقل كشاجم عن « شهرام » (٢) أحد خاصة المكتفي وعن أبي بكر الصولي « أن المكتفي لم يتأخر عن مذهب أبيه في الصيد إلا أنه كان أكثر ما يُد منه الصيد بالفهد والمقاب ، وأنه كان يباشر ذلك بنفسه ويمتنع فيها لشدة الشغف به والارتياح إليه » (٣) .

وشغف المكتفي بالصيد قديمٌ يرجع إلى أيام صباه قبل أن يلي الخلافة ؛ فقد روى كشاجم أن المكتفي رُئي بظاهر أنطاكية عند منصرفه عنها مع أبيه المعتضد والفهد رديفهُ ، وقد التمسهُ أهلُهَا للسلام عليه بعد تسليمهم على أبيه فآلقوه على تلك الحال غير محتشم منها (٤) .

ومن طريف ما يُروى عن المكتفي أنه وجد على نديمه وشاعره يحيى بن

(١) انظر تاريخ التمدن الإسلامي : ٦٨/٢ - ٧١ .

(٢) كان شهرام عالماً بالصيد حسن الدربة فيه فاختم به المكتفي .

(٣) المصايد والطارد : ٧ والبيزرة : ٤٨ .

(٤) المصايد والطارد : ٧ ، ٨ .

علي المنجم لهفوة ارتكبتها وهما منصرفان من الرقة ، فعاقبه بأن يُردّ إلى (قرقيسيا) وأن يبقى فيها حتى يصيد أسداً ، فجعل الشاعر النديم يرسل للخليفة الصياد القصيدة تلو القصيدة يستعطفه بها ويستلينه ، فكان مما قاله :

كلّفونا صيدَ السباع وإنّا لنحير إذا لم تصدنا السباع
كل شيء يجوز تكليفه الإنسا ن إلا ما كان لا يُستطاع

حتى عفا عنه (١) .

وقد كان لولع الخلفاء بالصيد وإقبالهم عليه آثارٌ واضحة في حياة المجتمع العباسي ونظرتهم إلى الصيد واقتناء جوارحه وضواريه ، فالناس على دين ملوكهم يقلّدونهم فيما يفعلون ويتقرّبون إليهم بفعل ما يحبون .

ثم إن الطامحين إلى المراتب والمناصب رأوا في إتقان الصيد واصطناعه وسيلة إلى التقرّب من الخلفاء ، فأقبلوا على هذه الهواية إقبالاً منقطع النظير ، واتقنوها غاية الإتقان . وقد زاد من إقبال الناس على الصيد ولعهم بجوارحه وضواريه أنّه غدا في نظر كثيرٍ من الناس علامة على مروءة الرجل ، وآية على فتوّته وظرفه ، وأنّه من جملة الآداب التي ينبغي أن يتحلّى بها الفرسان ، وأنّه من خصائص الملوك ومن كان على شاكلتهم من الأمراء والوجهاء ، فقد قال صاحب كتاب « الجهرة في علوم البيزرة » : « إعلم أنّ اللعّب بالضواري من جملة الأدب ، وهو ممّا يقرب إلى الملوك ، ومن لم يكن ذا أدب فليس له أن يولع بالضواري ، لأن اللعّب بها يفضح ناقص المروءة والأدب » (٢) .

وجاء في كتاب « أنس الملا » : « لقد أجمع العقلاء على أنّه لا يجوز أن يلعب بالضواري إلا الملوك ومن دونهم من كل فتى شجاع القلب سخّي النفس

(١) انظر المصايد والمطارذ : ١٧٤ وما بعدها .

(٢) الجهرة في علوم البيزرة : الورقة ٤٧ .

ثابت العقل، يعلم ما ينفع ضواريه، وما يضرها فيدبترها بعقله، وأن يكون إلى ذلك مكتملاً في آلات صيده (١)؛ ذلك لأنه ما من مؤونة أغلظ على ذوي المروءة من تكلف آلات الصيد؛ لأنها خيلٌ وفهودٌ وكلابٌ وآلات تحتاج كل قليل إلى تجديد، ومن هنا قيل: إنه لا يُشغف بالصيد إلا سَخِي، (٢).

على أن الإخلاص للحقيقة يوجب علينا في ختام هذا الفصل أن نقررَ بأن المجتمع الإسلامي لم يكن كته يرتاح لهذا الإسراف في اقتناء الجوارح والضواري والإمعان في التهالك عليها، وأت أصحاب الورع والتقى كانوا يفرقون بين الصيد للانتفاع وبين اللعب بالجوارح والضواري لمجرد الاستمتاع، فقد روَى صاحب البيزرة أنه لما شهد أبو علقمة المريء عند سوار (٣) القاضي أو غيره من القضاة وقف في قبول شهادته فقال له أبو علقمة: لم وقفت في إجازة شهادتي؟! قال: بلغني أنك تلعب بالكلاب والصقور، قال: من خبرك أني ألعب بها فقد أبطل، وإن كان بلغك أني اصطاد بها فقد صدق، وإني أخبرك أنني جادٌ في الاصطياد بها غير هازل ولا لاعب، فهل وقف مبلغك على الفرق بين الجد واللعب؟ قال: ما وقف ولا أوقفته وأجاز شهادته (٤).

ومن بديع الاعتذار عن الإمعان في الصيد والتهالك عليه ما رواه صاحب البيزرة من أن أحد أبناء الملوك عوتب على شغفه بالصيد وقتل وقته فيه، وكان أديباً شاعراً فأجاب عن ذلك بقوله (٥):

(١) أنس الملا : ٢١ .

(٢) البيزرة : ٢٠ .

(٣) هو سوار بن عبدالله بن سوار قاض معروف له شعر رقيق وعلم بالفقه والحديث توفي سنة ٨٢٤ هـ .

(٤) انظر البيزرة : ٢٨ .

(٥) انظر المصدر السابق .

رَبِّمَا أَغْدُو إِلَى الصَّيْدِ مَعِي
أَلْفُوا الْحَرْبَ فَلَمَّا ظَفِرُوا
وَاسْتَقَامَ النَّاسُ طَرًّا لَهُمْ
وَجَدُوا فِي الصَّيْدِ مِنْهَا شِبْهًا
لِشُرَى عَادَتِهِمْ جَارِيَةً
فَتَنِيَّةٌ هَزَلَهُمْ فِي الصَّيْدِ جِدًا
فَتَحَامَوْا أَنْ يَمَادِيَهُمْ أَحَدًا
كَفَقَدُوا لَيْسَ يُرَى فِيهِمْ أَوْدًا
فَابْتَقَوْهَا فِي مَعَانَةِ الطَّرْدِ
لَهُمْ بَاقِيَةٌ لَا تُفْتَقَدُ



الفصل الثالث

حاجة الصائد إلى المعرفة بالحيوان وطبائعه

سَخَّرَ اللهُ الحيوان للإنسان ، وجعله متاعاً له وزينةً ، فبعضٌ يمتطيه ،
وبعضٌ يقتنيه ، وبعضٌ يفتديه .

وأحلَّ له صيدَ البر والبحر والجو ، فهو يقتنص الوحش من المكائِنِ ،
ويحط السباع من الماقل ، ويستنزل الطير من الهواء ، ويستخرج الحوت
من الماء .

ويَسَّرَ له الصيد وسهَّلَ أمامه سبله ، فخلق له من الحيوانات أنواعاً أغراها
بغيرها ومنحها من آلة الخِلقة وسلاح البُنْيَة وقبول التأديب وحسن الألفة
وكال الاستجابة ما لا يخطر ببال كالفهد والبازي ونحوهما من الضواري
والجوارح .

وحباه من العقول ما مَكَّنَه من التغلَّب على أقوى الحيوانات وتأنيس
وحشيتها وتَضْرِيَةِ سباعها وتسليط بعضها على بعض وجني ثمرات ذلك لنفسه
ولمن معه .

غير أن الصائد لا يستطيع الإفادة من هذه النعمة - نعمة تسخير الحيوان للإنسان - ما لم يقف على طبائع الحيوانات ويدرك مواطن قوتها ، وأماكن ضعفها ، فقد أودع الله فيها من عظيم الصنعة وحبها من غريب المعرفة ما جعل صيدها والانتفاع بها وقفاً على من يعرفها حق المعرفة ويدرك كنهها تمام الإدراك .

« فلكل صنف من أصناف الحيوان احتياطٌ وتدبيرٌ وروغان من الباغي عليه ، واحتيالٌ لأمره ، فهو يحتال لما هو دونه ليصيده ، ويحتال لما هو فوقه ليسلم منه ، ويختار الأماكن الحصينة ويعتمص بها ما منعه ، فإذا أنكرها استبدل بها غيرها » (٢) .

ثم إن لكل صنف من الجوارح ضرباً من الطرائد ترومه وتبتغيه ، وضرباً تخشاه وتتنقيه (٣) .

وطبيعة الحيوانات بعامة تقوم على ثلاثة أمور : أولها طلب القوت لسد الرمق وحفظ الجسد ، وذلك يدفعها إلى الاحتيال لكسب الرزق .
وثانيها استشعار الحذر توقياً للمخاطر ، وثالثها الكيد حرصاً على السلامة والبقاء وحفظ النوع .

بيد أن هذه الأمور الثلاثة لا تتوافر دائماً لسائر الحيوانات ، ولكنها توجد دائماً في كل إنسان (٤) .

والمداوة بين الحيوانات نوعان : حقيقية وعارضة : أما الحقيقية فهي التي تكون بين الحيوانات الآكلة والحيوانات المأكولة ، والصنف الأول أكثر حميلة وأبلغ مكيدةً وأحد شوكةً ، أما الصنف الثاني فهو أكثر خوفاً وأشد

(١) انظر البيزة : ٢٢ .

(٢) انظر الحيوان : ٥٥/٧ .

(٣) انظر الحيوان : ٦١/٧ .

(٤) انظر المصايد والمطارد : ٤١ .

تحفظاً، ومن هنا كان الحذرُ أصلَ في طبائع المأكولات ، لاستفناء الآكلات عنه وقلة حاجتها إليه (١) .

أما العداوة العارضة فهي التي تقوم بين ذكور النوع الواحد بسبب الصراع على الإناث .

هذا وإنّ لكلّ صنف من الحيوانات الآكلة صنفاً تغري به من الحيوانات المأكولة فهي إليه أسرع وعليه أقدر (٢) .

وعلى الصائد أن يكون واقفاً على ذلك كله واضعاً نصب عينيه الإفادة منه بحيث يرمي كلّ صنف بحجّره ويواجه كل مرغوبٍ براغمه ولا يحتمل جارحاً أو ضارياً على خلاف طبيعه ولا يكلفه فوق طاقته ؛ فلا يطلق البازي على الكركي (٣) ولا يرسل السكّاب على الأيّل (٤) ولا يبتغي الثور الوحشي بالفهد، وإنما يسلّط جوارحه وضواريه على الطرائد التي هي دونها قوة وأقل منها قدرة ليحتفظ بشهوتها للصيد ويستبقي حرصها عليه، فلا تزال مشبوبة القدرة موفورة الضراوة عظيمة الثقة بنفسها ، وهذا ملاك أمر الصيد وغاية المعرفة به ونهاية الحزم فيه (٥) .

ثم إنه لا بدّ للصائد من أن يعلم أن لكل حيوان سلاحه الذي يدافع به عن نفسه ويصون به على عدوه، وأنه إذا ما استشعر الخطر فزع إلى سلاحه كما يفزع المقاتل إلى سيفه ، فالجباري تعلم أن سلاحها في سلاحها (٦) تحتفظ به في خزائنه في جوفها وتعرف أن فيه من اللزوجة والتدبيق الشيء الكثير،

(١) انظر المصايد والمطارد : ٤١ .

(٢) انظر المرجع السابق : ٤٢ .

(٣) الكركي : طائر من أعظم الطير طويل الساقين والمنقار .

(٤) الأيّل : صنف من البقر الوحشي قريب الشبه من الظباء .

(٥) انظر المصايد والمطارد : ٤٢ .

(٦) سلاحها : السلاح بالكسر اسم جامع لآلات الحرب ، يذكر ويؤنث والسلاح بالضم :

سلح الطائر وذرقه .

فإذا رامها الصقر يبتغي صيدها قذفت به عليه فيلتصق بمض' ريشه ببعض ويتكتف' جناحاه حتى لا يستطيع حراكاً فتجتمع عليه الحباريات وينتفن ريشه ريشةً ريشةً حتى يعمرى ويموت (١) .

والصقر يعرف ذلك من الحباري ، فهو ما يزال يلقاها عن جنبها ويدخل من تحتها ، ويعلو فوقها حتى تقذف ذرقها ، فإذا قذفته ولم تُصِبهُ انقضَّ عليها وأخذها (٢) .

والكلب' والذئب' ينعيان أن سلاحهما في شدقهما ، والثور' والأيل' يعلمان أن سلاحهما في قرونها لا سلاح لهما غيرها ، فإذا سقطت قرون الأيل استتر عن الحيوانات وتحاشى أماكن وجود القانصين إلى أن تنبت قرونها (٣) .

والأسد' يعلم أن سلاحه في قوة لبدته ، وبعده وثبته ، وحدّة مخالبه ، وعضة نابيه ورهبة زئيره وتوقد عينيه وما له في صدور الإنسان والحيوان من الرهبة ، وأنه يملك مع ذلك القدرة على اللصوق بالأرض وحبس عدوه بإحدى يديه ودقّ عنقه وحطّم صلبه باليد الأخرى إلى ما يتحلّسى به من سرعة العدو والصبر على الجوع واحتمال الظمأ (٤) .

وليس في الحيوان ما هو أردأ حيلة وأقل قدرة في الدفاع عن النفس من الغنم ؛ ذلك لأن الله جعلها لكفاية الناس ووصلها بمجاجاتهم (٥) .

ولا بدّ للصائد من أن يعلم أن في الحيوان من الذكاء والفتنة ما هو كفيل بدفع الشر عنه وجلب الخير له ، لذا كان عليه أن يفطن لفتنته وأن يحسب حساباً لذكائه .

(١) الحيوان : ٦٠/٧

(٢) المصايد والمطارد : ٨٥

(٣) المصايد والمطارد : ٤٣

(٤) المصايد والمطارد : ٤٥

(٥) المرجع السابق .

فالدُّبُّ مثلاً إذا خفي عليه موضع الغنم عوى ليعلم عن مكانه ، فإذا سمعت الكلاب عواءه وخفتت إليه تروم اقتراسه راغ عنها إلى جهة الغنم التي ليس فيها كلب واقترب من الشياخ القاصية .

وهو أكثر ما يعترض الغنم وقت الصبح عندما تكون الكلاب قد استسلمت للنوم بعد سهر الليل الطويل .

وهو إذا تعرض الإنسان ثم خشى أن يعجز عنه عوى فيسمعه غيره من الذئاب وتبادر إلى مناصرته ومؤازرته .

والوعل إذا أحسَّ بالقتاص وهو في مكانه المرتفع استلقى على ظهره ، وقذف بنفسه من شاهق الجبل فينحدر من الأعلى إلى الأسفل معتمداً على قرونه الممتدة ما بين رأسه وعجزه ، فهي تقيه ألم الحجارة لصلابتها وتنجس في هبوطه للاستها (١) .

والثعلب كثيراً ما يتأوت وينفخ بطنه ويرفع قوائمه حتى يُظنّ به أنه قد مات فإذا قرّب منه حيوان وثب عليه فصاده ، ومن طريف حيله التي تم على عظيم ذكائه أنه إذا كثرت في جسده البراغيث ونقصته تناول قطعة صوف بغمه ثم دخل الغدير أو النهر برفق وتدرّج في غمس جسده في الماء بأناسة فتصعد البراغيث من الجزء المبتل من جسده إلى الجزء اليابس فإذا انغمس كله في الماء اجتمعت في قطعة الصوف ، وعند ذلك يلقيها في الماء ويخرج (٢) ، ونحن لو رحنا نمدد طرائف الحيوان ونذكر نوادر ذكائه وبدائع حيله لطال بنا القول .

(١) نهاية الأرب : ٣٢٩/٩ .

(٢) نهاية الأرب : ٢٨٠/٩ .

معرفة العرب بالحيوان والبئيرة

معنى الصيد في لغة العرب أخذُ الحيوان وتصييده وطلبه وهو يطلق على ما تُصيّد أيضاً حيث وُضع المصدر موضع المفعول وسمّي به .
وكلمة الصيد تطلق على صيد البر والبحر ، فقد قال تعالى : « أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعاً لَكُمْ وَاللَّيْتَارَةَ وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرماً » (١) .

أما كلمة القنص فهي بمعنى الصيد حيث يقال قَنَصَ الصيّدَ يَقْنِصُهُ قَنْصاً وَقَنْصاً، واقْتَنَصَهُ وَتَقَنَّنَصَهُ أي صاده والقَنْصُ والقَنْيِصُ ما اقْتَنَصَ، والقَنْيِصُ والقَنْصُ والقَانِصُ الصائد ، والقَنْصُ : جمع قانص .

وأما كلمة الطرد في اللغة فمعناها الشلُّ ، يقال : طرده يطردُه طرْداً وطرداً وطردَه أي شلّه ، والطردُ والطرْدُ الإبعاد ، ويقال طردت الكلاب الصيّدَ أي نَحْتَه وراهقته ، والطريدة ما طردت من صيد وغيره ، والمطاردة في القتال أن يطرد بعض المقاتلين بعضاً ، وفي الحديث « كنت أطارد حية

(١) سورة المائدة : ٩٦ .

أي أخذعها لأصيدها ومنه طراد الصيد ، والمطرَدَ رشح قصير يُطرَدَ به
وُتِطَعَنَ به الوحش ، والطريدة ما طردتَ من وحش ونحوه (١) .

والمتمامل في معاني الكلمات الثلاث السابقة يلاحظ أن العرب لم يفرقوا
بين صيد البر وصيد البحر كما فعلت بعض اللغات الأوروبية كالفرنسية
والإنكليزية التي خصصت كلا من صيد البر وصيد البحر باسم معين إذا أُطلق
انصرف إليه ودل عليه فكلمتا « Chasseur » الفرنسية و « Hunter »
الإنكليزية تطلقان على صائد البر وحده وكلمتا « Pêcheur » الفرنسية
« Fisherman » الإنكليزية تطلقان على صائد البحر وحده ، أما اللغة
العربية فليس فيها هذا التخصص كما رأينا آنفاً .

وعدم التفريق هذا يلفتنا إلى أمر وهو ما أشرنا إليه سابقاً من قلة عناية
العرب بصيد البحر وندرة وروده في شعرهم ، ولاغرو فهم أمة برية صحراوية
قليلة الاتصال بالبحر وليسوا بأمة بحرية على الرغم من أن البحر يحيط بثلاث
من جهات جزيرتهم التي كانوا يقطنون فيها .

وثمة ملاحظة أخرى وهي أن كتب اللغة لم تفرق بين القنص والصيد من
حيث المعنى فعرفت القنص بأنه الصيد وجعلتها لفظين مترادفين لكن المتبع
لاستعمال هاتين الكلمتين عند الكتاب والشعراء يلاحظ أنهم جعلوا لفظ
الصيد أعم من لفظ القنص فاستعملوا الأولى في صيد البر والبحر معاً واستعملوا
الثانية في صيد البر وحده وعلى ذلك قول النابغة :

* أهوى له قانص يسمى بأكنلبيه * (٢)

وقد كان العرب في جاهليتهم على معرفة حسنة بالحيوان وطبائعه فهم
— كما أشرنا من قبل — أمة متبدية تسكن الحيوان في الصحراء: تخشى بعضه
وتفيد من بعضه الآخر وبين الحشية والفائدة تحصل المعرفة القائمة على التجريب

(١) انظر لسان العرب .

(٢) ديوان النابغة : ٥٢ (ط. صادر) .

المنبعثة عن جلب المنفعة ودفع المضرة ، وهي معرفة جيدة ، وإن كانت لا تبلغ حدّ البحث العلمي الدقيق المنظم .

بل إن معرفتهم بالحيوان كاذت مشوبةً في كثير من الأحيان بشيء من الخرافات التي يرفضها العقل السليم وينكرها المنطق القويم ؛ فالنعام والطباء والليبروع والقنفذ - عندهم - من مطايا الجن ؛ لذا فإنهم لا يصيدونها من أول الليل ، فإن قتل أعرابي شيئاً منها في أول الليل لم يأمن على فحل إبله ، وإذا أصابته بعد ذلك مصيبة أو اعتراه شيء حكم بأنه عقوبة لحقته من قبل الجن جزاءً وفاقاً لما اجترح (١) .

أما الأرانب والضباع فليست من مراكب الجن لأن الأرنب تحيض ولا تفقس من الحيض ، ولأن الضباع لا تتطهر من الجنابة (٢) ، وما دامت الأرانب ليست من مطايا الجن فهي - في زعمهم - من مراكب الغيلان (٣) . ثم إن الحمام شيطان (٤) وإن الغراب خدع الديك وخاس به بعد أن تنادما على الشراب عند خمار ورهنه عنده فخرج الغراب سالماً غير غارمٍ وغانماً غير خائبٍ وبقي الديك مرتهناً لا يطير ، وقد ضربت العرب بذلك الأمثال وقالت فيه الأشعار وأدخلته في الاشتقاق (٥) ولو رحنا نتتبع مثل هذا لأطلنا المقال وسمعنا عجباً من العجب .

وعلى أي حال فإنه لا يجوز لنا أن نبالغ في معرفة العرب في جاهليتهم بالصيد وحيوانه ، فقد كان الدافع الأول للصيد عندهم إنما هو الحاجة إلى الغذاء ، وكانت وسائله ضيقة ضيقة ضيق الحياة الجاهلية محدودةً بمحدود إمكانات أمةٍ متبديئةٍ ، وكان الصيد يعتمد أكثر ما يعتمد على الطعن بالرمح والرمي

(١) الحيوان : ٤٦/٦ .

(٢) الحيوان : ٣٠٩/١ .

(٣) الحيوان : ٣٠٨/١ .

(٤) المصدر السابق .

(٥) الحيوان : ٤١٠/٣ ، ٣١٩/٤ ، ٨٠/٤ و ١٩٧ .

بالسهم ولم يكن العرب في جاهليتهم ذوي شأنٍ في الرمي يُذكر على خلاف ما يُتصور ويُقدَّر (١) .

أما الضواري فلم يستعملوا منها في الصيد استعمالاً شائعاً إلا الكلاب - وإن كانوا هم أول من ضرّى الفهد - وأما الجوارح فلم يُضرّوا منها إلا الصقر ، بل إنهم لم يكونوا قادرين على التفريق بينها لذلك دعوا كلَّ جارح يصيد صقراً (٢) .

وأول ثقافةٍ صيديةٍ منظمةٍ أصابها العرب هي ما جاء في القرآن الكريم من أحكام الصيد وما ورد عن الرسول العظيم في شأنه - كما أسلفنا من قبل - لذلك فإنهم جعلوا هذه الأحكام أساساً بنوا عليه ، و«منطلقاً» انطلقوا منه ، ولا أدل على ذلك من أن جلّ كتب البيزرة التي يقف عليها الباحث تُفتتح بالآية الكريمة « يسألونك ماذا أحلّ لهم » (٣) .

بل إن بعض هذه الكتب يجعل ما ورد في القرآن الكريم من إباحة الصيد سبباً في جواز ممارسة الصيد ومعالجة موضوعه ، فها هو ذا كشاجم يقول في ديباجة كتابه بعد أن حمد الله وأثنى عليه : وبعد فإن الله تعالى أحلّ صيد البر والبحر وقد ذكر ذلك في كتابه العزيز فقال : « أحلّ لكم صيد البحر » الآية (٤) ، وورد ذلك في أحاديث نبويةٍ مشهورةٍ فلما أبيض ذلك صار القانصون يحتالون على صيد البر والبحر ، ثم يمضي في تبيان أحكام الصيد في الإسلام حتى إذا وفتى ذلك حقّ التوفية انطلق منه إلى بحث موضوعه (٥) .

وكذلك فعل صاحب الصيد والطرود عند العرب فقد رتب كتابه على ثلاثة مطالب وجعل المطلب الأول في قوله عزّ من قائل « وما علمتم من

(١) انظر الفن الحربي في صدر الإسلام : ١٣٢ وما بعدها .

(٢) انظر لسان العرب و«تاج العروس» (صقر) .

(٣) المائة : ٤

(٤) المائة : ٩٦

(٥) الصايد والمطارد : ٣ وما بعدها .

الجوارح 'مكتسبين' (١) وبنى على الآية الكريمة مبحثاً ضافياً حول حلّ الصيد وحرمة الأحكام المتعلقة به في الإسلام ثم مضى من ذلك إلى معالجة موضوعه (٢) ولم يشذ عن هذا صاحب كتاب الجهرة في البيزرة (٣) .

غير أن العرب لم يقفوا عند حدود هذه الثقافة الصيدية التي جاء بها الإسلام ولم يكتفوا بها ، وإنما انطلقوا يبحثون بأنفسهم ويأخذون من غيرهم ويجمعون ما توافر لديهم من معلومات حول الحيوان منذ العصر الجاهلي وعلى مدى العصور التي تلتها ، فكان من حصيلة ذلك هذا التراث الثمين الذي تمثل في كتب الحيوان والبيزرة .

ويبدو أن علماء اللغة هم الذين وضعوا النواة الأولى لعلم الحيوان والبيزرة ، ذلك بأنهم سبقوا ودوّنوا أسماء الحيوانات الموجودة في جزيرة العرب وأوصافها دون أن ينظروا إلى سياستها وتربيتها وطبها وحسن القيام عليها والانتفاع بها . فلأبي سعيد السكري المتوفى سنة اثني عشرة ومائتين كتاب اسمه الوحوش (٤) .

وللأصمعي المتوفى سنة ست عشرة ومائتين كتاب أسماء الإبل ، وله كتاب الخيل وكتاب (الوحوش) أيضاً .

ولو نظرت في أيّ كتاب من كتب اللغة التي دوّنت أول عهد اللغة بالتدوين وجدت أسماء الحيوان وأوصافه وألوانه تحتل فيها مكاناً كبيراً .

ثم جاء علماء الحيوان والبيزرة من بعد علماء اللغة وأخذوا ينظرون إلى هذه الحيوانات نظرة علمية تعتمد على الوصف والتقويم والموازنة والتحليل وما إلى ذلك مما يتصل بحياة الحيوان وسياسته وطبه ووجوه الإفادة منه .

(١) المائدة : ٤

(٢) الصيد والطرود عند العرب : ٢٧ وما بعدها .

(٣) الجهرة في البيزرة .

(٤) انظر نزعة الألباء : ١٢٩ .

ولعل الجاحظ المتوفى سنة خمس وخمسين ومائتين أول عالمٍ عربيٍّ دون في الحيوان كتاباً علمياً اعتمد فيه التجربة وسيلةً للمعرفة ، والعقل هادياً إلى الصواب ، ففكّر وقدر ، واختبر ، وسأل أهل الذكر عما لا يعلم ، وشكّ فيما نُقِلَ إليه وحكّم في كل روايةٍ منطقته ، وكانت عنده الشجاعة على رفض ما يرفضه العقل وقبول ما يقبله .

وتبدو شجاعته هذه أكثر ما تبدو في رفضه لما رويَ عن «أرسططاليس» - على ما كان له من منزلةٍ - ووصّمه له بما يحبط من قدره ، من ذلك قوله : « وقد سمعنا ما قال صاحب المنطق من قبل ، وما يليق بمثله أن يُخلّد على نفسه في الكتب شهادات لا يحققها الامتحان ولا يعرف صدقها أشباهه من العلماء » (١) .

وهو حين يقبل روايةً من روايات أرسطو يدعّمها بمشاهداته ويحقّقها باختباراته فيقول مثلاً : « وقد زعم صاحب المنطق أن ولد الفيل يخرج من بطن أمه ثابت الأسنان لطول كبشته في بطنها ، وهذا جائز في ولد الفيل غير منكر لأن جماعة نساءٍ معروفات الآباء والأبناء قد ولدن أولادهن ولهن أسنان ثابتة » (٢) .

وهو يعلم الحرب على خرافات العرب المتداولة ويُزري بمعتقداتهم الباطلة (٣) . وهو كثير الاعتماد على التجربة شديد الولع بها يزاؤها بنفسه أو يشاهدها مع غيره (٤) .

وعلى الجملة فإن كتاب الحيوان للجاحظ على الرغم من استطراداته الكثيرة

(١) الحيوان : ١٨٥/١

(٢) الحيوان : ١٢٤/٧

(٣) انظر الحيوان : ٣١٩/٢ و ٣٢٠ و ٣٢١ و ٣٢٢ والكتاب كله طافح بالشواهد على صحة ما أوردناه .

(٤) انظر الحيوان : ٣١١/٤ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، إلى ٣٢٠ والكتاب مليء بالشواهد على صحة ما ذكرناه

وسيطرة الروح الأدبية عليه يعد بحق أول كتاب في الحيوانات يطمئن إليه القارئ لما اتم به من تحقيقٍ وثبتتٍ وتعقّلٍ وهو يُسلِّك صاحبه في عداد العلماء .

وكشاحم صاحب المصايد والمطارد المتوفى سنة ثمانٍ وخمسينٍ وثلاثمائةٍ أول من كتب في البيزرة كتابةً علميةً منهجيةً وصلت إلينا .

غير أن هذا لا يعني أن المصايد والمطارد هو الأثر الأول الذي دوّنه العرب في هذا الفن وإنما هناك آثارٌ سبقته لم يكتب لها البقاء والشيوخ ؛ إما لأنها لا تستحق البقاء والشيوخ ، وإما لأن عوادي الدهر قد عدت عليها ؛ فقد جاء في أول كتاب الطيور (١) :

إن الحجاج بن خيثم قال : « استخرجنا هذا الكتاب من خزانة الرشيد وعرضناه على الغطريف بن قدامة الغساني صاحب ضواري هشام بن عبد الملك والوليد ، فعرفه وذكر أن معاذ بن أسلم زادهم فيه كلمات للملك الأكاسرة ، وذكر أن «ميخائيل بن ليون» عظيم الروم لما سمع بولع المهدي بالصيد ولذته أهدى إليه كتاباً كان لأهلهم في ضواري الطير ، فأمر المهدي بإحضار آدم ابن محرز الباهلي وكان قد سمع منه كثيراً من نوادر العرب المتصلة بالضواري فأمر بأن يؤلف كتاباً جامعاً لمقالات الحكماء والفلاسفة من ترك وروم ، ولما جرت به العرب ، فألفنا هذا الكتاب بعمون الله عز وجل وتوفيقه ، وكان أحسنها وأجمعها لأمور البزاة والشواهد وسائر الضواري ، والكتاب مائة وخمسون باباً » (٢) .

وما أوردناه آنفاً يشير إلى أمور كبيرة الأهمية :

منها أنه كان لدى العرب في أواخر زمن بني أمية وأوائل زمن بني العباس عددٌ وافٍ من علماء البيزرة والمشتغلين بها، منهم الحجاج بن خيثم الذي قدّم

(١) الكتاب مخطوطة موجودة في دار الكتب العربية برقم (٢) فرزسية - تيمور .

الكتاب ، والغطريف بن قدامة الذي وثق الكتاب ، ومعاذ بن أسلم الذي زاد فيه ، وأدم بن محرز الذي ندبه المهدي للتأليف .

ومنها أن العرب أفادوا في فن البيزرة مما لدى الأمم الأخرى كالروم ، فإصل الكتاب الذي أمر المهدي بتأليفه رومي قد أهدي للخليفة المهدي من قبل ملكهم .

ومنها أن العرب أضافوا إلى ما أخذوه عن الأمم الأخرى ما توافر لديهم من معارف وقفوا عليها بطريق التجربة أو جموها مما نُقِلَ إليهم من أخبار العرب (١) .

ومنها أن الكتاب سفرٌ جليلٌ ضخْمٌ عدة أبوابه مائة وخمسون باباً، وأنه لم يكن أول كتابٍ صنّف في هذا الموضوع وإنما سبقته كتبٌ أخرى غير أنه « كان أحسنها وأجمعها لأمر البزاة والصقور » كما قال مؤلفه .

ثم إن من يتتبع كتاب الطيور هذا يجد أن مؤلفه قد عزا جلّ ما جاء فيه إلى الغطريف بن قدامة النسائي وأدم بن محرز، فهو لا يفتأ يردد « قال الغطريف، وقال أدم، وقال الغطريف وأدم، وقالوا، يعني الغطريف وأدم، مما يحمل الكتاب في جملته روايةً عنها (٢) .

ومما ألفت في البيزرة قبل المصايد والمطارد كتابٌ لابن المعتز اسمه كتاب الجوارح والصيد ، ذكره ابن النديم في فهرسه .

والفرق بين كتب الحيوان والبيزرة التي ألفتها العرب هو أن الأولى تُعنى بالحيوان عامّة أما الثانية فتعنى بالجوارح خاصة .

والبيزرة أو البزرة كلمتان لا وجود لهما في كتب اللغة ، وإنما الموجود

(١) كتاب الطيور الورقة : ١ وما بعدها .

(٢) انظر مخطوطة كتاب الطيور .

في هذه الكتب هو « البيزار » و« البازيار » ومعناها حامل البازي والجمع بيازرة ، ومما من الدخيل (١) .

والبيزرة مأخوذة من كلمة بيزار الفارسية ومعناها صاحب البازي ، والبزرة مأخوذة من كلمة بزدار الفارسية أيضاً ومعناها القائم على البازي أو مالكه .

والبيزرة عند أهل هذه الصنعة هي « فن تربية الجوارح وتضربتها على الصيد ومعرفة أحوالها من حيث صحتها ومرضاها وعلاجها وإدراك أمارات فرائضها وضعفها وحسن القيام عليها حتى تبقى سالمة لأداء الغرض المقصود منها » (٢) .

ويبدو أن كلمة البيزرة أُطْلِقَتْ أولاً على علم حياة البازي وتربيته خاصة ، ثم توسعوا في مدلولها فجعلوه يشمل البازي وغيره من الجوارح والضواري ، ويغلب على اللظن أن كلمة بازيار قد بدأ استعمالها في أوائل العصر العباسي حين كثر اختلاط العرب بالأعاجم ، ذلك بأن البازيار كان يدعى أيام بني أمية «صاحب الصيد» أو «صاحب الضواري» كما كان يطلق على الفطريف بن قدامة صاحب ضواري هشام والوليد (٣) ، ومما يلفت النظر أن العرب آثروا كلمة «بازيار» الفارسية على اللفظة العربية ، فقد كان في وسعهم أن يطلقوا اسم (البياز) على صاحب البازي كما أطلقوا اسم (الصقار) على صاحب الصقر ، و (الفهّاد) على صاحب الفهد ، و (الكلاب) على صاحب الكلب ، و (القيّال) على صاحب الفيل .

وقد يكون في عدولهم عن اللفظ العربي إلى اللفظ الفارسي إشارة إلى

(١) انظر لسان العرب وناج المروس وغيرهما من المعجمات .

(٢) انظر دائرة المعارف للبستاني : ٤٠٩/٥ ، والموسوعة العربية الميسرة : ٣٦٩ ومقدمة

« كرد علي » على كتاب البيزرة : ٣

(٣) انظر مقدمة كتاب الطيور .

سبق الفرس في هذا المضمار واعتراف منهم بالأخذ عنهم وتأثرهم بهم .
 ونحن قبل أن نترك هذا الجانب من البحث لا بُدَّ لنا من أن نشير إلى أن المتتبع
 لكتب الحيوان والبيزرة عند العرب يجد فيها اختلافاً كثيراً ، مما يشمر بأن
 هناك قضايا في هذا الفن لم تُحَرَّرْ عندهم ولم يصلوا فيها إلى رأي قاطع ؛
 فصاحب عجائب المخلوقات مثلاً يقرر أن البازي لا يكون إلا أنثى وذكورها
 من نوع آخر هو الحُدأة أو الشاهين ^(١) . بينما يقرر صاحب الصيد والطرود
 عند العرب « أن الزُرُق ^(٢) صنف لطيف من البازي أو هو البازي الأبيض
 كما جاء عن الفراء ، أو هو طائر بين البازي والباشق كما جاء عن ابن سيده ^(٣) .
 وهاك مثلاً آخر على الاختلاف بين كتب البيزرة في تقرير المسائل ؛
 فالشاهين عند صاحب الصيد والطرود ثلاثة أنواع : شاهين وتكالي وأنيقى ^(٤) ،
 بينما قسمه صاحب المصايد والمطارد إلى شاهين وأنيقى وقطامي ^(٥) .

وأمر آخر يلحظه قارئ بعض كتب البيزرة هو ما جاء فيها من خرافات
 ينكرها العقل السليم ويحتويها المنطق الصحيح ، وقد أوردنا مؤلفو هذه
 الكتب دون أن يعلقوا عليها بما يشير إلى استنكارهم إياها أو دفعهم لها كما كان
 يفعل الجاحظ ، فقد روى صاحب المصايد والمطارد في معرض حديثه عن
 الأسد ومنافعه أنه من تَمَسَّحَ بشحمِ كَلْبِيَّتِهِ ومشى بين السباع لم تقربه ^(٦) .
 وروى خبراً عن الأعراب يتعلق بالضبع دون أن يُعلِّق عليه فقال :
 « وتزعم الأعراب أن الضبع تكون سنةً ذكراً وسنة أنثى وإذا وطئتِ ظِلُّ
 الكلب في القمر وهو على سطح وقع فأكلته ... وإذا أخذ الإنسان شحم

(١) انظر عجائب المخلوقات : ٣٥٣

(٢) انظر المصايد والمطارد : ٥٥

(٣) الصيد والطرود عند العرب : ٤٩

(٤) الصيد والطرود عند العرب : ٥٤

(٥) المصايد والمطارد : ٧٨

(٦) المصايد والمطارد : ١٧٧

كَلْبِيَّةِ الضَّبَعِ ومرءً بالكلاب لم تكلب عليه ، وأن المَوْسُونَ إذا أظنم
ذنب الضبع صلح له .

وأن المرء إذا أخذ يدها اليمنى وقطعها يجلدتها وهي في الحياة ثم علقها
عليه ودخل إلى السلطان فإنه يقضي حوائجه (١) .

ومن حسن الحظ أن هذه الخرافات ليست كثيرة في كتب البيزرة وأنها
ليست عامة فيها .

فصاحب كتاب البيزرة قد بُرأ كتابه من أمثال هذه الأباطيل والتزم فيه
الروح العلمية التي وجدناها عند الجاحظ واختط لنفسه منهجاً يقوم على
التجريب والاستيثاق من كل ما يُروى .

وأخيراً فأفضل كتب البيزرة المطبوعة وأجمعها هو كتاب المصايد
والمطارد لكشاجم ، وخير كتبها المخطوطة هو الجمهرة في علوم البيزرة
لعيسى الأسدي .

(١) المصايد والمطارد : ٢١٤ .

الصَّيْدُ بِغَيْرِ أَحْيَوانٍ

أشرفنا من قبل إلى أن الانسان أولع بالصيد منذ وُجد على ظهر الأرض ، وتعلّق به تعلّقهُ بالحياة ؛ فقد كان وسيلته إليها ، وسبيله إلى حفظها واستبقائها ، وأنه استعان على الحيوان الأعجم بعقله الكبير ، وذكائه الحاد ، وفطنته التي لا أحد لها .

وسلك لاقتناصه كلّ سبيلٍ هداه إليها عقله وذكاؤه ، ودلّته عليها خبراته وتجاربه .

وأفاد في ذلك من معرفته بطبائع الحيوان ، ووقوفه على مواطن قوته وضعفه .

فلم يترك وسيلةً من الوسائل لصيد الحيوانات إلاّ استعملها في صيدها ولم يستبق حيلةً من الحيل إلاّ اختلها بها ، وإنما عدّد الطرق ونوع الوسائل تبعاً لاختلاف طبائع الحيوانات وتغاير خصائصها ؛ فمن الحيوانات ما يُصاد بالشباك الظاهرة ، ومنها ما يُصاد بالأشراك المستورة ، ومنها ما يُرمى بالسهم والبندق ، ومنها ما يُؤخذ بالحفائر والزبّبي ، ومنها ما يُختل بالغذاء

والصغير ، ومنها ما تُلَقَى إليه البُنُوج في مراعيه ومسابره ، ومنها ما يُصَاد بِالْحِبَالِ مَحَاوِدَةً ، ومنها ما يُصَاد بالرجال محاصرةً ، ومنها ما يُقْتَحَم عليه وَكُتْرُهُ ، ومنها ما تُلَقَى الأوهاق (١) في حلوقه ، ومنها ما يُصَاد بالنار ، ومنها ما يُقَنَّص بالجوارح كالصقر والبازي ، ومنها ما يُصَاد بالضواري كالكلب والفهد (٢) ، ونحن سنعرض فيما يلي لأهم أدوات الصيد بغير الحيوان وأشهر طرقه .

١ - الصيد بالقوس :

لعل أقدم وسائل الصيد وجوداً هي القوس ، ولإغراقها في القدم زَعَمَ الرواة أن جبريل عليه السلام جاء بها لآدم وَعَلَّمَهُ كيف يرمي بها ، ثم توارثها أولاده من بعده إلى زمن نوح (٣) .

وقيل : إن أول من عمل القوس العربية إبراهيم عليه السلام حيث صنع لإسماعيل قوساً وإسحاق قوساً وعلّمها الرمي فكانا يرميان بها (٤) .

والفرسُ تقول : إن أول من رمى عن القوس الملك الفارسي (جمشيد) وقيل إنه كان في زمن نوح عليه السلام ثم توارثها أولاده من بعده طبقةً طبقة (٥) ، وقال آخرون : إن أول من رمى عن القوس (النمرود) أو (بهرام جور) (٦) ابن (سابور) ذي الأكتاف (٧) .

(١) الأوهاق : مفردة وهق بفتح الواو المهاء وهو حبل مفتول من أذنب الخيل يرمى في أنشوطة فيمعلق بعنق الطريدة .

(٢) انظر الجبهة في البيزرة : الورقة : ٣ والمصايد والمطارد : ٤٧ و ٤٨

(٣) نهاية الأرب : ٢٢٩/٦ والواضح في علم الرمي الورقة : ٤

(٤) الواضح في علم الرمي الورقة : ٤

(٥) نهاية الأرب : ٢٢٩/٦

(٦) المعروف أن بهرام جور هو ابن يزدجرد ، وأنه تولى الملك بعد أبيه سنة ٤٢٠ م (انظر

تاريخ إيران لسربرسي سايكس ١/٥٩٠) .

(٧) الواضح في علم الرمي ، الورقة : ٤ ، ونهاية الأرب ٢٢٩/٦ .

ونحن - على الرغم من عجزنا عن إثبات هذه الروايات أو نفيها - فقد سقناها للاستئناس بها على صحة ما قيل من قدم استعمال الإنسان للقوس .

والقوس مؤنثة وجمعها أقواس وقسيّ وأقنوسٌ وقِباسٌ^(١) .

وتتخذ القسيّ من أعواد شجر التبّع ونحوه لصلابتها ثم يُحنى طرفا العود بقوة ويُشدّ فيها وترٌ من الجلد أو العصب الذي يكون في عنق البعير المسنّ أو وظيفٍ ساقه وهو يشبه قوس الندّاف شهاً كبيراً^(٢) .

والقوس أجزاءٌ وأسماءٌ كثيرة الدوران في شعر العرب ونثرهم وهي : البدن : ويطلق على خشب القوس كله ، واليد : وتطلق على الناحية العليا منها ، والرجل : وتطلق على الناحية السفلى ، والمقبض : ويطلق على وسط البدن حيث يقبض على القوس عند الرمي ويدعى العجّس والمعجّس .

والسيّة : وتطلق على ما انعطف من طرفي القوس وشدّ عليه الوتر ، ولكل قوس سيّان .

والقاب : ويطلق على ما بين المقبض والسيّة وقدره ذراعٌ وكانت العرب تقيس به وعليه قوله تعالى : « فكان قابٌ قوسين أو أدنى »^(٣) ولكل قوسٍ قابان .

والفُرْضة : وتطلق على الحزّة التي يُشدّ فيها طرف الوتر ، ولكل قوسٍ فُرْضتان .

والظفُرُ : ويطلق على ما فوق الفُرْضة ويقال له الكبُظُرُ أيضاً ، ولكل قوس ظفران .

والوتر : وهو ما يشدّ على السيّين^(٤) .

(١) الصّاح (قوس)

(٢) انظر الشكل في ص ٨٤ من هذا الكتاب .

(٣) سورة النجم : ٩

(٤) انظر الشكل في ص ٨٤ من هذا الكتاب .

والحمالة : وهي من القوس بمنزلة الحمالة من السيف ، يلقبها 'مَنَّكَب' القوس في منكبها الأيمن ويُخرج يده اليسرى منها فتصير القوس في ظهره وقد توشحها تَوْشِئُح السيف وربما جعل الحِمالَة في صدره وأخرج منكبها منها فتصير على كتفيه .

والعرب تقول : تنكَب فلان القوس إذا ألقاها على منكبها وتأتبها إذا جعلها على ظهره .

والأقواس منها الحجازية نسبة إلى الحجاز ، والفارسية نسبة إلى فارس ، والواسطية نسبة إلى واسط ، والشريجية وهي المتخذة من قضيبين فأكثر ، لكن القسي التي تُصنع من عود واحد أجود^(١) .

وُيرمى عن القسي بالسهم ويطلق عليها اسم النبال والنشاب أيضاً .
والسهم عود في طول الذراع وغلظ الإصبع تقريباً يُتخذ من شجر صلب فيقوم ويسوي ثم تُفرض في مؤخرته فروض ليركب عليها الريش فيشد فوقه يجلد متين أو يلصق بالفراء ثم يركب في قمته نصل من حديد مدبب تصنع له شوكات في نهايته تجعل نزعها صعباً إذا نشب .

ويعر صنع السهم بمراحل متعددة يكون له في كل مرحلة منها اسم خاص ويبدأ صنعه بقطع عيدانه من الأشجار ويدعى العود بعد قطعه قدحاً كما يدعى خطوة ثم يصار إلى تثقيفه وتقويمه ونحته فيدعى مخشوباً ، ثم يفرض له فروض لتثبيت الريش عليه فيدعى فريضاً ، ثم يركب له الريش فيدعى مريشاً ثم يعمل له فوق فيدعى تمفوقاً .

وأجزاء السهم على هذا هي :

القدح : وهو جسم السهم المتخذ من الخشب الصلب الخفيف في طول الذراع وغلظ الإصبع .

(١) نهاية الأرب : ٢٢٨/٦

والنصل : وهو حديدة يطرقها الحداد ويلوحها على الجمر حتى تصير زرقاء ثم تُحدّد وتُدبب وتُسوّى بالمبرد وتُصنع لها شوكلات جانبية تجعل نزع السهم صعباً إذا نشب ، ثم يُجوّف من أسفله ليدخل فيه أعلى القِدْح .

السَّنَخ : وهو التجويف الواقع في أسفل النصل ، حيث يُثبّت فيه القِدْح .
الرُّعْظُ : وهو مدخل السَّنَخ الذي يوضع فيه القِدْح .

العَقَب : وهي لفائف من سَيْر أو عصب تُلف حول الرُّعْظ لتثبيت القِدْح في النصل وتمكينه وتدعى الرُّصْفَةُ والرُّصَافَةُ أيضاً .

الفُوقُ : وهو تجويف يفرض في أسفل السهم ليثبت فيه الوتر قبل الرمي .
الزَّيْمَةُ : ومثناه زيمتان وهما حرفا الفُوق ويقال لهما رجلا الفوق .
الشَّرِيحَةُ : وهي العَقَبَةُ التي يُلْزَقُ بها ريش السهم .

الريش : وهو ريش طير يُركَّب على جانبي السهم في الفروض التي تُفرضت له ثم يُشدُّ عليه بالعَقَبِ أو يُلصَقُ بالفراء إذا كان بلا فروض . ومن شأن الريش أن يجعل السهم متوازناً ويجول دون اضطرابه عند انطلاقه وأن يسرع به إلى هدفه ، وعدد ريش السهم ثلاث وقد يُكْتَفَى باثنتين (١) .

ويجب أن يكون الريش من جناح طير واحد لئلا يتفاوت كبراً وصغراً وثقلاً وخفةً ، وأجود الريش ريش النسر ثم ريش العقاب ، وريش الأذئاب خير من ريش الجناحين .

وُيَلْحَقُ بالقوس والسهم (الختيمَة) وهي كيسٌ صغيرٌ من جلد يلبسه الرامي في إبهامه لئلا يؤذيه الوتر عند الرمي وهو يسبه الكشتبان الذي يلبسه الحائكون في أناملهم ليقمهم وخز الإبر .

كما تُلْحَقُ به الكِنَانَةُ وهي الجَعْبَةُ التي تودع فيها السهام .
وعلى الرامي إذا أراد الرمي أن يمسك القوس من قبضته بيسراه ثم يثبت

(١) انظر الشكل في ص (٨٤) من هذا الكتاب .

('فوقَ) السهم في وسط الوتر ، ثم يجذب الوتر إليه بيده اليمنى بحيث يتساوى مرفقه الأيمن مع كتفه ، ثم يسدد نظره نحو الهدف حتى إذا بلغ الوترُ نهايته أطلقه فيعود إلى وضعه الأول بشدةٍ ويدفع أمامه السهم إلى هدفه (١) .

٢ - انصيد بالرمح :

ومن أدوات الصيد الرمح وجمعه أرماح ورماح ، ويقال له : القنّاة أيضاً والجمع قنّوات وقنّاء وقنّيب ، ويدعى الطاعن بالرمح : الرامح (٢) .

وهو سلاح عربي في القدم شاع استعماله عند الشعوب القديمة وبخاصة عند أولئك الذين كانوا يسكنون الصحراء .

والرمح عماد البدوي في حياته ، يركزه في الأرض وينشر عليه ثوبه ليستظل به إذا لفته الهاجرة ، ويصيد به الوحوش إذا عضه الجوع ، ويدفع به عن نفسه أذا السباع ، ويهش به أوراق الشجر على غنمه ، ويصول به على حصومه في ساحات القتال ، يتخذها الفقير من فروع الشجر ويجعل سنانه قرن ثور ، ويتخذها الغني من نادر الخشب وكريم العيدان ويجعل شبّاته من فولاذ ثمين ، كلٌ حسب قدرته ومكانته (٣) .

والرمح منه الطويل ويدعى (المِيطْرَح) ، ومنه ما ليس بالطويل ويدعى المِيطْرَد ، وهذا الذي يُستعمل في الصيد ويُقتل به الوحش (٤) .

وتتراوح اطوال الرماح بين أربعة الأذرع وعشرة الأذرع وقد تزيد على ذلك (٥) .

(١) انظر المحصص : ٤٣/٦ وما بعدها ، ونهاية الأرب : ٢٢٢/٦ وما بعدها ، والفن الحربي في صدر الإسلام : ١٣٠ ، وما بعدها .

(٢) المحصص : ٣٠/٦

(٣) البيان والتبيين : ٦٤/٣ ط ق ١٩٣٢ ، والفن الحربي في صدر الإسلام : ١٤٤ .

(٤) المحصص : ٣٢/٦ و ٣٤

(٥) البيان والتبيين : ١٩/٣

وكما توجد للقوس أجزاءٌ وأسماءٌ فللرمح أجزاءٌ وأسماءٌ منها :
المتن أو العامل : وهو جسم الرمح كله من أعلاه إلى أسفله قبل أن
يُرَكَّب عليه النصل .
الكهوب : وهي العقْدُ التي تكون في العود ثم تُسوى حتى تصيرَ
ملساء .

والزُجُّ : وهو حديدةٌ مُدبَّبة الطرف تُرَكَّب في أسفله لتساعد على تثبيتته
في الأرض وقد يُطعن بها عند الحاجة .
العالية : وهي نصفه الذي يلي السنان ويُسمى صدر الرمح .
السَّافِلَةُ : وهي نصفه الذي يلي الزُجُّ .

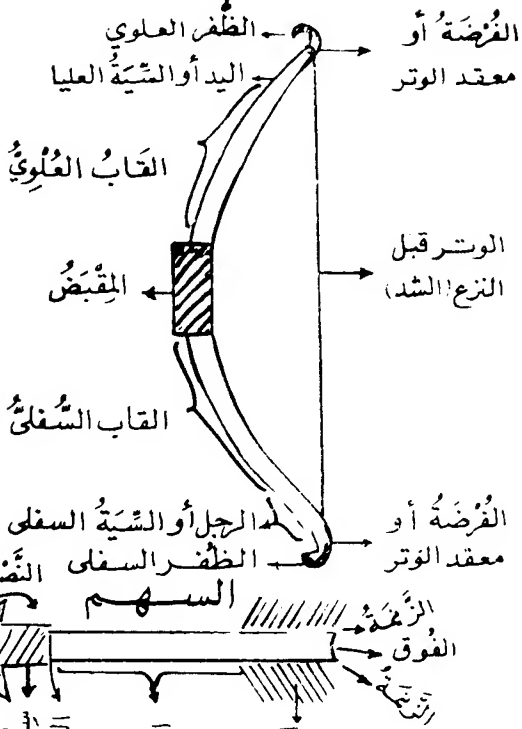
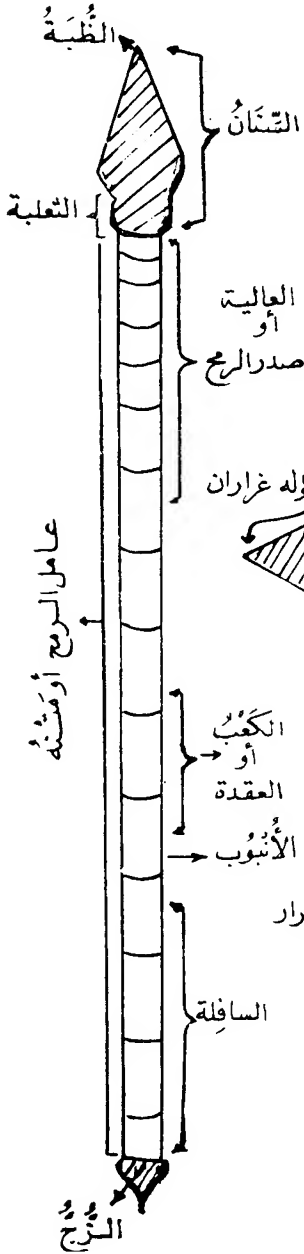
السنان : وهو الجزء الذي يُرَكَّب فوقه للطعن به ، وكان أولاً يُتخذ من
قرون البقر الوحشي لأنها مُمتلئةٌ مُصمَّنةٌ غير مجوفة ، ولأنها صلبة حادة
أيضاً ، ثم صار يُتخذ من الحديد الجيد النقي ، ولذا وصفوه بالزُرْقَة لصفائه .
والأسنة منها العريض المُدبَّب من نهايته المُحدَّد من جانبيه ومنها ما
يكون ذا شعبتين إحداها مستقيمة كالسكين والثانية متعرجة ، ومنها
السنان الرفيع الطويل المستقيم ، ومنها السنان الرفيع المعرج الموج الذي
يُحدث فجوةً عند الطعن به .

الظُّبَّة : وهي الجزء المُدبَّب في أعلى السنان .
الشمْلَبَة : وهي الجزء الأسفل من السنان الذي يدخل فيه أعلى الرمح .
الجُبَّة : وهي مكان اتصال الرمح بالسنان .
الظُّشْبُوب : وهو مسبار يكون في جِبَّة السنان حيث يُرَكَّب في عالية
الرمح .

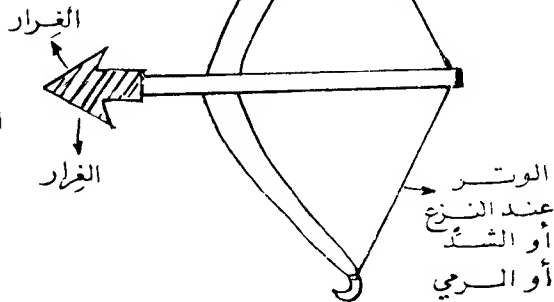
الزاجيل : وهي حلقة تكون في زُجِّ الرمح .
ويستحب في الرمح ان يكون لدناً ليناً صلباً وأن يكون إذا هزَّ اضطرب
من أوله إلى آخره ويدعي بالزاعبي كما يستحسن فيه أن يكون ذابلاً وهو الذي
يبسّ والتصقت قشرته به .

القوس قبل الرمي

الرمح



القوس عند الرمي



ويلحق بالرماح الحربية : وهي أصغر من الرمح . والآلة : وهي أصغر من الحربية وفي سنانها عرض . والمِسْئَل : وهو القرن الذي يُطعن به . والمِئزَة وهي قدر نصف الرمح أو أكبر وفيها زُجٌ كزُجِ الرمح . والمِيزاق وهو أخف من المِئزَة .

وأجود الرماح الرُدَيْنية نسبة إلى امرأة يقال لها رُدَيْنة كانت تباع عندها الرماح .

والسمهرية نسبة إلى رجل يدعى سمهَر ، والخطية نسبة إلى الخط ، والخطُ مرفأً للسفن في البحرين تُحمَل إليه القنا من الهند ولا تصنع فيه .

٣ - الصيد بالجلاهدق أو قوس البندق :

من أدوات الصيد الجلاهدق بفتح الجيم وكسر الهاء . والجلاهدق في اللغة : البندق الذي يُرمى به ، وهو طين مُدَمَلقٌ مدور ، ومفرده جلاهقة ومثناه جلاهقتان ، وهو فارسيٌّ معربٌ أصله (جله) وهي كبة الغزل (١) .

أما في اصطلاح الصائدين فالجلاهدق : قوسٌ تُتخذ من القنا ويُلف عليهاحرير وتُغزى ، وفي وسط وترها قطعة دائرية تسمى الجوزة توضع فيها البندقة ، فإذا شُدَّ الوتر عند الرمي قذف بالبندقة وأصاب الهدف (٢) وتسمى هذه الآلة : قوس البندق .

وتتخذ البنادق من طين لزج متماسك الأجزاء يُجَعَل على شكل كرات صفار مُلَسَّ ثم تُجفف ويُرمى بها عن الجلاهدق .

والصائد الذي يستعمل الجلاهدق يحمل معه وعاءً من جلد يحمل فيه البندق الذي يرمى به وبدعى هذا الوعاء (الجِرادَة) وهو بمنزلة الكنانة من السهام (٣) .

(١) تاج العروس

(٢) نهاية الأرب : ٣٢٤/١٠ وصبح الأعشى : ١٤٥/٢ .

(٣) صبح الأعشى : ١٤٥/٢ .

وقد كان يُرمى بالجلاهق على عهد عثمان رضي الله عنه فشكى له من ذلك
وقيل له : إن البندق يقع على حمام الناس ، فَمَنَعَ ذلك في العمران من الحرم
بمكة والمدينة ولم يحظره فيما سواه (١) .

وللجلاهي رميٌ دقيقٌ بالغ الدقة وإصابته عجيبة لا تكاد تخطيء فقد
قال كشاجم : إنه رأى غير واحد ممن يقول لصاحبه - إذا مرَّ الرفُّ من
الطير أيُّها تحب أن أرميه فأصيبه فيذكر واحداً من الطيور فيقول له : فأبيّ
موضع تحب أن أئال بالبندقية فيعين رأسه أو جناحه أو غير ذلك
فيصيب الموضع الذي عُين له ، وإنه رأى آخر يوقف غلاماً له ويعمل في
طرفي سبابتة وإبهامه حلقة خاتمه ثم لا يزال يرمي البندقية في حلقة الخاتم
فتخرج منها من غير أن تمس يد الغلام .

وروى عن بعض الثقات أنه أخبره عن رجلين من أهل البصرة كانا مولعين
بالرمي بالجلاهق فخرجوا يوماً إلى بعض الأنهار فإذا هما بأسد يساورهما فلما
أيقنا بالموت قال أحدهما لصاحبه : اكفني عينه اليمنى وأنا أكفيك اليسرى
فرمياه عن يدي واحدة فأعمياه وسلّيا (٢) .

ويبدو أن الجلاهي الذي استعمل على عهد عثمان رضي الله عنه قد تغير
عما كان عليه بعد اختلاط العرب بالفرس؛ فقد قال السيوطي في كتابه شفاء
الغليل: « إن ما يطلق عليه الآن اسم قوس البندق حدث بعد الصدر الاول
لكنه واحدٌ لفظاً ومعنى (٣) .

ووصف الصابي الجلاهقات في رسالة نثرية فقال: « أقبلت رفقة الرماة...
مقلدين خرائط ... تحمل من البندق الملموم ما هو في الصّحّة والاستدارة
كاللؤلؤ المنظوم ... وقد اختبِر طينته ، ومُليكَ عجينته فهو كالكافور

(١) المصايد والمطارد : ٢٤٧

(٢) المصايد والمطارد : ٢٤٧ و ٢٤٨

(٣) شفاء الغليل : ٥٩

المُصَاعِدِ فِي الْمَسِّ وَالْمَنْظَرِ ، وَكَالْعَنْبَرِ الْأَذْفَرِ فِي الشَّمِّ وَالخَبْرِ ، مَاخُودٌ مِنْ خَيْرِ مَوَاطِنِهِ ، مَجْلُوبٌ مِنْ أَطْيَبِ مَعَادِنِهِ ، كَافِلٌ بِمَطَاعِمِ حَامِلِيهِ ، مُحَقِّقٌ لِأَمَالِ أَمْلِيهِ ، ضَامِنٌ لِجِيَامِ الْحَتَامِ ، مُتَنَازِلٌ لَهَا مِنْ أْبَعَدِ مَرَامِ ، يَعْجُرُ إِلَيْهَا وَهُوَ سَمٌ نَاقِعٌ ، وَيَهْبِطُ بِهَا وَهُوَ رِزْقٌ نَافِعٌ وَبِأَيْدِيهِمْ قَسِيٌّ مَكْسُوءَةٌ بِأَغْشِيَةِ السَّنْدَسِ ، مُشْتَمَلَةٌ مِنْهَا بِأَحْسَنِ مَلْبَسٍ... حَقٌّ إِذَا أُجْرِدَتْ مِنْ تِلْكَ الْمَطَارِفِ ، وَانْتِضِيَتْ مِنْ تِلْكَ الْمَلَاخِفِ ، رَأَيْتَ مِنْهَا قَدُوداً مُخَطَفَةً رَشِيْقَةً ، وَأَلْوَاناً مَعْجِبَةً أُنَيْقَةً ،^(١) ، وَقَدْ أَكْثَرَ شِعْرَاءُ الطَّرْدِ فِي الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ مِنْ وَصْفِ الصَّيْدِ بِالْجَلَاهِقِ كَثْرَةَ تَلَفَتْ النَظَرَ .

٤ - الصيد بالأوهاق :

وَمِنْ آلَاتِ الصَّيْدِ الْأَوْهَاقُ ، وَهُوَ جَمْعٌ مُفْرَدُهُ وَهَقٌّ بِالْفَتْحِ وَقَدْ يَسْكُنُ مِثْلَ نَهْرٍ وَنَهْرٍ وَهُوَ حَبْلٌ مُفْعَلٌ مِنْ أَذْنَابِ الْحَيْلِ يُرْمَى فِي أَنْشُوطَةٍ فَيَعْلَقُ بِعِنَقِ الطَّرِيدَةِ وَتُؤْخَذُ بِهِ^(٢) ، وَأَهْلُ الْجَبَلِ بِنَهَا وَنَدَاً وَمَا يَلِيهَا يَصِيدُونَ الْأَسَدَ بِالْأَوْهَاقِ حَيْثُ يَرْمُونَهَا عَلَيْهِ فَلَا تَحْطُهُ ، وَطَرِيقَةُ صَيْدِهِ أَنْ يَقِفَ عَلَى كُلِّ جَانِبٍ مِنْ جَانِبِي الطَّرِيقِ أَوْ الْوَادِي رَجُلٌ بِحَيْثُ يَكُونَانِ مُتَقَابِلَيْنِ وَفِي يَدِ كُلٍّ مِنْهُمَا وَهَقٌّ فَإِذَا مَرَّ الْأَسَدُ رَمَى الْوَهَقَيْنِ رَمِيَةً وَاحِدَةً فَيَقَعَانِ فِي عُنُقِهِ ثُمَّ يَجْذِبُهُ كُلُّ مِنْهُمَا إِلَى جِهَتِهِ فَيَسْقُطُ عَلَى الْأَرْضِ وَيُؤْخَذُ^(٣) .

٥ - الصيد بالشبكة :

وَمِنْ آلَاتِ الصَّيْدِ الشَّبَكَةُ وَهِيَ شَرَكَةٌ الصَّائِدُ يَصِيدُ بِهَا فِي الْبَرِّ وَالْمَاءِ ، وَجَمْعُهَا شَبَكٌ وَشَبَاكٌ^(٤) . وَهِيَ تُتَّخَذُ مِنْ خِيُوطِ الْكُتَّانِ أَوْ الْقَطْنِ أَوْ الْحَرِيرِ تُعْمَدُ عَقْدًا حَقٌّ تَتَشَابِكُ ثُمَّ تُنَاطُ بِجَافَاتِهَا أَوْ تَادُ تُشَدُّهَا إِلَى الْأَرْضِ .

(١) انظر نهاية الأرب : ٣٢٤/١٠ وما بعدها .

(٢) المصايد والمطارد : ١٧٩ .

(٣) لسان العرب (شباك) .

(٤) انظر أنس الملا : ١٣٧ ، والمصايد والمطارد : ٤٧ ، وصبح الأعشى ١٤٥/٢ .

وتختلف طول خيوطها وعدد عيونها باختلاف الطرائد التي تُصاد بها ،
والشباك تكون ظاهرة بخلاف الأثرانك فإنها تكون مستورة .

وتُنصب الشباك في المراعي المخصبة ، وفي الدروب التي تؤمها الوحوش ،
وعلى مشاريع المياه ويُكثَّرُ حولها من العلف الذي يُغري الطرائد بالاقتراب
منها ويُؤدِّي بها إلى السقوط فيها ، وأول من تصيَّد بالشبكة المتوكل وقيل
المعتمِّم وكان للمسنجد بالله شبكة ، والشبكة من أدوات الصيد الخاصة
بالسلطان (١) وهي تُدعى الحِبالةُ أيضاً .

٦ - الصيد بالفخ :

ومن آلات الصيد الفخُّ وجمعه فُخوخ وفخاخ وهو آلة حديدية مُقوَّسة
لها دفتان تُفنتحان قسراً وتُتعاقدان عن الانغلاق بطرف شظاةٍ أو نحوها
فإذا مرَّ بها الحيوان وأصابها انطبقت عليه (٢) ويدعى الفخ « شركا » .

٧ - الصيد بقصب الدَّبِق :

ومن أدوات الصيد قصب الدَّبِقِ أو عيدان الدَّبِقِ ، والدَّبِقِ في اللغة
حَمْلُ شَجَرٍ في جوفه مادةٌ كالغراء وهو لاذقٌ يلزق الجناح الطائر فيضاد به ،
ويقال دبَّق فلانُ الطائر تدبَّقاً ودبَّقهُ يدبِّقه دبَّقاً أي صاده بالدَّبِقِ (٣) .

وعيدانُ الدَّبِقِ : قضبان من أغصان الشجر تُتطلى بالدَّبِقِ بعد تسويِّتها
وتُنصبُ عند مشاريع المياه وغيرها مما يسقط عليه الطير ، فإذا وقف الطائر
فوقها علق بها ، وكلما رام الخلاص ازدادَ بها علوقاً وعليها التصاقاً .

ويقال : إنَّ أولَ من دبَّق رجلٌ من أهل البصرة يقال له إبراهيم البازيار
كان في زمن الرشيد ، وكان يصيد بعيدان الدَّبِقِ جميع الطير ، فذاع صيته

(١) البيزرة : ١٣٨ ، وتاج العروس (حبل) .

(٢) انظر صبح الأعشى : ١٤٥/٢ ولسان العرب (فخخ) والمصايد والمطارذ : ٤٧

(٣) لسان العرب (دبق)

حق استدعاه الرشيد وضمه إليه وبلغ عنده منزلة عالية لمعرفته بالدبّيق ،
وعلمه بالضواري .

ومن إبراهيم البازيار تفرّع التدبّيق وشاع بين الناس وجعل الصائدون
يُدبِّقون بخمس قصبات أو أكثر زمن المأمون (١) .

٨ - الصيد بالثبّاد :

ومن أدوات الصيد « الثبّاد » وهو في اللغة قِباءٌ من اللبّد، واللّبّد كل
شعر أو صوف تداخلت أجزاءه ولزق بعضها ببعض فتلبّدت (٢) .

ويتخذ الأشداء المهرة من الصائدين من اللباد أكسية مضاعفة لهم
تسترهم من الأسود وتقيهم أذاهما ، فيخرجون لصيدها مرتدين هذه اللبابيد
ومعهم أوهاق وأثوابٌ وقيودٌ ، فإذا مرّ بهم الأسد لم يفتن إليهم بسبب
أكسية اللباد ؛ فيرمونه بالأوهاق فتعلّق به ، أو يلقون عليه الأثواب فتغطي
وجهه وجسده وتشل حركته ، ثم يأخذونه ويقيدونه .

وقد روى صاحب المصايد والمطارد أن بعض الأعراب ألمّ ببئيت فإذا
فيه عجوز فقال لها : هل من قرى ؟ فقالت : أنظرنا ، لك الخير ، فلم
يلبث أن جاء ابن لها وعليه لبابيد مضاعفة وهو يحمل نمرأ عظيمًا فطرحه
على الأرض ، وقامت العجوز فأخرجت من النار سفودا فأولجته في أست النمر
فعمج عجة عظيمة ثم هدأ فكشطوه وشووه فأكلنا منه حتى امتلأنا وبتنا
في خصب (*) .

وإنما فعلت العجوز ذلك ليسلم لها الجلد (٣) .

(١) أنس الملا : ٨٢

(٢) انظر لسان العرب : (لبّد)

(*) لعل ذلك كان في الجاهلية ؛ فالإسلام حرم أكل هذه السباع .

(٣) المصايد والمطارد : ١٧٩ و ١٨١ و ٢١٢

٩ - الصيد بالتطريب :

ومن وسائل الصيد «التطريب» ، ذلك أن بعض الحيوانات كالأيل مثلاً يروح إلى الغناء العذب ويستهو به الصغيرُ الحسن وهو لا ينام ما دام يسمع ذلك . فإذا رام الصيادون صيده شغله بعضهم بالغناء والصغير وأناه بعضهم الآخر من خلفه فإذا رآوه مُسترخي الأذنين أدركوا أنه مشغول بما يسمع مأخوذ به فيثبون عليه ، أما إذا كان لا يزال منتصب الأذنين فذلك يعني أنه لم يزل يقظان فيكفون عنه (١) .

١٠ - الصيد بالنار :

ومن أدوات الصيد النار ، ذلك بأن طائفة كبيرة من الحيوانات إذا أبصرت النار دهشت وذهلت وأخذت ، فالظبي مثلاً يُصاد بإيقاد النار قريباً منه فهو لا يزال يتأملها ويُدمن النظر إليها حتى يعشى بصره وينهل عقله ولا سياً إذا أضيف إلى النار تحريك الأجراس فإنه يفتتر ويضعف ولا يبقى به حراك البتة . والنعام يُصاد بالنار أيضاً ، فإنه إذا رآها دهش وتسمّر في مكانه فيتمكن منه الصائد ويأخذه .

وكانت العرب إذا خافت الأسود - أوقدت حولها النيران وهولت بها عليها ، فإذا عاينها الأسد حدّق إليها ، وجعل يتأملها ، فكثيراً ما كانت تشغله عن السابلة وتكف عن الناس أذاه (٢) .

١١ - الصيد بالحفائر :

ومن وسائل الصيد الحفائر وأهمها الزُببى : جمع زُببىة وهي حفرة تُتخذ على مكان مرتفع من الأرض وتغطى بما يسترها ، ويوضع فوقها أو بالقرب منها حيوان مما تشتهيبه الأسود فإذا رآه الأسد أتى إليه ليفترسه فيسقط في

(١) نهاية الأرب : ٣٢٥/٩

(٢) انظر الحيوان : ٤٨٤/٤ والمصايد والمطارد : ٢٠٧ ، ونهاية الأرب : ٣٣٣/٩ و ٣٤٠

الزبية ويؤخذ، ولا تكون الزبية إلا في مكان عالٍ حتى لا تمتلئ بماء السيل. ولذلك قيل في المثل : « بلغ السيل الزبي ، أي عمّ وطمّ . ومن حفائر الصيد الكسّحة ، وهي مما تُصَاد به الذئب ، والحباله وهي مما تصاد به الظباء (١) .

١٢ - الصيد بالحيلة :

ومن وسائل الصيد إعمال الحيلة لاقتناص الطيور والوحوش ، وقد أكثر الصائدون من الاحتيال لطرائدهم واقتنوا في ذلك ما وسعهم الافتتان . من ذلك محاكاة أصوات بعض الحيوانات ، فالذئج مثلاً يصاد بصغير يشابه صغيره ، فإذا أتقنه الصائد وصفّر به أصغى إليه وقصد الموضع الذي يسمعه منه فيسهل عليه صيده (٢) .

وتصاد النعام بالحرق السود تنشر في مراتعها ومراتعها حتى إذا ألفتها وأنست بها لبسها القانص واصطادها (٣) .

ويصاد الببّر - وهو سبع هندي شديد المراس لا يقدر أحد على صيده - بأن تُسرق جرائه - وهو شديد الولع بها عظيم الحرص عليها - ثم تُحمل في أمثال القوارير من الزجاج ويُركّض بها على الخيول السوابق ، فإذا أدركهم أبوها رموا إليه بقارورة منها فيشتغل بالنظر إليها ويعمل الفكر في إخراج جروه منها فينطلق للصائدون ببقيتها ويأخذونها ويربونها فتألف وتأنس .

ويصاد العقنعتق بأن تنصب له شبكة ويُشدّ فيها سنور أبلق شديد الشبه به ، فإذا وقع في الشبكة تهافتت عليه سائر العقائق وترامت في الشبكة وصيدت جميعاً (٤) .

(١) المصايد والمطارد : ١٠٥ وعيون الأخبار : ٧١/٢

(٢) المصايد والمطارد : ٢٧٣

(٣) المصايد والمطارد : ٢٢٢

(٤) نهاية الأرب : ٢٤٢/٩ والدميري : ١١٣

ويصاد طير الماء بالقرعة، وذلك بأن تؤخذ قرعة يابسة صحيحة فيرمى بها في الماء؛ فهي لا تزال تتحرك فإذا أبصرها طير الماء خاف منها في أول أمره ثم لا يلبث أن يألفها شيئاً فشيئاً فإذا أنس بها وجعل يسقط عليها أخذ الصائد قرعة وقطع رأسها وخرق فيها موضعاً لعينيه ثم يدخل رأسه فيها وينزل إلى الماء ويغمس فيه جسده كله إلا رأسه ويمشي نحو طير الماء رويداً رويداً وكلما دنا من طائر قبض عليه من رجليه ثم غمسه في الماء ودق جناحيه وتركه فيبقى طافياً فوق الماء يسبح برجليه ولا يطيق الطيران حتى إذا فرغ من صيد ما يروم صيده رمى بالقرعة والتقط الطيور الطافية وذهب بها^(١).

ومما يلحق بأدوات الصيد: القنطرة، والناموس، والقرموص، والزريبة وكلها حفر أو بيوت صغيرة يتخذها الصائد ليخفي فيها شخصه عن الوحش والطير، ويدخن على نفسه بأوبار الإبل لئلا تجد الحيوانات ريحه فتتفر منه، ومن هذه الكائنات يصيد القبانص الطيور، ويرقب الشباك والشراك، ويرمي السباع والوحش.

وبعد فإن ما أوردناه آنفاً من أدوات الصيد ووسائله لا يعد شيئاً في جنب الجوارح والضواري، وسيجد القارئ فيما يلي بحثاً ضافياً عن جوارح الصيد وضواريه.

(١) المصائد والمطارد: ٧٥

أجوارح سَيَّاسَتُهَا وَالصَّيْدُ بِهَا

أطلق العرب كلمة « الجَرَّاحِ » على التآثير بالسلاح ونحوه ، كما أطلقوها على الكَسْبِ ؛ فقالوا : جَرَّاحُ فلانُ الشيءَ واجترحه بِمعنى كَسَبِهِ ، و« فلانٌ » يجرَّحُ لعماله ويجرَّحُ لهم أي يكسِبُ لهم ، و« فلانٌ جارحٌ » أهله و« جارحتهم » أي كَسِبْتَهُمْ .

وقد جاء في التنزيل : وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَّحْتُمُ بِالنَّهَارِ (١) .

ودُعِيَتْ حيوانات الصيد من الطير والسياع والكلاب بال«جوارح» لأنها تجرح لأهلها وتكسِبُ لهم (٢) .

أما كلمة الضراوة فأطلقوها على الولع بالشيء والدربة عليه والتعوُّد له فقالوا : ضَرَى فلان بالشيء إذا اعتاده فلا يكاد يبصر عنه ، وضري الكلب بالصيد إذا تطعمت بلحمه ودمه ، وكلب ضارٍ بالصيد مُعتاد له ، وضريُّ

(١) سورة الأنعام : ٦٠

(٢) انظر لسان العرب مادة (جرح)

الرجل' الكلب وأضراره: عوّده على الصيد وأغراه به. وقالوا: إنّ الضاري من السباع ما ضري بالصيد ولهج بالفرائس^(١) وقد أطلق القرآن الكريم كلمة الجوارح على حيوانات الصيد كلها فلم يفرق بين طائر يطير ووحش يسير حيث قال تعالى في محكم كتابه:

« وما علمتمتم من الجوارح »^(٢) غير أن علماء البيزرة اصطلحوا - كما يبدو - على أن يطلقوا كلمة الجارح على ما يطير كالبازي ، والشاهين ، والصقر ، ونحوها ، وكلمة الضاري على ما يسير كالكلب والفهد وغيرها .

وتبدو هذه التفرقة واضحة عند كشاحم في كتابه المصايد والمطارذ حيث عقد باباً للجوارح تحدث فيه عن البازي والشاهين والصقر والغراب جاء فيه قوله: « وبدأنا بالجوارح قبل الضواري لخلال أوجبت ذلك، منها أن البازي وما أشبهه يعملو على أيدي الملوك ويبلغ من منفس الأثمان ما لا يبلغه شيء من الضواري من كلب وفهد وما أشبهه »^(٣) .

وصاحب كتاب البيزرة ينحو هذا المنحى فيعقد باباً لشدة الجوارح على الكنادر يقول فيه: « قد ذكرنا في كتابنا هذا ما لم يذكره الناس في كتبهم من شدة الجوارح على الكنادر من البزاة والبواشق »^(٤) .

كما يقول في مكان آخر عن المكتفي « إنه كان أكثر ما يُد منه الصيد بالفهد والعقاب وهما سبعا الضواري والجوارح »^(٥) .

فجعل الفهد سبع الضواري ، والعقاب سبع الجوارح على طريق اللف والذشر المرتب .

(١) انظر لسان العرب مادة « ضرى »

(٢) سورة المائدة : ٤

(٣) المصايد والمطارذ : ٤٨

(٤) البيزرة : ١٨٤ .

(٥) البيزرة : ٤٨ .

وقد تحدّث عن البازي فنعمته بملك الجوارح (١) ، ثم عقد فصلاً أورد فيه ما قيل عن ابتدال الملوك لنفوسهم عند الصيد بالفهد فقال : « ذِكْرُ مَا قِيلَ فِي ابْتِدَالِ الْمَلِكِ نَفْسَهُ فِي الصَّيْدِ بِهَذَا الضَّارِيِّ » (٢) .

كما عقد فصلاً لما قيل في الجوارح من الشعر أورد تحته ما قيل في البازي والباشق والشاهين والصقر ولم يرو شيئاً مما قيل في الضواري من الفهد ونحوه . غير أن صاحب كتاب الصيد والطرود عند العرب لا يذهب مذهب صاحبيه في اصطلاحها الذي ارتضياه وإنما يطلق كلمة الجوارح على جميع ما يُصَادُ به من الحيوان ، ثمّ يقسم الجوارح إلى قسمين أحدهما جوارح الطير كالعقاب والزُمج والبازي والباشق والصقر والشاهين ، وثانيها جوارح البهائم كالفهد والكلب والنمر وعناق الأرض (٣) .

ونحن سنأخذ في كتابنا هذا بما اصطلح عليه كشاجم وصاحب البيزرة من إطلاق كلمة الجوارح على ما يطير ، والضاري على ما يسير إيثاراً للاصطلاح المفرد على المركب وتمشياً مع ما أخذ به كشاجم ، وهو أبو هذا الفن ، وكتابه المصدر الأول لكل من كتب في البيزرة .

(١) البيزرة : ٧٠

(٢) البيزرة : ١٢٨

(٣) انظر الصيد والطرود عند العرب : ٣٤ ، ٤٩ ، ٥٧ ، ٦٩ ، ٧٠

أولاً - الجوارح

اختلف علماء البيزرة في عدد الجوارح وأنواعها وأسمائها .
فقسمها صاحب المصايد والمطارد إلى فصائل وجعل تحت كل فصيلة من
الفصائل أنواعاً أو وصلها جميعاً إلى ثلاثة عشر جارحاً^(١) .

وسلك القلقشندي^٤ في كتابه صبح الأعشى مسلك كشاجم غير أنه خالفه
في التقسيم وأوصلها إلى خمسة عشر جارحاً^(٢) ، وكذلك فعل صاحب كتاب
الصيد والطرود عند العرب ، غير أنه خالفهما في التقسيم وأوصلها إلى نيف
وعشرين جارحاً^(٣) .

أما صاحب البيزرة فعرضها على أنها أنواع مستقلة وأوصلها إلى تسعة
جوارح^(٤) .

ونحن سنعمد في بحثنا هذا على التقسيم الذي أورده كشاجم في كتابه
المصايد والمطارد .

قسم كشاجم الجوارح إلى أربعة أنواع هي :

(١) انظر المصايد والمطارد : ٤٨

(٢) انظر الصيد والطرود عند العرب : ٣٤

(٣) انظر المصدر السابق

(٤) انظر البيزرة : ٤٩ وما بعدها

البُزاة ، والشواهين ، والصقور ، والمعقاب . وجعل البزاة خمسة أصناف هي : البازي ، والقيمي ، والزُرَّاق ، والباشق ، والبَيْدَق .
 وجعل الشواهين ثلاثة أصناف هي : الشاهين ، والأنيمي ، والقطامي .
 وجعل الصقور ثلاثة أصناف هي : الصقر ، والكتونج ، واليؤؤ .
 أما المعقاب فهو صنف واحد .

ثم ألحق بهذه الأنواع الأربعة الزُمج فصارت جملة الجوارح عنده ثلاثة عشر جارحاً كما أسلفنا آنفاً .

ونحن سنتناول كلاً من هذه الجوارح على حدة ، فنصفه وصفاً يميزه من غيره ، ونبرز أهم خصائصه ، ونبين طريق اصطیاده ، ونوضح كيفية تضريره وتدريبه على الصيد .

١ - البازي :

البازي أفضل الجوارح صيداً وأغلاها كعباً ، وأغلاها ثمناً ، وبه يضرب المثل في نهاية الشرف .

وفي نطق اسمه لغاتٌ منها : « البازي » بكسر الزاي وتخفيف الياء ويجمع على بُزاة ، و « الباز » بغير ياء في الآخر ويجمع على بيزان و « الباز » ويجمع على أبؤز وبؤوز .

و « البازي » بإثبات الياء وتشديدها ^(١) وهو مشتق من البَزَوَان بمعنى التطاول والوثب ، وهو مذكر بلا خلاف ^(٢) .

ويقال له في أول سنةٍ من عمره : فرخ ، وفي الثانية : كُرَّز عام ، وفي الثالثة : كُرَّز عامين .

والكُرَّز لفظ معرب عن الفارسية ، حيث يقال للحاذق المجرّب « كره » فمعرب على كُرَّز ^(٣) .

(١) انظر المخصص : ١٤٩/٨ وقاج العروس : ٣٦/١٠

(٢) الصيد والطرد عند العرب : ٤٥

(٣) المصايد والمطارد : ٥٩

وابن سيدة استعمل الكُرُز في البازي مطلقاً (١) . أما الراجز المشهور
رؤبة فاستعمله في إحدى أراجيزه في البازي الذي 'شد' لثلا يطير حتى يسقط
ريشه (٢) ، وكنية البازي أبو الأشعث ، وأبو البهلول ، وأبو لاحق (٣) ،
وفرخ البازي يدعى غطريفا (٤) .

وقد ميزه ابن سيدة من الصقر بأنه « الأزرق الأحوي ، والأرقل القصير
الجناحين الغليظ (٥) » .

الحكام والملوك يصفون البازي :

ووصف الحكام والملوك البزاة وأغربوا في الوصف وأطنبوا في المدح ،
فقال خاقان ملك الترك : البازي شجاعٌ مريدٌ ، وقال كسرى أنو شروان :
البازي رقيق يحس الإشارة ولا يُفوّت الفرص إذا أمكنت .

وقال قيصر : البازي ملكٌ كريم إن احتاج أخذ وإن استغنى ترك (٦) .
وقد وصفه ابن خفاجة فقال : هو طائر يُستدلُّ بظاهر صفاته على كرم
ذاته ، طوراً ينظر نظراً الخيلاء في عطفه ، وقارة يرمي نحو السماء بطرفه ،
وقد أُقيم له سابعُ الذنابي والجناح ، كفيلين في مطالبه بالنجاح .

وهو جيد العين والأثر ، حديد السمع والبصر ، وقد جمع بين عزة ملك
وطاعة مملوك ، 'مورّد' الخلب والمنقار ، كأنما اختضب بجناء أو كرع في
عقار ، (٧) .

(١) التخصص : ١٤٩/٨

(٢) المصايد والمطارد : ٥٩ والمعاني الكبير : ٢٩٠

(٣) الصيد والطرود عند العرب : ٤٤

(٤) الصيد والطرود عند العرب : ٤٦ ودائرة معارف البستاني : ٩٩/٥

(٥) التخصص : ١٤٩/٨

(٦) مروج الذهب : ١٦ وما بعدها

(٧) نهاية الأرب : ١٩٠/١٠

صفات الجعيد من البزاة :

ويُحمد في البازي أن يكون صغير الرأس ، غليظ العنق طويلها ، واسع العينين ودائرتي الأذنين ، والحوصلاء ، قصير الخوافي والذنب ، عريض ما بين المنكبين والزور ، أهرت ^(١) الشدقين ، مكنتز الفخذين ، ضامر الساقين ، سبط الكفين ، ضخيم السُّلاح ^(٢) ، رزين المحمل ، كثير الأكل ، متتابع النهش ، سريع الاستمراء ^(٣) ، شديد الانتفاض ، إذا استقبلته على يد حامله رأيته وكأنه مُقعِر ^(٤) .

وقال النووي : إن « صفة الجعيد منه المحمود في خَلْقِهِ أن يكون قليل الريش ، أحمر العينين حادّهما ، وأن تكون عيناه مقبلتين على منسره ^(٥) وحجاجهما ^(٦) مطبّتين عليهما ولا يكون وضعهما في جنبي رأسه كوضع عيني الحمام ، والأزرق منه دون الأحمر العين ، والأصفر دونها » .

ومن صفاته المحمودة أيضاً أن تكون « أشاجع ^(٧) كفيه عارية ، وأصابه متفرقة لا مجتمعة مثل كف الغراب ، وأن يكون غلبه أسود وأن يكون طويل المنسّر دقيقه ^(٨) .

أما صاحب الصيد والطرد عند العرب فيرى أن « أحسن أنواع البازي ما قلّ ريشه واحمرت عيناه مع حدة فيهما ، ودونه الأزرق العينين الأحمر اللون ، والأصفر دونها ، ثم إن ما صلّب لحمه ، وطال ذنبه وقصُر جناحه ،

(١) أهرت الشدقين : واسع الشدقين

(٢) السلاح بالضم : خرم الطائر

(٣) سريع الاستمراء : سريع الهضم

(٤) انظر المصايد والمطارذ : ٤٤ هـ

(٥) المنسر : المنقار

(٦) الحجاجان : مثنى حجاج وهو العظم الذي ينبت عليه الحجاب .

(٧) الأشاجع : أصول الأصابع التي تتصل بالكفين أو هي عروق ظاهر الكف ، ومفرده

إشجع .

(٨) نهاية الأرب : ١٨٧/١٠ وما بعدها

وصفّر رأسه ، واصفرت عينه ، واستدار كفه فقد حاز الحسن والشجاعة^(١) .
وصفة القول في فراهة البازي هو أن أعظم البزاة أجمعها خلقاً وأنقلها
وزناً وأكثرها طعاماً وأسرعها استمراءً وأوسعها حدقة وألينها وأقلها ريشاً ،
وأعظمها منسراً ، وأشدّها تشميراً وأوثقها سلاحاً وأشدّها انتفاضاً .
اختبار جراءة البازي على الصيد :

وإذا أريد اختبار جراءة البازي وُضع في بيت مضيء ثم يُقطع عنه
الضياء فجأة ، فإذا أظلم البيت دنوت منه ولمسته مسرعاً ، فإن وثب على
يدك وقبض عليها فهو جريء يصيد عظام الطير ، وإن انكش وتقبّض
وسكن فليس يجريء .

اختبار قوّة البازي :

وإذا أريد اختبار مدى قوّته شدّه في زاوية البيت بالقرب من الحائط
حيث كان يُشدُّ باز آخر قبله ، وتترك ليلته هناك ثم يُدخل عليه من الغد
ويُنظر إلى ما رمى على الحائط من ذرقه ، فإن كان موقعه أبعد من موقع
ذرق الأول كان أقوى منه ، ويُقدّرُ تفوقه عليه بالقوة بحسب بعد ذرقه ،
فما كان منها أقوى ذرقاً فهو أسرع طيراناً ، وما كان أسرع طيراناً فهو أصيد .

وعلى الجملة فإن صيد البازي « يكون على قدر خرقته وبعدد سلاحه^(٢) »
وإذا رأيت البازي مشرف الحاجبين ، شديد بياضها ، كثير الريش ،
منترخي اللحم عظيم الهامة ، ملتف ريش العنق ، قصير القوادم والفخذين ،
طويل الساقين جامد الكفين أصفرهما فهو فروقة جبان^(٣) .

« وأفخر ألوان البازي الأبيض ثم الأشهب ، وهما لوان يدلان على
الفراهة والكرم .

(١) الصيد والطرود عند العرب : ٤٦

(٢) انظر المصايد والطارد : ٥٥ وما بعدها

(٣) انظر المصايد والطارد : ٥٦

وأما الأسودُ الظهرُ المُنتَشِسُ الصدرُ بالبياضِ والسوادِ فهو الشديدُ الصلبُ ، وإن اتفق له أن يجمع مع ذلك حمرة العينين بلوغ الغاية ، وهذا اللون في البزاة كالكميئتِ في الخيل ، والأحمرُ من البزاة أخبثها (١) .

وقيل : إن المختار من ألوانه الأحمرُ ، والأكثرُ سواداً ، والغليظُ خطوط الصدر ، والأشهبُ الشديدُ الشَّهْبَةُ الشَّيْبَةُ بالأبيض ، والأصفرُ المدبَّجُ الظهرُ ، ولا تُفتقرُ صفرة الساقِ والأُكْفُ ، (٢) .

خصائص البازي :

وللبازي خصائص ينفرد بها عن غيره من الجوارح ويتميز بها عما سواه . من ذلك سرعة كسره (٣) وانقضاضه حتى قيل : إنه أسرعُ من السهم وقد ضربَ المثل بسرعة خطفته .

فقال بعض الأمويين لمعاوية رضي الله عنه لما دعاه عليّ كرم الله وجهه إلى المبارزة بصفين :

مَا لِلْمَلُوكِ وَاللِبْرَازِ ؟ وَإِنَّمَا حَظُّ الْمُبَارِزِ خَطْفَةٌ مِنْ بَازٍ (٤)

ومن خواصه أنه لا يكون إلا منفرداً غيرَ مشاكل للطيور المتآلفة مع أنواعها وكذلك كسلٌ ذي مخالب من الطير لا يتصرف في معاشه إلا متوحداً . والباز من الجوارح الوفية لأهلها ، وقد رويت في ذلك أخبار كثيرة وُضرت به الأمثال .

والبازي طائر ذكي الفؤاد ، إذا أدبته فأحسنَت تَأديبه عرف مهمته ولم يتجاوز حدوده ، فقد روى أسامةُ بن منقذ أنه كان عند والده باز أثير لديه ، وكان في منزلهم حمام وطيور ماء خضر ، وكان والده يدخل إلى المنزل

(١) نهاية الأرب : ١٨٧/١٠

(٢) المصايد والمطارد : ٥٥

(٣) يقال كسر الطائر : أي ضم جناحيه يريد الوقوع والانقضاض

(٤) المصايد والمطارد : ٥٠

والبازي على يده فيجلس على أريكة في الدار ويجلس البازي على قفّاز يجانبه ، وكانت تغدو الحمام وطيور الماء أمامه وتروح فلا يلتفت إليها ولا يثب عليها ، ولا كأنها مما جرت عادته أن يصيدها مع أنه كان من أفره البزاة وأشدّها ضراوة على الصيد (١) .

« وفي جناح البازي من الريش عشرون : أربع قوادم ، وأربع مناكب ، وأربع أباهر ، وأربع كُلىّ وأربع خوافٍ والخوافي أخف من القوادم (٢) . ومن شأن البازي أن يأوي إلى الأماكن التي يكثر فيها الشجر الباسق والظل الظليل ، والماء النмир ، وهو لا يتخذ وكرّاً إلا في شجرة كثيرة الشوك ، وإذا أوشك أن يفرخ بني لنفسه بيتاً وسقّفه تسقيفاً جيداً يقيه من المطر ويدفع عنه وهج الحر (٣) .

كيف يصاد البازي :

وطريقة صيد البزاة أن « يتخذ الصياد لنفسه بيتاً يبنيه بحجارة ويحمله على قدر شخصه ويفطيه بميدان ويسترها بقش وعشب ويحمله للبيت نافذة في سقفه ويأخذ طير حمام ويجمع رجليه على قضيب ويشدهما إليه بخيط أو نحوه ، ويخرجه من تلك النافذة ويدأب على تحريك العود فيتحرك طير الحمام لحرّكه ويفتح أجنحته فيراه البازي فينقضّ عليه ليأخذه ويملق به فإذا أحسّ به الصياد جذب القضيب من النافذة إلى داخل الحجرة ومد يده وقبض على رجلي البازي وهو قابض على طير الحمام وأنزله إليه وخاط عينيه (٤) .

(١) انظر الاعتبار : ٢٠٤

(٢) المصايد والمطارد : ٥٣

(٣) نهاية الأرب : ١٨٧/١٠ وما بعدها ، وعجائب الخلوقات : ٣٥٤

(٤) الاعتبار : ٢٠٠

تعليم البازي وتضريته على الصيد

الصيد طبيمة في البازي لأنه يؤخذ من وكره فرخاً من غير أن يكون قد صاد مع أبويه فيصيد ابتداءً وقريحةً بلا تضريةٍ بخلاف الصقر فإنه إذا أخذ قبل أن يصيد مع أبويه لم ينجب ولم يصد .

لذا كان تعليمه الصيدَ أيسرَ من تعليم غيره من الجوارح ، وتعليم البُزاة وهي صغيرة مأخوذة من العش أسهل من تعليمها بعد أن تكبر وتترك العش ، فإذا وقع البازي في يد الصياد كان عليه أن يخطط عينيه وأن يبادر به إلى البازيار (١) .

وعلى البازيار عند ذلك أن يقيّد رجله ، وأن يغفل جناحيه وأن يحمله على يده في البيت خلال ستة أيام إلى أن يتعود تناول طعامه منه فإذا تمّ له ذلك كان عليه أن يذهب به إلى السوق عند العشاء - حيث يكون الظلام مخيمًا - وهناك يفتح عينيه ويقعد به وبطيل القعود إلى أن يمضي من الليل ثلاث ساعات أو نحوها ليسمع وقع الأقدام وجلبّة الناس ، ثم يرده إلى البيت فإذا كان الفجر الأول عاد به إلى السوق وحمله على يديه عند العشاء وفتح عينيه وجعله على يده ولم ينزله عنها وقعد به ست ساعات بدلاً من ثلاث ، فإذا كان أذان الفجر الأول حمله على يده إلى أن يصبح .

(١) صبح الأعشى : ٥٦/٢

البازي



البازيُّ جارحٌ ذكيُّ الفؤادِ مرهفُ الحسِّ شديدُ الأنفةِ يأبى الإهانةَ ،
وهو إلى ذلك قويُّ البأسِ ، سريعُ الإفتراسِ تخافه جميعُ الطيورِ التي تماثله
في الجسمِ

وعلى البازيار أن يحاذر من أن تتراعى للبازي الوجوه قبل أن يأنس ، فهو إذا رآها اضطرب على يده وعراه القلق والخوف ، ثم يمضي البازيار في تضرته على الصيد ، وذلك بأن يأخذ شقة من حمام ويطعمه منها ، فإذا تمّ اعتياده على تناول الطعام منه أحضر له حمامة وشدها بخيط ورمها له فإذا أخذها ذبحها البازيار عند كف البازي وأطعمه منها ما شاء أن يأكل ، فإذا اعتاد ذلك أركبه معه على دابة وغدا به إلى الفلاة ومعه رفيق له راكب دابة أيضاً ومعه حمامة مشدودة بخيط فإذا صارا إلى الفلاة شدّ البازيارُ البازي بخيط وأمسك طرفه بيده وجعل البازي بعيداً عنه بعض الشيء ، ثم دعاه إليه فإذا استجاب له وجاءه ذبح الحمامة عند كفه وأشبعه منها. وهو في مكانه ، فإذا كرّر البازيار ذلك ثلاثة أيام وجاءه البازي في كل مرة مستجيباً لدعائه ألقى إليه الحمامة في اليوم الرابع فإذا بادر إليها وأخذها ذبحها عند كفه وشقّ منها شقة ثم يركب الدابة ويناديه بها مرة أو مرتين فإذا جاءه أشبعه منها ، ثم يفعل ذلك مراراً حتى إذا صار يلي دعاه ويستجيب له من غير تأخير جرّده من قيوده ودعاه إليه فإذا جاءه أشبعه .

فإذا ألفت ذلك واعتاده وغدا يجيبه كلما دعاه ، سواء أكان قريباً أم بعيداً جائئاً على الأرض أم واقفاً على نشزٍ أو جدار أو نخيل ، فعليه أن يخطو في تعليمه خطوة جديدة ، وذلك بأن يموّده الركوب في السحر وأن يغدو به بين الناس ذاهباً آيياً ، فإذا هدأ عند سماع الأصوات واستأنس برؤية الناس كان ذلك دلالة على كمال تعلّمه .

فإذا أراد أن يضرّبه على صيد طير الماء عمد إلى طائر من «البلق» وشده بخيط ووضعته في حقيبة وخرج بالبازي إلى الصحراء وهناك يطلقه أمام البازي ويشده ليتحرك فإذا رآه وأخذته تركه حتى يهم بنتفه بنفسه فإذا باشر ذلك أخذه منه وستره عنه ، فإذا جعل يبعث عنه ويحدّ في طلبه رماه له فإذا أخذه ذبحه البازيار عند كف البازي وتركه يتلذذ بنتفه ، فإذا فرغ

من ذلك ، شقّ عن جوفه وأخرج له قلبه وأعطاه معه من لحم الحمام ما يكفيه .

فإذا كان غدُ ذلك اليوم خرج به كرة أخرى ومعه طير ماء ، وأراه إياه فإذا عاينه في يده أمسك به من جناحيه ورماه في الجو فإذا بادر إليه البازي وأخذه فعَل به ما فعله في الأمس .

فإذا كان غدُ ذلك اليوم خرج به إلى الفلاة - ومعه طبل - واستتر عنه في مكان وأعطى رجلاً من أعوانه طير ماء وجعله مستتراً عنه أيضاً ، وجعل العلامة بينه وبين صاحبه أن يطلق الطير إذا هو سعل فإذا هبّ البازي لصيده نقر البازيار في إثره بالطبل ليعتاد سماعه ، فإذا أخذ الطير أشبعه منه . فإذا اعتاد ذلك وأتقنه خرج به إلى الفلاة وتوخى مكاناً فيه ساقية ماء هادئة وأرسله على طير الماء الواقع عليها فإنه يصيده .

فإذا صاد أشبعه ، وإن أخطأ رمى طيراً في كفه وذبحه عند رجليه وأشبعه منه فإن ذلك يجعله يصيد في غده ، فإذا صاد وشبع خمس شبعات أو أكثر فإنه يبدأ بالكبار من الطير كالحباري والإوز وغيرها ، ويجرؤ على الكبار من الأرانب أيضاً .

وإذا كان البازيار في منطقة يكثر فيها طير اليابسة فالأفضل ألا يرسله على طير الماء ، ذلك لأن طير الماء يفسده ولا يلجأ الصيادون إلى استعماله فيه إلا إذا كانوا لا يجدون سواه (١) .

ويحسن أن يُضرمي البازي على الطائر الأكبر والحيوان الأعظم حتى إذا أرسل بعد ذلك على الصغير الهين اجترأ عليه ، أما إذا ضرمي على الصغير الهين ثم حمّل على ما هو أعظم منه فربما أحجم عن منازلته وارتد عنه وخاصة إذا أصابته منه آفة أو عراه بسببه عنّت أو تعب (٢) .

(١) انظر البيزرة : ٦٦ ، ٦٧

(٢) انظر المصايد والمطارد : ٥٧

والأفضل عند تضرية الصغير من البزاة أن يُرسلَ بالعشيات في أول أمره ، لأن البازي يتجنب التحليق في العشيات ويعمد إلى الإسفاف في طيرانه والاقتراب من الأرض .

وفي تعويده على الإسفاف فائدة كبرى ذلك بأن كثيراً من الطرائد تحتال عليه باللجوء إلى الأرض واقتحام بعض الأماكن الضيقة التي تتميزُ عليه لأنها تعلم أنه لا قبَلَ لها به إذا طاردها في الجو ولا قبَلَ له بها إذا لجأت إلى بعض مخابئ الأرض واستترت عن عينيه ، ومن هنا حَسُنَ أن يُتَوَخَى في تضريته وتعليمه كثرة وقوعه على الأرض وإسفافه (١) عليها حتى يتتبع طرائده ويُبْطِلَ حيلها عليه (٢) .

وَحَدُّ تعليم البازي شرعاً أن يحببك إذا دعوته ولا يشترط فيه أن يترك الأكل من طريدته .

ومن شأن البازي المعلم أن يزعج بنفسه صاعداً وهابطاً وأن ينقلب على بطنه حتى يلتقف فريسته .

ومن عاداته إذا أخطأ صيده وفاته ، وكان في فلاة لا شجرَ فيها أن يُوكِّسَ ممناً حتى يجد كهفاً أو جداراً يأوي إليه ؛ ولهذا يُعلِّقُ عليه جرسٌ ليدل على مكانه إذا خفي عن العيون (٣) .

والبازي يصيد ما بين المصفور والكركي (٤) وهو لا يقتصر على صيد الطير وإنما يصطاد الحيوانات الصغيرة كالأرانب وأمثالها (٥) .

(١) الإسفاف الطيران الذي يقرب فيه الطائر من الأرض ، وقد قال عبد الله بن عباس : والله لو وجهني أمير المؤمنين حكماً مع عمرو بن العاص لقمعت في مدارج أنفاسه، أسف إذا طار وأطير إذا أسف .

(٢) انظر المصايد والمطارد : ٥٧

(٣) انظر المصدر السابق

(٤) نهاية الأرب : ١٨٧/١٠

(٥) نهاية الأرب : ١٩٧/١٠

قرنصة البازي

تطلق القَرْنَصَة في اللغة على عدة معان منها: اقتناء البازي للاصطياد به ، تقول قرنصتُ هذا البازي أي اقتنيتُه ، ومنها ربطُ البازي ليسقط ريشه ، فهو 'مقرنص' والقَرْنَسَة بالسین كالقرنصة بالصاد ، أما علماء البيزرة فيريدون بالقرنصة إراحة الجارح 'مدة' معلومة من الزمن يتساقط خلالها - غالباً - ريشه وينبت له ريشٌ جديد .

وهي لا تكون إلا للبزة ، ووقتها من دخول أيار وهو اليوم الحادي والعشرون من الثور ومدتها مائة يوم تقريباً .

فإذا أردت قرنصة البازي فأتعبينه قبل ذلك في الصيد أياماً كثيرة إتماماً وافياً إلى أن تراه قد ألقى ثلاث ريشات من كل جناح أو أربعاً ، ثم أعمد إلى بيت واسع باردٍ نظيفٍ مصونٍ من الغبار والدخان والهوام ولا سيما قنل الدجاج وافرشه بالخلاف والسوسن والآس والريحان وما إلى ذلك من الخضرة ، وإن كان فيه ماءٌ جارٍ فهو أجود وإلا فبدل الماء والخضرة كل ثلاثة أيام مرة ثم أعمد إلى خشبة ملساء مستوية طولها خمسة أشبار وثبتت أحد طرفيها في الجدار مما يلي صدر البيت وفي زاوية من زواياه وتوثق منها ، وليكن ارتفاعها عن الأرض أقل من ذراع ولا تجعل الخشبة غليظة فتنبسط كفا البازي لدى وقوفه عليها ولا دقيقة فلا يمكنه الثبات عليها ، وإنما اجعلها

متوسطة بحيث يجمع كفيه عليها واجمل له تحت الحشبة رملاً حتى لا يأم وتؤذنى مخالِبُهُ إذا ما اضطرب ووقع على الأرض اللصبة ، واطرح له في الرمل شيئاً من الشعير فهو لا يلبث أن ينبت سريعاً في ذلك المكان النديّ ، فإنّ البازي يُسرُّ ببردِهِ ويستريح في النوم عليه ، وينشطُ لرؤية الخضرة .

وأسكن البازي في ذلك البيت واجمل مجشمه فوق الحشبة ، واجمل عن يمينه إناءً واسماً من خزف لطيف السمك وضع فيه ماءً وغيره في كل يوم ليغتسل فيه ويشرب منه ، وتوخّ أن يكون وحده في المكان وألا يكون بيته ممرّاً للسكان أو قريباً من ممرّهم لأنه لا يؤمن عليه إن سمع ما يزعجه من أن يضرب بنفسه الحائط فيهلك ثم هو إذا أكثر من المرور به سُفِلَ بذلك عن إلقاء ريشه وتأخر خروجه من القرصة .

ومن الخير للبازي أن يُترك ليَلْقِي ريشه بنفسه فذلك أصلح له وأسلم . أما إذا أردت أن تختصر مدة قرنته فاعمد إلى تنف ريشه بنفسك وأبدأ بريش ذنبه ؛ وذلك بأن تضع يدك في أصل الذنب وأن تقلع ريشه قلعاً رقيقاً لئلا تزعجه وتوجع ظهره وانتفَينْفَقَه وهو ما حول زمكاته (١) من الداخل ليخرج ريشه بخروج ريش الذنب .

ويجسُنُ ألاً تبدأ بذلك حق تريحه أياماً وتسمّنه بعض السمن ولا تكثرن من الطعام على البازي في بداية قرنته رغبةً في تسمينه فإنه يسمن بالطعام المعتدل أكثر مما يسمن بالكثير من الطعام .

ولا تحرص على إسمانه حتى ترى ريش ذنبه قد طلع لأنه إذا سمن قبل طلوع ريشه لم يؤمن أن يسُدَّ الشحم مطالع الريش ؛ فلا تخرج الريشة بعد ذلك إلا بعلاج .

وعلاجه أن تصنع من خشب الداين (٢) أو تاداً على قدر أنابيب الريش

(١) الزمكي بكسر الزاي وسكون الميم وفتح الكاف : منبت ذنب الطائر

(٢) يستفاد من تاج العروس أن الداين مناوّر تصنع من خشب الأرز للاستصباح .

وتغمس هذ الأوتاد في دهن البيض الطري^١ وأن تقبض على البازي من خلفه حتى تأمن عليه من الاضطراب وليكن معك منقاش ثم فتش عن الريشة التي غطاما الشحم فاقلمها واجعل موضعها وتداً من تلك الأوتاد فانها تنبت ، واجمل طعامه في أثناء قرنصته مخاليف الحمام السمان النواهض التي طارت ، ولا تطعمه الفراخ التي لم تطر فانها تثقنه إذا أكلها ولا يسبقها بسرعة وأطعمه البط السمان والقنابر والعصافير الطرية البقلية وما أشبه ذلك ، ولا تداوم على طعام واحد مما ذكرناه بل غيّر عليه هذه اللحوم فهو أصلح له من أن تداوم به على لحم واحد ، ولا تطعمه لحماً بارداً وأنت تقدر على إطعامه اللحم الحار . وإذا رأيت بازك قد ألقى بعض ريشه الصفار وطلع شيء من ذنبه فتمهده بالأدهان واجمل في طعامه دهن الخروع أو دهن القنب بين الحين والحين فإنها مع دسومتها شديدا الحرارة وإذا أكل منها ألقى ريشه ، وليكن ذلك بقدر .

فاذا تمّ نبات ريش ذنبه وجناحيه وأردت مزاوله الصيد به فاعمل على إذابة شحمه وانقاصه قبل ذلك بأيام^(١) .

(١) انظر في قرنصة البازي البيزرة : ٧٥ وما بعدها ، والصيد والطرود عند العرب : ٦٨

آداب معاملة البازي

رسم علماء البيزرة لسياسة البازي حدوداً تعارفوا عليها وسنثوا لحسن القيام عليه آداباً ، والتزموا بها ، وذلك لما يتمتع به هذا الجارح من مزاج لطيف ، ولما له من منزلة في نفوس هواة الصيد ومكانة عند المولعين به . فاشترطوا في حامل البازي أن يكون نظيف الثوب ، طيب الرائحة ، كريم الشئائل عالماً بشؤون البازي وأحواله . وحذروا من أن يحمله الأبخر لأن الرائحة الكريهة تكسر شهوته إلى الصيد وتجعله ينفر من حامله .

فإذا حمله الأبخر أياماً ثلاثة عرفه واشماز منه وجعل يهرب من وجهه كلما أقبل عليه .

وإذا حمله طيب الرائحة ارتاح إليه وأنس به واشتدّ إليه حتى إنّه ليلصق جسده بجسده ويجلس مطمئناً فوق يده ، أو ييضم مرتاحاً فوق رأسه (١) .

وقد سنّ علماء البيزرة لإمساكه آداباً تختلف عن إمساك الجوارح فذهب جمهورهم إلى أنه يجب أن يُحمّل على اليد اليسرى .

(١) انظر أنس الملا : ١٢٠ - ١٢١

وذهب بعضهم إلى أن امسك البازي باليمى أَمْكَسْنُ في الحمل وأدنى إلى إصابة الهدف وأدعى إلى الوقوع على الطريدة .

وسواء أحمل البازي على يسرى الرجل أم يمناه فإن على حامله ألا يغفل عنه في أي حال من أحواله وألا يحطّ يده إلى الأرض ليأخذ منها شيئاً .

وقد كانت ملوك فارس تحمله على اليسرى وكان الآيين في ذلك أن يأتي البازيار والجارج على يساره فيعارض الملك ورأس كل واحد منها إلى كفل الآخر فيحول من يساره إلى يسار الملك ، وأخذ العرب بهذا المذهب في حمل الجوارح وجروا عليه (١) .

والبازي جارج مرهف الحس يؤذيه كل ما يؤذي أصحاب الأمزجة اللطيفة لذا حذروا حامله من أن يأكل ثوماً أو بصلاً أو أي طعام آخر تتغير له رائحة الفم فان ذلك يجعله برماً بصاحبه ويجعله على تحويل وجهه عنه ، وهو طائر كريم النقس حمي الأنف يأبى الإهانة لذلك حذروا مؤذبه من أن يصيح في وجهه أو ينهره فإن ذلك يقضي على ما بينها من حسن الصلة ويفضي إلى زوال الألفة .

والبازي طائر يحفظ الجميل لذلك دعوا سائسه إلى مداراته والرفق به عند حمله ، وأن يتمهته في غير أوقات طعامه باللقمة الصغيرة .

وحضوه على أن يلتصقه من فمه ليألف ذلك منه وليتملتي بفيه وليلتفت إليه عند ندائه ، وليستجيب إلى دعوته إذا دعاه (٢) .

ومن حسن سياسة البازي أن يجوع في الليل حتى يصطاد في النهار فإذا صاد ما يجب أن يصيده أطعم وأشبع وأريح حتى يؤتى بغيره من البزاة وهكذا .

(١) انظر أنس الملا : ١٢٢ والمصايد : ٦١

(٢) انظر البيزرة : ٧٨ ، ٧٩

البَاشِق



الباشق من أخف الجوارح طيراناً وأسرعها نهوضاً ، وهو يشارك البازي في حدة المزاج وقوة النفس ويصيد ما يصيده البازي .

والبازي طائر يرتاح إلى السباحة وينشط على الاستحمام ويرغب فيها ، وهو يشير إلى رغبته هذه بِحَضْنِ حَضَّةٍ مَنَسَّرَةٍ فِي الْمَاءِ ، فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ 'قَدَّمَ' لَهُ جَفْنَةً كَبِيرَةً فِيهَا مَاءٌ فَإِنَّهُ يَطِيرُ إِلَيْهَا وَيَسْقُطُ فِيهَا وَيَرْفُ بِجَنَاحِيهِ فِي الْمَاءِ حَتَّى يَنَالَ بِغِيَمَتِهِ مِنَ السَّبَاحَةِ ، وَعِنْدَ ذَلِكَ يُعَدُّ لَهُ قَفَازٌ مِنَ الْخَشَبِ يَقِفُ عَلَيْهِ وَيُدْنِسُ مِنْهُ مَنْقَلٌ نَارٌ لِيَسْتَدْفِيءَ بِهِ إِنْ كَانَ الْجَوُّ بَارِدًا ، فَيَتَمَشَّقُ حَتَّى يَتَسَاقَطَ الْمَاءُ عَنِ رِيْشِهِ وَيَنْشَفُ جَسَدُهُ ، ثُمَّ يُدْنِسُ لَهُ فَرُو مَطْنُوِيٌّ لِيَنْزَلَ إِلَيْهِ وَيَنَامُ عَلَيْهِ (١) .

أنواع البزاة :

البزاة خمسة أنواع هي : البازي ، والباشق ، والبيدق ، والزُّرْقُ ، والقيمي (٢) أما البازي - الذي هو رأس هذه الفصيلة من الجوارح - فقد وفينا الحديثَ عنه فيما سلف ، وأما الأنواع الأربعة الأخرى فنسوق الكلامَ عليها فيما يلي :

(أ) الباشق :

اتفق كشافهم في كتابه المصايد والمطارد (٣) والدميري في كتابه حياة الحيوان (٤) والقلقشندي في كتابه صبح الأعشى (٥) والنويري في كتابه نهاية الأرب (٦) على أن الباشق صنفٌ من أصناف البزاة ، وشاركهم في قولهم هذا صاحب كتاب الصيد والطرود عند العرب (٧) بينما جمعه صاحب البيزرة جارحاً مستقلاً بنفسه وقدّمه على سائر الجوارح بما فيها البازي مخالفاً بذلك جميع

(١) الاعتبار : ٢٠٤

(٢) هذا تقسيم صاحب المصايد والمطارد

(٣) المصايد والمطارد : ٧٣

(٤) حياة الحيوان : ١٠٩/١

(٥) صبح الأعشى : ٥٨/٢

(٦) نهاية الأرب : ١٩١/١٠

(٧) الصيد والطرود عند العرب : ٤٥

مؤلفي كتب البيزرة الذين لا يقدمون على البازي جارحاً من الجوارح (١) ،
والباشق لفظ أعجمي معرب (٢) .

ويمتاز الباشق من البازي بأنه أصغر منه حجماً وأقل وزناً ، فوزن
البازي قريبٌ من ثلاثة أرطال ونصف الرطل بينما لا يزيد وزن الباشق على
مائة وثلاثين درهماً وهو ألطف من البازي وأقرب إلى الألفة ، وهو أخف
الجوارح طيراناً وأسرعها نهوضاً وأصغرهما جثةً بيد أنه طائرٌ قلقٌ يأنس حيناً
ويستوحش حيناً آخر .

وهو يشارك البازي في حدة المزاج وقوة النفس (٣) ، والباشق طائر حسن
الصورة (٤) خفيف الحمل حلوُ الشهاثل يليق بالملوك (٥) وهو من درجة البازي
حيث يصيد أفخر ما يصيده البازي من الدراج والحمام والورشان (٦) .

والباشق الذي يُؤخذ من وكِره يسدعى الغِطْرَاف (٧) وإناث الباشق
تسمى الفَوَيْسِقَةَ ، وقيل : إن الفويسقه صغارُه لا أنثاه (٨) .

والعامية في مصر والشام تطلق على الباشق اسم « الساف » (٩) .

وقد وصفه أحد الأندلسيين فقال : كأنما اكتحل بلهب ، وانتعل بذهب ،
من سيموفه منقارُه ، ومن رماحه أظفارُه (١٠) .

(١) البيزرة : ٥٠ .

(٢) لسان العرب : ٣٠٢/١١ .

(٣) عجائب المخلوقات : ٣٥٤ والصيد والطرود عند العرب : ٤٨

(٤) عجائب المخلوقات : ٣٥٤

(٥) نهاية الأوب : ١٩٣/١٠

(٦) الصيد والطرود عند العرب : ٤٨

(٧) المصايد والمطارد : ٧٧

(٨) الصيد والطرود عند العرب : ٤٨

(٩) المصايد والمطارد : ٧٥

(١٠) نهاية الأوب : ١٩٣/١٠

وَيُحْمَدُ فِي الْبَاشِقِ أَنْ يَكُونَ صَغِيرًا فِي جَرْمِهِ ثَقِيلًا فِي وَزْنِهِ طَوِيلَ السَّاقَيْنِ قَصِيرَ الْفَخْذَيْنِ ^(١) . وَهُوَ ذُو أَلْوَانٍ مَتَعَدَّةٍ ، فَهِنَّ الْأَحْمَرُ وَالْأَخْضَرُ وَالْأَصْفَرُ وَالْإِسْبَهْرَجُ . الَّذِي يَشْبَهُ لَوْنَ الْبَزَاةِ ، فَمَا كَانَ أَحْمَرَ الْجَسْمِ أَسْوَدَ الظَّهْرِ فَهُوَ صَبُورٌ عَلَى الْكَدِّ ، أَمَا الْأَحْمَرُ الظَّهْرِ وَالْبَطْنِ فَهُوَ رِخْوٌ قَلِيلُ الْجِلْدِ ^(٢) .

ووزن الباشق يتراوح بين خمسة وتسعين درهماً ومائة وثلاثين ، وقلما يكون الكبير منه فارهاً وإنما الفاره الأوسط ^(٣) ، وأجود أصناف الباشق ما أخذَ فرخاً قبلَ أنْ يلقي شيئاً من ريشه ^(٤) .

وَيُضَرِّي الْبَاشِقَ عَلَى الصَّيْدِ كَمَا يَضَرِّي الْبَازِي وَيُقَرِّنُصَ كَمَا يَقَرِّنُصَ مَعَ اخْتِلَافِ يَسِيرِ ^(٥) .

(ب) الزُّرْقُ :

الزرق بضم الزاي وتشديد الراء المفتوحة صنف من البزاة ، ويجمع على زرايق وزرارة ^(٦) وهو بين البازي والباشق ^(٧) أسود الظهر أبيض البطن أحمر العينين أصفر الرجلين إلا أن مزاجه أحر من مزاج البازي ، لذلك كان أشدَّ جناحاً وأسرع طيراناً وأقوى إقداماً وهناك من يرى أن الزرق ليس صنفاً من البازي فحسب ، وإنما هو ذكرُ البازي لأن البازي عنده لا يكون إلا أنثى وذكره الزرق ^(٨) .

والزرق ختمال خبيث ، ذلك أنه إذا أرسلَ على طائر ابتعد عنه ،

(١) حياة الحيوان : ١٠٩/١

(٢) المصايد والطارد : ٤٩

(٣) انظر المصدر السابق

(٤) نهاية الأرب : ١٩٣/١٠

(٥) انظر البيزرة : ٥٩ ، ٥١ ، ٥٠

(٦) انظر الحيوان : ١٨٢/٣ ، ٢٢٩/٤

(٧) انظر الهميري : ٥/٢

(٨) انظر المصايد والطارد : ٥٥

وحلّق في غير مطّاره ، ثم عطف عليه من حيث لا يحتسب وانقضّ عليه .
وأظهر له الشدة بعد اللين (١) .

وخير ألوان الزرق ما كان أسود الظهر أبيض الصدر أحمر العين . وأفتره
أنواعه ما كان أعدل خلّقاً ، وأقل ريشاً وأثقل محملاً ، وأملاً فخذاً ،
وأرحب شدةً وأوسع عيناً وأصفى حدقةً وأصغر رأساً وأطول عنقاً وأقصر
خافيةً وأشدّ لحمًا ، وأن يكون إلى ذلك أخضرَ الرجلين وسبع المخالف
متمعرًا من اللحم (٢) .

و « الزرق طائر يقبل التأديب (٣) ، وهو يُساس كما يساس البازي
ويُضرمي مثل تضرّيته فهو صنفٌ منه طبعه كطبعه ، وصيدُه كصيدِه ،
وتأديبه كتأديبه ، وداؤه كدائه ، وعلاجه علاجه ، ولا فرق بينهما إلا أن
البازي أضخم جثةً وأقدر على الصيد (٤) .

ويصيد الزرق ما يصيده البازي إلا الكركي (٥) وهو على الرغم من ختله
وخبثه ربما عجز عن صيد الحباري ، وعلى الجملة فالزرق جارح أثير لدى هواة
الصيد و « معدود في جملة جوارح الملوك » (٦) .

(ج) البيدق :

البيدق بالدال المعجمة أو المهملة صنف من البزاة لا يصيد غير العصافير ،
وهو قليل الغناء ، ولما وجد في نوعه ما هو فاره كريم ، وهو قريب
الطبع من العفصبي* .

(١) نهاية الأرب : ١٠/١٩١

(٢) انظر المصدر السابق

(٣) الحيوان : ٤/٤٧

(٤) المصايد والمطارذ : ٥٥

(٥) المصدر السابق

(٦) الحيوان : ٦/٣٧٣ و٨٧٤

والعفصي - كما نعته الدميري - أصفر الجوارح نفساً ، وأضعفها حيلة وأشدّها ذعراً وأبيسها مزاجاً يصيد العصفور في بعض الأحيان وربما نجا منه ، وهو يشبه الباشق في الشكل إلا أنه أصغر منه (١) .

(د) القيميُّ :

لم يتعرّض أحد من أصحاب كتب البيزرة والحيوان لهذا الجارح سوى كشاحم في كتابه المصايد والمطارد ، وكل ما قاله فيه : إنه « باز قضيف » (٢) ذاهل النفس ، كما أنه لم يورد فيه شيئاً من الشعر كما فعل في الجوارح الأخرى (٣) .

٢ - الشاهين :

الشاهين هو النوع الثاني من أنواع الجوارح وجمعه شواهين وشياهين ، وقد تكلمت به العرب قديماً وليس بعربي (٤) .

ويدعوه العرب بِمَلَاعِبِ ظَلَّةٍ وهو طائر يَسْتَنجِحُ كذا مرّةً وكذا مرة كأنه ينصبُّ على طائر ، وهو أكدر أبغث ، والبُغْثَةُ 'شكيلة' كلون الرماد . وقال بعضهم في وصفه : إنه أخضر الظهر أبيض البطن طويل الجناحين قصير العنق (٥) .

والشواهين أكبر ذوات الريش حجماً (٦) . وهو من جنس الصقر إلا أنه أبرد منه وأبيس مزاجاً لذلك كانت حرّته من العلو إلى السفلى شديدة ، وهو ينقضُّ على صيده من غير تحويم (٧) .

-
- (١) انظر المصايد والمطارد : ٧٧ ، والدميري : ١١٠/١ ونهاية الأرب : ١٩٤/١٠ ،
والصيد والطرود عند العرب : ٤٨
(٢) القضيف : الدقيق النحيف والجمع قضاف وقضف
(٣) المصايد والمطارد : ٧٣
(٤) الصيد والطرود عند العرب : ٥٤
(٥) المخصص : ١٥٠/٨
(٦) البيزرة : ١٠٥
(٧) الصيد والطرود عند العرب : ٥٤

والشاهين أرق من الباشق مزاجاً ، وأقل من الصقر صبراً على الكد ،
وأدنى منه فراهة (١) .

ويسمى الشاهين الحُرّ، واسمه بالفارسية «شوذانة» فَعُرِّبَ على ألفاظ شتى
منها ، «شوذانتيق ، وشوَذَق ، وشوَذنيتي ، وشينذونق . وقد وردت هذه
الأسماء كلها في المخصص لابن سيده بالسين بدلاً من الشين (٢) .

وللشواهين أسماء تختلف باختلاف الحالة التي صيدت فيها ، « فما صيدَ
منها في أوكارها قيل لها الفطاريف الوركريّة ، وما صيد منها حين تطير قيل
لها المتنقلة ، وما صيد منها بعد أن اكتملت وصادت قيل لها البَدْرِيّة ، وما
صيد منها وقد أمطرت قيل لها المطورة ... وما صيد منها وقت الهياج
قيل لها الرواجع (٣) .

وتكاد تجمع كتب البيزرة وغيرها على أن أول من لعب بالشواهين
وضراًها قسطنطين ملك الروم ، وذلك أنه رأى شاهيناً محلّقاً على طير ماء
يصطاده فأعجبه ما رأى من فراهته ، وسرعة طيرانه ، وحسن صيده ،
ذلك بأنه وجدته يحلّق في طيرانه حتى يلحق عنان الجو ثم يعود في طرفه
عين فيضرب طير الماء فيأخذه قناصاً ، فقال : ينبغي أن يصاد هذا الطائر

(١) البيزرة : ١٠٤

(٢) الصيد والطرود : ٥٤ والمخصص : ١٥٠/٨

(٣) البيزرة : ١٠٧

ويعلمهم فإن كان قابلاً للتعليم ظهرت منه الأعاجيب في الصيد ، فأمر بصيده وتعليمه ؛ فصيد وعلمهم وحمله على يده ثم رضت له الشواهين بعد ذلك وعلمت أن تحوم على رأسه إذا ركب فتظلمه من الشمس فكانت تنحدر مرة وترتفع أخرى فإذا نزل وقعت حوله (١) .

والشواهين منها البحرية وهي التي تفرخ في ناحية البحر وتمتاز بعظيمها وبياض ما اعتمت به رؤوسها من الريش كما تمتاز بكثرة ريشها ورقة ألوانها . ومنها ما يقال له « الكوستانيات » وهي على خلاف البحرية من حيث لطافة حجمها وحمرة ما اعتمت به رؤوسها من الريش وقلته وغلظ ألوانها (٢) . والشاهين كاسمه الذي يعني الميزان ، لأنه لا يحتمل أدنى حال من الشبع أو الجوع ، وإذا احتاجت الشواهين إلى الطعام ولم تجده فلربما قتلت نفسها ، لأنها كثيرة الغضب سريعة الحدة والنفور (٣) .

وقد ذكر العلماء بالجوارح أن الشواهين أسرع الجوارح كلها وأشجعها وأحسنها تقلباً في الجو وأجودها إقبالاً وإدباراً وراء الطريدة وأشدّها ضراوة على الصيد ، إلا أنهم عابوها بالإباق ، وربما يعترها من شدة الحرص على الطريدة ما يجعلها تضرب بأنفها على ما غلظت من الأرض فتموت (٤) .

والشاهين إذا أبقى مرة ، وبات ليلة بعيداً عن صاحبه لم يُنتفع به بعد ذلك ، لأنه متى اعتاد الهرب لم يُقتل عنه أبداً ولذلك دعي بالآبق (٥) .

(١) انظر أنس الملا : ١١٧ والقانون في البيزرة : الورقة ٦ وما بعدها ونهاية الأرب : ٢٠٢/١٠ ومروج الذهب : ١٦٠/١ وما بعدها وصبح الأعشى : ٥٩/٢

(٢) البيزرة : ١٠٦

(٣) الصيد والطرود عند العرب : ٥٤

(٤) المصايد والمطارد : ٧٩

(٥) البيزرة : ١٠٦

صفات الجيد من الشواهين :

والمختار من الشواهين الأحمر إذا كان عظيم الهامة ، واسع العين حادها ،
سائل السفممتين^(١) تامّ المفسر طويل العنق رحب الصدر ممتلىء الزور عريض
الوسط جليل الفخذين قصير الساقين قريب العقدة من الفقار طويل الجناحين
قصير الذنب سببط الكف ، أحصرها^(٢) ، قليل الريش ليئته ، تام الخوافي
ممتلىء العكوة^(٣) ، يفتل ذنبه فتلا شديداً .

وقد زعم أهل الاسكندرية أن السود منها هي المحمودة وأن السواد
أصل لونها غير أنها تتلون بلون البرية التي تحيا فيها ويكون فيها تلميع^(٤) .

والحكماء يمدون من الشواهين ما قرنص^(٥) داخناً ويفضلونه على ما
قرنص وحشياً^(٦) ، وقيل في صفاته المحمودة أيضاً أن يكون عظيم الهامة
واسع العينين رحب الصدر ممتلىء الزور عريض الوسط جليل الفخذين قصير
الساقين قليل الريش رقيق الذنب حتى إذا ما أرخى جناحيه على ذنبه لم
يُفضّل منها شيء^(٧) ، فإذا كان كذلك صاد الكركي^(٧) .

والشاهين يكون إسنبهراج اللون ، وهو الذي يغلب عليه البياض ،
ويكون أحمر وأسود ، والأسود هو البحري الخالص^(٨) ، والحمر تكثر في
الأرياف والمواضع السهلة أما الشهب فتكثر في الجبال والبرية ،^(٩) .

(١) السفعة : العين

(٢) أحصرها : ضيقها

(٣) المكوة : أصل الذنب . بضم العين وكسرها

(٤) المصايد والمطارد : ٧٩ ، ٨٠ .

(٥) قرنص الباز وباز مقرنص : أي معد للاصطياد

(٦) المصايد والمطارد : ٧٩

(٧) الصيد والطرود : ٥٤ ، ٥٥

(٨) البيزة : ١٠٤

(٩) المصايد والمطارد : ٨٢

الشاهين



الشاهين لفظ فارسي معناه « الميزان » ، وقد دعي كذلك لأنه يتأثر بأقل حال من الجوع ، وإذا جاع ولم يجد فلربما قتل نفسه . وهو من أسرع الجوارح وأحسنها قلباً في الجو ، وهو ينقض على الطريدة انقضاضاً من غير

تحويم .

وأوزان الشاهين تتراوح بين رطلين ونصف الرطل بالبغدادى^١ وبين ثلاثة أرطال ، وربما زاد على ذلك أو نقص^(١) .

تدريب الشاهين على الصيد :

والشاهين من الجوارح القابلة للتأديب والتضرية^(٢) فإذا أردت تضريته وكنت قد صدته من الكوخ^(٣) « فحِطْ عَيْنِهِ لِيَهْدَأَ عَلَى الْيَدِ أَيَّاماً ، ثم افتحها وعرضها للنور فإنه مثل الباشق في ذلك ، واصطنع الرفق في معاملته فهو أرقّ من الزجاجة مكسراً ... فإذا أنس ؛ فادعُوه وهو مشدودٌ بخيط إلى حمامة فإذا جاء فأشبعه منها ثم صبحه في غده بحمامة أخرى وادعه إليها ، فإذا دنا منها فاسترها عنه ، وِصَحْ في وجهه فإذا وَلَّى وأنت ممسكٌ بالخيط الذي في رجله فلا بدّ من أن يلتفت إليك فإذا التفت فارم له الحمامة فإذا أخذها فأشبعه منها .

ثم صبحه في غده وهو مقيد وخذه على يدك وأره الحمام وأخلفه من يدك ، فإذا دار حولك دورتين أو ثلاثاً فارم له الحمام وأشبعه منه فإذا اعتاد ذلك فاجعل في الحقيبة طائر ماء وخذ الشاهين فارفعه وترقب سكون الجو ، فإذا سكن فأخرج الطائر من الحقيبة وأطلقه أمامه فإذا أخذه فاذبحه وأشبعه منه وأردده إلى البيت ، وأشدّده على الكندرة فإذا كان بعد ثلاثة أيام فأخرج به إلى الفيض وخذ معك طائر ماء وابتغ له ساقيةً فيها طير المساء ، وارفعه على يدك ... فإنه كلما علا كان خيراً له ، وأطلقه واجتهد في أن يكون هو فوق الريح والطير تحته ، أما إذا كان هو تحت الريح فلا تطلق له الطائر ، فإن صاد فأشبعه من صيده .

وإن أخفق وذرق فأشبعه مما معك فإنه لا يلبث أن يصيد^(٤) .

(١) البيزرة : ١٠٤

(٢) الحيوان : ٤٧/٤

(٣) أشرنا إلى طريقة صيد الجوارح من الكوخ عند الحديث عن طرق الصيد

(٤) البيزرة : ١٠٤

ما يصيده الشاهين :

والشاهين يصيد ما يصيده الصقر وهو فوق الأنريقي^(١) ، والشاهين البري يصيد الكركي والخبّرج^(٢) ، والفاره من الشواهين يصيد الغزلان أيضاً ، فقد روى صاحب البيزرة أنه مرّ ومن معه بقطيع غزلان فأنفردت منه شاة فأرسل عليها شاهيناً فأضلته وأضلت الشاة فلم يزل يطوف في الصحراء بحثاً عنه إلى قبيل المغيّب فرأى شيئاً عن بعد فقرّب منه فنفر به فرسه فإذا بالشاهين قد وقع على الشاة وقد قطع ذنبها وتلطخ بدمها فركض نحوها فلما أحسّت به الشاة عدت طالعة في الجبل فانطلق الشاهين وراها حتى أمسكها فنفضته عنها وعادت فلحقها وصادها فنزل وكبّر عليها ودبحها وأشبع الشاهين عليها^(٣)

أنواع الشواهين :

والشواهين ثلاثة أنواع هي : الشاهين ، والأنريقي ، والقطامي^(٤) .

أما الشاهين وهو رأس هذه الفصيلة فقد أفضنا القول فيه آنفاً . وأما الأنريقي فتسميه أهل العراق (الكرك) وهو دون الشاهين في القوة إلا أن فيه سرعة وهو يصيد العصافير وفيه يقول الشاعر :

غَنَيْتُ عن الجوارح بالأنريقي بمثل الريح أو لمع البروق
أصْبُ به على العصفور حتفاً فأرميه بصخرة منجنيق^(٥)

وأما القطامي وهو الصنف الثالث من أصناف الشواهين وتسميه أهل العراق « البهرجة » ويقال إنه في طبع الشاهين ، والعرب تخالف في ذلك

(١) البيزرة : ١٠٥

(٢) الخبّرج : ذكر الخبّاري

(٣) البيزرة : ١٠٢

(٤) نهاية الأرب : ٢٠٠/١٠

(٥) نهاية الأرب : ٢٠٤/١٠ والمصايد والمطارد : ٨٣

وتسمي بعض الصقور بالقطامي غير أن المشتغلين بالجوارح لا يأخذون بذلك^(١).

« والقُطاميُّ بضم قافه وتفتح ، وهو من أعظم الطيور التي يصاد بها وهو عزيز الوجود »^(٢).

وليس في الكتب التي بين أيدينا على كثرتها شيء أكثر من هذا الذي أوردناه عن هذين الجارحين .

٣ - الصقر :

الصقر هو النوع الثالث من أنواع الجوارح ، ويبدو أن العرب كانوا يطلقون اسم الصقر على سائر الجوارح ، فقد ذكر كشاجم في المصايد والمطارد أن « الشاهين والزرقي واليؤيؤ والباشق كلها صقور »^(٣) . وقال صاحب كتاب الصيد والطرود عند العرب « والعرب تسمي كل طائر يصيد صقراً ما خلا النسر والعقاب ، وعن أبي زيد الأنصاري أنه يقال للبزة والشواهين وغيرها صقر ، ونحوه عن ابن سيده »^(٤) .

غير أن العرب على ما يبدو جعلوا يفرقون شيئاً فشيئاً بين هذه الجوارح ويميّزون كلاً منها باسم خاص ، وكان في جملة هذه الجوارح التي ميّزت من غيرها الصقر ، ويؤيد ما ذهبنا إليه ما ذكره القلقشندي عند حديثه عن الصقر من قوله : وهو « المخصوص في زماننا باسم الصقر »^(٥) .

ويجمع الصقر على أصقُرٍ وصقُورٍ وصقّارٍ وصقُورةٍ وصقّارةٍ ، وعن سيبويه : إنما جاءوا بالهاء في مثل هذا الجمع للتوكيد نحو بعولة ، وكل كلمة

(١) نهاية الأرب : ٢٠٤/١٠

(٢) الصيد والطرود عند العرب : ٥٥

(٣) المصايد والمطارد : ٨٤

(٤) الصيد والطرود عند العرب : ٣٤ والمخصص : ١٤٨/٨

(٥) صبح الأعشى : ٦٠/٢

فيها (صاد) بعدها (قاف) ففيها اللغات الثلاث . فيقال : (صقر)
و (زقر) بابدال الصاد زايأ و (سقر) بابدالها سينأ . والأثنى صقرَة
وزقرَة وسقرَة (١) .

أسماء الصقر وكناه :

والعربُ تَسَمِّي هذا النوع (الحر) (٢) ، وقيل : إن الحر نوع من
الصقور قصير الذنب عظيم المنكبين كبير الرأس أغبر اللون أسفمه ، وقيل
أيضاً إنَّ الحر من الصقور شبيه بالبازي يضرب إلى الخضرة ، وهو أصفر
الرجلين والمنقار (٣) .

ويقال للصقر: الأجدل ، والأكدر ، والهَيْثَم ، والمضرحيُّ ، والقَطامي ،
والأسفح ، والزهدم وقيل الزهدم فرخ البازي .

وُدعي بالأجدل لشدته ، وبالمضرحيِّ لطول جناحيه وكرمه ، وبالقطامي
لقطمه اللحم بمنسره (٤) . وكنية الصقر أبو شجاع ، وأبو الإصبع ، وأبو
الحراء ، وأبو عمران ، وأبو عوان (٥) .

وأول من صاد بالصقر وضراه الحارثُ بنُ معاوية بن ثور بن كندة ، ثم
اتخذته العرب من بعده (٦) .

وقد أخذت الفرس عن العرب الصيد بالصقور فقد جاء في كتاب
(القانون في علم البيزرة) أن كسرى بهرام بن سابور لما بلغه تضرية العرب
للصقور على صيد الطيبي أرسل إلى نصر بن خزيمة صاحب الجزيرة يلتمس منه

(١) الصيد والطرود عند العرب : ٤٩ والمخصص : ١٨٤/٨

(٢) لا يزال البداة في نجد يدعون الصقر بهذا الاسم .

(٣) المخصص : ١٥٠/٨

(٤) انظر المخصص : ١٤٨/٨ وما بعدها والمصايد والمطارد : ٨٤ وصبح الأعشى : ٦٠/٢

(٥) انظر الصيد والطرود عند العرب : ٥١

(٦) انظر المصايد والمطارد : ٨٤ ، ٨٥ ، وكتاب الطيور ، الورقة : ١٢ والقانون في علم

البيزرة الورقة : ٦ وما بعدها ونهاية الأرب : ١٩٥/١٠ .

صقورا فأرسل له منها ما كان قد ضربه وعلمه الصيد فلما رآه كسرى يقتنص الطيبي والأرنب اشتد إعجابيه ، واتخذ الصقور ، وأظهر للروم فضلها على الشواهين (١) .

ومن هنا قال الجاحظ عن الصقر : « إنه عربي » (٢) .

صفات الصقور الجيدة :

« والعرب تحمدُ من الصقور ما قرنص (٣) وحشيباً ، وتذم ما قرنص داجناً وتقول : « إنه تيلسد ولا يكاد يفلح » (٤) .

والختار من الصقور هو ما كان « أحمر اللون عظيم الهامة دامع العين تام المنسر طويل العنق رحب الصدر ممتليء الزور عريض الوسط جليل الفخذين قصير الساقين قريب العقدة من الفقار ، طويل الجناحين قصير الذنب سببط الكف غليظ الأصابع فيروزجها أسود اللسان » (٥) ومتى توافرت له هذه الصفات فإنه يجمع « الفراهة والوثاقة والسرعة » (٦) .

وألوان الصقور مختلفة ، فمنه « الأشهب الكثير البياض وهو الحساوي » ، وموطنه الجبال والبراري ، والأحمر ومأواه الأرياف والسهول ، والأسود البحري وهو الذي يشتو في الجزائر على شاطئ البحر ، والأصفر والأخضر وهو الذي يضرب ظهره إلى الخضرة وقل من يعرف هذا اللون » (٧) .

أما أوزان الصقور فمنها ما يكون وزنه رطلين ونصف رطل بالبغدادية

(١) القانون في علم البيزرة : الورقة : ٦ وما بعدها

(٢) الحيوان : ٤٧٨/٦ .

(٣) قرنص الباز والصقر : اتخذ للصيد

(٤) المصايد والمطارد : ٨٤

(٥) المصايد والمطارد : ٨٥

(٦) المصايد والمطارد : ٨٥

(٧) البيزرة : ٩٥

ومنها ما يكون وزنه على الصيد رطلين وثلاث رطل، ومنها ما يكون وزنه رطلين .

ما يصيده الصقر :

«والصقر جارح صيود يمتاز بشدة صبره حتى قيل إن الصقور من الجوارح بمنزلة البغال من الدواب لأنها أقوى على الشدة وأحمل لغليظ الغذاء وأحسن ألفة وأشدّ إقداماً على جِلَّة الطير من نحو الكركي وغيره ، (١) .

والصقور إذا أُضربَت على صيد الطباء أمكنها ذلك (٢) وقد فضل صاحب البيزرة الصقر على الشاهين وقدمه عليه لما رأى وجرب من حسن بلائه في الصيد ، وقد خالف بذلك أكثر البيزرة (٣) .

صقرٌ يصيد غزالاً :

والصقر يُضربُ على صيد الغزال تعاونه في ذلك الكلاب لكنه قد يصيدها منفرداً فقد روي عن أبي عليّ التنوخي عن فارس بن مسعف قال : « كنت في عسكر هارون بن غريب بن الحبال ، وفيما كان يتصيد ذات يوم بالقرب من حلوان إذ عن له غزالٌ فأرسل عليه صقراً من صقوره - ولم يكن الكلابون بالقرب منه حتى يرسل معه كلباً - لأن المادة جرت أن يُطلق الصقر على الغزال فيقع على رأسه ويعقره ويضرب بجناحيه بين عينيه فيمنعه من شدة العدو فيلحقه الكلب فيصيده ، غير أنه لما خشي أن يفوته الغزال وعزّ عليه وجود الكلاب رأى ان يشغل الغزال بالصقر ريثما تلحقه خيلنا ورماحنا ، فطار الصقر ، وتراكضنا خلفه وكنت أنا من ركض ، وجرى الغزال حتى وافي إلى منحدر جبلٍ فلما انحدر فيه وقع الصقر عليه ، وثبتت مخالبه في عنقه وخذّه ، وحمله الغزال وهو يمدو ، فما كان من الصقر

(١) الصيد والطرد عند العرب : ٥٠ وانظر المصايد والمطارد : ٨٤

(٢) المصايد والمطارد : ٨٤

(٣) البيزرة : ٩٥

إلا أن شدت أحد جناحيه حتى خط به على الأرض يريد بذلك تمويهه عن الجري ، وما زالا كذلك حتى وصلا إلى موضع في الصحراء فيه شوكٌ فعلق بمخلب الصقر جذع شوكٍ عظيم فاذا به يجذب رقبة الغزال بالمخلب الآخر ويدق عنقه ويصرعه ، فلهحقناه ووقعت البشارة ، فقال ابن الجبال ومن معه : ما رأينا قط صقراً أقره من هذا ، وخلع على الصقار^(١) خلعة سنية^(٢) .

والصقر من أثبت الجوارح جناناً ، وأقواها طيراناً وأحرصها على اتباع الطرائد والظفر بها .

وهو يصيد الكركي وما في منزلته من البط وطيير الماء^(٣) .
ومزاج الصقر أبرد من مزاج سائر الجوارح التي عرفناها وأرطب ، لذا فهو يعاف الماء ولا يشتهي شربه^(٤) .

ومن شأن الصقر ألا يأوي إلى الأشجار أو رؤوس الجبال ، وإنما يسكن المغاور والكهوف وصدوع الجبال ، والصقر كالسبع من حيث إن له كفتين في يديه يجمع بها ما يأخذه^(٥) .

حاجة الصقور إلى البرقع :

وقد حض البيازرة على استعمال البرقع للصقر ، وتغطية رأسه وعينيه به لكيلا يشب عن يد صقاره لغير حاجةٍ ولئلا ينطلق على الطريدة قبل الأوان فتخور قواه وتضعف عزيمته ، والبراقع بالنسبة إلى الصقور بمنزلة الأعماد بالنسبة إلى السيوف ، فإن الغمد يصون السيف من الصدأ وهو لا يجرد منه إلا وقت استعماله .

(١) الصقار : سائس الصقر

(٢) الصيد والطرود عند العرب : ٥٣

(٣) صبح الأعشى : ٦١/٢ .

(٤) نهاية الأرب : ١٩٥/١٠ .

(٥) الصيد والطرود عند العرب : ٥١

أما البازي فلا يستعمل له البرقع ، وليس البرقع إلا للصقر والشاهين والعقاب والزمج (١) .

ومن حسن سياسة الصقر ألا يُطلق على الغزال إلا إذا كان معه كلبٌ ، ذلك لأن الصقر يقع على رأس الغزال فيعقره ويضرب بجناحيه بين عينيه فيمنعه من شدة العدو فيلحقه الكلب ويصيده (٢) .

كيف يدرّب الصقر على الصيد :

والصقور كغيرها من الجوارح تُعلّم الصيد وتضرب على عليه ، والمشاركة مذهب يختلف عن مذهب المغاربة في تضرية هذا الجارح ؛ فإذا صيد الصقر من الكوخ وجب أن تحيط عينيه وأن تبقى على ذلك أسبوعاً كاملاً حتى يعتاد الهدوء على يدك (٣) فإذا هداً فافتح عينيه واجلس به بين الناس ليأنس ، ثم رضه على أخذ الحمامة وهو مربوط بخيط وعوده على أن يأتبك إذا دعوته من بعيد ، فإذا ألف ذلك ووثقت من حسن استجابته لك ، فانزع الخيط منه واجعله في السباق (٤) .

فإذا صرّبتَ عدداً من الصقور على هذا الوجه الذي أشرنا إليه آنفاً فأرسلها اثنين اثنين ثم ادعها مما فما أجابك منها مع صاحبه فأخ بينه وبين صاحبه في الصيد وأطلقها مما ، فانها يتعاونان على الطريدة ويشد أحدهما أزر أخيه .

كيف يدرّب الصقر على صيد الغزال :

ويضرب الصقر على صيد الغزال في الربيع وذلك بأن يؤخذ جلد غزال

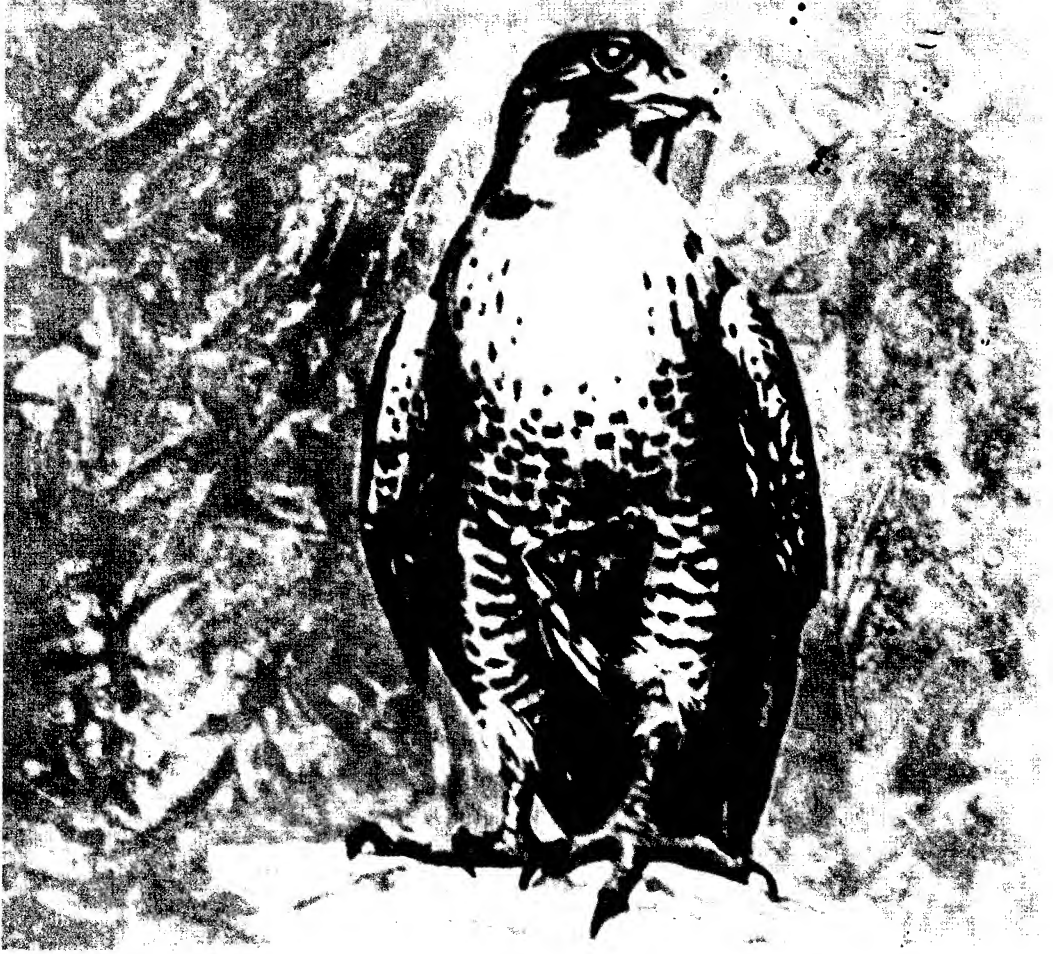
(١) أنس الملا : ١١٤

(٢) الدميري : ١٧٧/١

(٣) هذا هو فعل بيازرة المشرق أما بيازرة المغرب فلا يخيطون عينيه .

(٤) السباق : القيد .

الصقور



تكنيه العرب بأبي شجاع ، يصيد الطي والارنب ، تُغَطَّى عيماه
بالبرقع لكيلا يشب عن يد الصقار لغير حاجة .

ثم ويُخَشَى تَبْنَأُ حَتَّى يَمْتَلِئَ وَيَتَشَكَّلُ بِشَكْلِ الْغَزَالِ ، وَتَوْضِعُ فِي أَمَاكِنِ الْقَوَائِمِ عِيدَانٌ تَمَازِلُهَا فِي الطُّوْلِ وَالغِلَظِ ، وَيُخَاطُ كُلُّ فَمْتَقٍ فِي الْجِلْدِ ، ثُمَّ تُشَدُّ قِطْعَةٌ لَحْمٍ بَيْنَ قَرْنَيْ هَذَا الْغَزَالِ وَيُطْنَعُمُ الصَّقْرُ عَلَيْهِ حَتَّى يَعْتَادَ الْخُرُوجَ إِلَيْهِ وَالْوُقُوفَ فَوْقَهُ .

ثُمَّ يُنْقَصُ اللَّحْمُ شَيْئًا فَشَيْئًا يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ حَتَّى يَخْرُجَ الصَّقْرُ إِلَى الْغَزَالِ بِغَيْرِ لَحْمٍ كَلِمَا دُعِيَ إِلَيْهِ .

فَإِذَا ضَرَبَتْ عِدَّةُ صُقُورٍ عَلَى ذَلِكَ وَاعْتَادَتْ خُرُوجَ بَهَا الصَّقَّارُ إِلَى الصَّحْرَاءِ وَأَخَذَ مَعَهُ غَزَالًا وَاسْتَصْحَبَ غَلَامًا ، فَيَعْمَدُ الْغَلَامُ إِلَى حَبْلِ طَوِيلٍ مِنَ الْقَنْبِ أَوْ نَحْوِهِ ، وَيُرْبِطُ بِهِ رِجْلَ الْغَزَالِ فَوْقَ الْعِرْقُوبِ ، وَيَجْعَلُ طَرَفَهُ الْآخِرَ فِي يَدِهِ وَيَجْلِسُ فِي مَكَانٍ يَسْتَرُهُ عَنِ الصَّقُورِ ، وَيَكْتُمُهُ مِنْ رُؤْيَةِ الْغَزَالِ ، وَهُوَ مُسْتَقْبِلٌ لِلرِّيْحِ ، ثُمَّ يُخْرِجُ الصَّقَّارُ صُقُورَهُ وَيَجْعَلُهَا فِي وَضْعٍ تَرَى فِيهِ الْغَزَالِ ، فَإِذَا أَبْصَرَتْهُ أَرْسَلَهَا عَلَيْهِ وَعِنْدَ ذَلِكَ يَبَادِرُ الْغَلَامُ فَيَصِيحُ بِالْغَزَالِ حَتَّى يَنْفِرَ وَيَجْرِي ، وَيَرْكُضُ هُوَ وَرَاءَهُ ، فَإِذَا طَرَدَتْ الصَّقُورُ الْغَزَالَ وَوَقَعَتْ عَلَيْهِ جَرَّةً بِالْحَبْلِ حَتَّى يَسْقُطَ عَلَى الْأَرْضِ ، فَإِذَا سَقَطَ قَامَ الصَّقَّارُ إِلَيْهِ فَذَبَحَهُ بَيْنَ أَرْجُلِ الصَّقُورِ وَأَشْبَعَهَا مِنْهُ .

ثُمَّ يَرِيحُهَا بَعْدَ ذَلِكَ يَوْمًا وَيَخْرُجُ بِهَا فِي الْيَوْمِ التَّالِيِ إِلَى مَكَانٍ غَيْرِ الْمَكَانِ السَّابِقِ وَيَصْنَعُ مَعَهَا مَا صَنَعَهُ فِي الْيَوْمِ الْأَوَّلِ غَيْرَ أَنَّهُ يَجْعَلُ الْغَزَالَ يَجْرِي أَكْثَرَ مِمَّا جَرَى فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى ، فَإِذَا وَقَعَتْ الصَّقُورُ عَلَيْهِ وَعَلِقَتْ بِهِ ذَبَحَهُ بَيْنَ أَرْجُلِهَا وَأَشْبَعَهَا مِنْهُ وَأَرَاخَهَا وَاتَّخَذَ طَعَامَهَا فِي يَوْمِ الرَّاحَةِ مِنْ قَلْبِ خُرُوفٍ أَوْ مِنْ لَحْمٍ حَارٍّ بِحَيْثُ يَكُونُ نَصِيبُ كُلِّ مِنْهَا مَا زِنْتُهُ خَمْسَةُ دَرَاهِمٍ ثُمَّ يَخْرُجُ بِهَا فِي الْبَكُورِ إِلَى مَكَانٍ قَاصِيٍّ مِنَ الصَّحْرَاءِ لَمْ تَرَهُ مِنْ قَبْلُ ، وَلَيْسَ كُنْ مَعَهُ غَلَامٌ ، وَمَعَ الْغَلَامِ غَزَالٌ مَخْبُوءٌ فِي مَخْلَاةٍ ، وَقَدْ قَطَعَ أَحَدُ عِرَاقِييِهِ ، أَوْ شَقَّ بَعْضُ أَطْلَافِهِ بِالسَّكِينِ شَقًّا جَيِّدًا لِيَكُونَ أَقْلٌ قَدْرَةَ عَلَى الْجُرِيِّ ، ثُمَّ يَأْمُرُ غَلَامَهُ أَنْ يَخْلُتِيَ الْغَزَالَ فِي الصَّحْرَاءِ وَحِيدًا ، وَأَنْ يَصِيحُ بِهِ لِيَنْفِرَ وَيَجْرِي ، وَلَيْسَ كُنْ مَعَهُ كَلْبٌ صَيْدٌ .

ثم يطلق الصقورَ على الغزال ، فإن صادته ذبحه بين أرجلها وأشبعها منه شبعاً وافياً وإن خشيَ أن يفوتَ الغزالُ الصقورَ أرسل عليه الكلبَ فإذا أمسكه ذبحه عند أرجلها وأشبعها منه ، ثم يريحها كما أراحها من قبل ، ويصنَعُ بها ذلك ثلاث مرات .

ثم يخرج إلى الصحراء ويلتمس جدياً صغيراً ويرسلها عليه فإنها تصيده ولا ترجع عنه ، ويكرر ذلك مراراً ، وكلما صادت أشبعها من صيدها حتى تزداد ضراوتها على الجدي ، فاذا غدا صيدهُ عادةً لها طلب بها شاةً فإنها تصيدها (١) .

كيف يقرنص الصقر :

والصقورُ تُقرنصُ كما يقرنص البزاة والشواهين ، فاذا أخذ الصقرُ يلقي ريش جناحيه حتى يبقيَ على ثلاثِ ريشاتٍ في كل جناح كفته صقَّاره عن الصيد وأقامه في المنزل للقرنصة .

والصقر لا يحتاج في أثناء القرنصة إلى شيء غير التقوية وذلك بإعطائه الطعام الحار والشَّيرج المقشر مع اللحم الحار في كل أسبوع ثلاثة أيام حتى إذا نال حَظَّهُ من الراحة سلَّ ويشَ ذنبه وتركه فإنه ينبت بعد أربعين يوماً . وإن كان الصقَّار قد عوِّد صقوره على شرب الماء فلا يقطعه عنها في كل أسبوع مرة خلال القرنصة ، وإن لم يكن عودها شربه فلا يقدمه لها (٢) .

أنواع الصقور :

الصقور ثلاثة أنواع : هي الصقر ، ثم الكونج ، ثم اليويؤ . أما الصقر فقد أفضنا القول فيه آنفاً ، وأما النوعان الآخران فنلم بهما فيما يلي :

(١) البيزرة : ١٠٠ ، ٩٩

(٢) البيزرة : ١٠١ ، ١٠٠

(أ) الكونج :

الكونج هو الصنف الثاني من أصناف الصقر ، ويسمى بمصر والشام (السقاوية) ونسبته من الصقر كنسبة الزرق من البازي إلا أنه أحر منه ولذلك كان أخف من الصقر جناحاً ، وهو يصيد الأرنب ويمجز عن الغزال لصغره ، ويصيد أشياء من طير الماء ، وشدة نفس الكونج أقل من شدة بدنه ولذلك كان أطول لبثاً عند البيازرة وأصبر على مقاساة الشقاء من الصقر (١) .

(ب) اليؤيؤ :

واليؤيؤ هو الصنف الثالث من أصناف الصقور ويسميه أهل مصر والشام (الجلم) لخفة جناحيه وسرعتها ، وهو طائر قصير الذنب . أما مزاجه فهو بارد رطب إذا قيس بمزاج الباشق ومن هنا كان أصبر منه نفساً وأثقل حركة وهو يشرب الماء شرباً لازماً كما يشربه الباشق ، ومزاجه بالنسبة إلى الصقر حارٌّ يابس ، ولذلك كان أشجع منه ، فهو يتعلق بما يفترسه ، ويصيد ما هو أجل منه كالدرج ، ويقال : إن أول من صاد به واتخذه للعب (بهرام جور) (٢) ذلك بأنه شاهد يؤيؤاً يطارد قبرةً ويراوغها ويرقق معها إلى أن صادها فأعجبه واتخذها وصاد به (٣) .

وقد وصف أبو إسحاق الصابى اليؤيؤ نثرأ في رسالة له فقال : « وكم من قبرة ألحقنا عليه يؤيؤاً لنا فمرج إلى السماء عروجا ، ولسجج في إثره تلجججا ... حتى غابا عن النضطار ، واحتجبا عن الأبخار ، وصارا كالغيب المرجم ، والظن المستوهم ، ثم خطفه ووقع به ، وهما كهيئة الطير الواحد فأعجبنا أمرهما ، وأطربنا منظرهما (٤) .

(١) نهاية الأرب : ١٠/١٩٨

(٢) أحد ملوك الأسرة الساسانية ولي الملك سنة ٤٢٠ م (انظر تاريخ إيران ١/٩٠٥)

(٣) نهاية الأرب : ١٠/١٩٩

(٤) نهاية الأرب : ١٠/٢٠٠

٤ - العقاب :

العقاب أعظمُ الجوارح صيداً ، وسيد الطير عِزَّةً ، وأكبره بعد النسر جسماً^(١) قوية الخالب ، مُسَرُّوْلَةٌ^(٢) الساقين^(٣) ، واسعة الأشداق، ذات منسرٍ قصيرٍ أعقَفٍ ، يخالف منقارها الأعلى منقارها الأسفل^(٤) ، وتُجمَعُ العقاب على أَعْقُبٍ وَعِقْبَانٍ ، وَعَقَابِينَ^(٥) ، وقيل إن « عقابين » جمع الجمع ، وهي مؤنثة وتذكر^(٦) .

أسماء العقاب وأوصافها وكنها :

والعرب تسمي العقاب «الكاسر» إشارة إلى قوتها وقدرتها على الانقضاض حيث يقال : كسر الطائر كسراً إذا ضَمَّ جناحيه يريد الوقوع^(٧) .

وتسمى العقاب (عنقاء مُغْرِبٍ) ، دُعِيَّتْ بذلك لأنها تأتي من مكان بعيد ، ولا يراد بالعنقاء هنا الطائر الأسطوري المعروف^(٨) .

وتسمى (كَلِقْوَةٌ) أيضاً بفتح اللام وكسرها لأنها لا تساور شيئاً إلا أخذته وقيل : إنها دُعِيَّتْ بذلك لسعة أشداقها ، ولاعوجاج منقارها ، وتسمى (صومعة) لأنها ترتفع دائماً على أشرف مكان تقدر عليه .

ويقال : عقاب نَسَارِيَّةٌ لأن في ريشها شهباً من ريش النسر ، وريش الذنور تُتراش به السهام^(٩) ، كما يقال لها السهُوم والهَيْشَم .

(١) المخصص : ١٤٦/٨

(٢) أي في ساقها ريش

(٣) المصايد والمطارذ : ٩٣

(٤) المخصص : ١٤٦/٨

(٥) المخصص ١٤٥/٨

(٦) لسان العرب : ١١٣/٢ والمخصص : ١٤٥/

(٧) الصيد والطرود عند العرب : ٣٧

(٨) انظر الصيد والطرود عند العرب : ٣٦

(٩) المخصص : ١٤٥/٨ ، ١٤٦

ومن أسماء العقاب (الصرّار) وهو يطلق على العقاب العظيم الكدراء التي تضرب إلى التوشيم ، والتوشيم خطوط تكون في قوائم الحُمُر (١) . وتوصف العقاب بأنها عجزاء إذا كان في ذنبها ريشة بيضاء أو ريشتان . وعشراء إذا كان في جناحها قوادم بيض ، وعنقاء لأنها تُهَنِّقُ بصيدها ثم ترسله ، وفتخاء لما في جناحها من اللين ، وقنواء ولَمَوْعٌ وملاعٌ لما فيها من سرعة الاختطاف .

وتوصف بالخائِنة وهو صوت جناحها عند انقضاضها ، وبالحدارية لسواد لونها (٢) أما ذكر العقبان فيدعى الفَرَن ، وعلماء البيزرة يقولون إن ذكور العقبان من طير آخر لطاف الجسوم لا تساوي شيئاً يلعب بها الصبيان في دمشق (٣) ويقولون أيضاً إن الزُمَّج هو ذكر العقاب (٤) .

وكنية الذكر من العقبان أبو الأشيّم ، وأبو الحجّاج ، وأبو حسّان ، وأبو الدهر ، وأبو الهَيْثَم .

وكنية الأنثى أم الحوار ، وأم الشعور ، وأم طلبة ، وأم رَوْح ، وأم الهَيْثَم (٥) . وفرخ العقاب يسمى الناهِض ، والهَيْثَم ، والتسْلِجُ ، والتسْلِدة والتسْلِند (٦) .

والعقبان ذوات ألوان مختلفة متعددة ، فهي تكون سوداء جوجية (٧) وبقعاء سفعاء ضارباً لونها إلى السواد ، وخرجاء فيها بياضٌ مختلط بسواد ، وحمراء وشقراء .

(١) المخصص : ١٤٦/٨

(٢) المصايد والمطارذ : ٩٥

(٣) المخصص : ١٤٥/٨ وما بعدها

(٤) المخصص : ١٤٦/٨

(٥) الصيد والطرد عند العرب : ٣٦

(٦) المخصص : ١٤٧/٨

(٧) انظر المخصص : ١٤٥/٨ وما بعدها

ومن العقبان ما تكون ذات نقط بيض في رأسها وتدعى (الصقماه)
ومنها ما يكون بعض قوادمها بيضاً وتدعى (المسراء) ومنها ما يكون
فيها خطوط بيض وتدعى المُسَيَّرَة (١) .

وأما أوزانها فهي تتراوح بين عشرة أرطال وأربعة عشر رطلاً بالبغدادي
وليس فيها ما يزيد على ذلك (٢) .

والمختار من العقبان ما ضرتى ربيباً داخناً، أما الوحشي فهو عسر الألفة
صعب الرياضة (٣) والنجيب منها ما توافرت له « وثاقه الخلق وثبوت الأركان
وحمة اللون وغرور العينين بالحاليق ، وأن تكون سقماه ، عجزاه ، ولا سيما
ما كان منها من أرض (سرت) أو جبال المغرب فإنها لا تخلف أبداً (٤)
وعقبان المغرب أصلب من عقبان المشرق وجهاً وأقوى منها صيداً (٥) .

صفات العقبان وخصائصها :

والعقاب تأوى إلى قنن الجبال الشواهي ، وتقتعد الأماكن المرتفعة ولذلك
دُعيت بالصومعة ، غير أن هناك من العقبان ما يأوي إلى الصحاري ، ومنها
ما يأوي إلى الغياض ، ومنها ما يقطن حول المدن (٦) ويدعى وكر العقاب
المقنّاة (٧) .

والعقاب من أشد الجوارح حرارة ، وأسرعها طيراناً ، ولذا قيل : « أظير
من عقاب » (٨) . والعقاب جارح عزيز المنال ، حديد البصر ، قوي السمع ،

(١) المخصص : ١٤٦/٨ والمصايد والمطارذ : ٩٤ والبيزرة : ١١٠

(٢) البيزرة : ١١٠

(٣) أنيس الملا : ١٢٠

(٤) المصايد والمطارذ : ٩٦ وصبح الأعشى : ٥٣/٢

(٥) البيزرة : ١١٠

(٦) الصيد والطرود : ٣٧

(٧) المخصص : ١٤٧/٨

(٨) الصيد والطرود عند العرب : ٣٨

شديد الحزم ، لذا قيل في الأمثال : فلان * أعزُّ من عقاب الجو ، وأبصر من عقاب ، وأسمع من فرخ عقاب ، وأحزم من عقاب ، فإن قيل ما حزمُ العقاب ؟ أجيب : إنه يخرج من بيضه على رأس جبل عال فلا يتحرك من مكانه حتى يكتمل ريشه ولو تحرك لسقط (١) .

وهي طائر خفيف الجناح سريع الحركة إن شاءت ارتفعت على كل شيء وإن شاءت كانت بقربه (٢) .

ما تصيده العقاب :

ومن خصائص العقاب أنها لا تمارس الصيد لنفسها إلا في القليل النادر ولكنها تسلب كل جارح ضيود صيده (٣) فهي لا تزال تجثم على مرقب عال فإذا رأت واحداً من جوارح الطير صاد شيئاً انقضت عليه فإذا أبصرها ذعرَ منها وولى هارباً وخلص لها الصيد ، أما إذا جاعت فلا يمتنع عليها شيء من ذوات الريش حتى البزاة فإنها تصيدها ، ولا يعز عليها شيء من ذوات الوبر حتى الذئب وحمار الوحش فإنها تصيده (٤) .

طعام العقاب :

والعقاب تأكل الحيات إلا رؤوسها ، والطير إلا قلوبها وفي ذلك يقول امرؤ القيس :

كان قلوب الطير رطباً وبابساً لدى وكرها العنتاب والحشف البالي (٥)
ومن عجيب أمر العقاب أنها إذا شكت أكبادها أكلت أكباد الأرناب
والتعالب فتبرأ (٦) .

(١) الصيد والطرود عند العرب : ٣٩

(٢) نهاية الأرب : ١٩٢/١٠

(٣) الحيوان : ٣٧/٧

(٤) الصيد والطرود عند العرب : ٣٩ والمصايد والمطارذ : ٩٧ ، ٩٨

(٥) نهاية الأرب : ١٩٢/١٠

(٦) الصيد والطرود عند العرب : ٣٩

وتبيض العقاب ثلاث بيضات في الغالب ، وتحضنها ثلاثين يوماً ، وما عداها من جوارح الطير يبيض بيضتين ويحضنها عشرين يوماً ، وإذا خرجت أفراخ العقاب من البيض ألقته واحداً منها لأنه يثقل عليها طعام الثلاثة لقلّة صيدها ، والفرخ الذي تلقّيه يعطف عليه طيرٌ آخرٌ يسمى كاسر العظام ويسمى المُكَلِّفُ فيربيه .

ومن عادة كاسر العظام هذا أن يحتضن كل فرخ ضائع ويزقّه (١) .
وليس في الطير ما هو أخفَى لفراخه من العقاب (٢) ومن شأن العقاب أن جناحها لا يزال يخفق .

وأن سباع الطير تخشاها وتهاها وأنها صعبة المرام على غيرها من السباع ، فقد روى أنه « قيل لأخي بشار بن برد : لو خيّرك الله أن تكون شيئاً من الحيوان فأبى شيء كنت تتمنى أن تكون ؟

قال : عقاب ، قيل : ولم تمنيت ذلك؟ قال : لأنها تبيت حيث لا ينالها سبع ذو أربع وتحيد عنها سباع الطير (٣) .

خطأ شائعٌ يجب تصحيحه :

وقد أخطأ كثير من المؤلفين في ترجمة العقاب والنسر ، وخلطوا بينها مع أن العقاب طائر من أعظم الكواسر التي تصيد بينما لا يصيد النسر أبداً وإنما يقع على الجيف ويأكل منها .

ومن هنا كان تلقب الطيارين بنسور الجو خطأً وإنما يجب أن يلتقّبوا بعقبان الجو إذا أريد بذلك سرعة الطيران وشدة الانقضاض وقوة الكسر (٤) .

(١) الصيد والطرود عند العرب : ٣٩

(٢) المصايد والطارد : ٩٧

(٣) الحيوان : ٣٧/٧

(٤) انظر معجم الحيوان لمعلوف : ٩٣ والدميري

العُقَاب



جارج مهيبُ الطلعة ، يبني عشه في قمم الجبال الوعرة ، يستفيد في طيرانه من التيارات الهوائية الصاعدة فيرتفع إلى أبعد مدى بأقل مجهود ، والعرب تُسمي العقاب « الكاسر » إشارة إلى قوتها على الإنقضاض .

كيف تدربُ العقاب على الصيد :

والعقاب - على الرغم من عزتها وشدّة بأسها - طائر قابل للترويض ، يُؤدّبُسه البيازرة فيتأدب ، ويضربونه على الصيد فيضرب ، ويزجرونه فينزجر ، ويربونه في البيوت ويتخذونه للصيد ، فيألف ويأنس ويصيد (١) . وسبيل تضرية الوحشي من العقبان أن يُرْفَقَ به غاية الرفق وأن يُطعم إطعاماً جيداً إلى أن يألف ويأنس .

وتضرب العقاب على صيد الكراكي ويكون ذلك بأن تُقدّم لها الكراكي ممتة فتعتاد رؤيتها وتأكل من جيفتها ولا تزال كذلك حتى تعرف صورتها وتثبت هيئتها من أيّ جهة رأتها .

ثم يُخرجُ بها إلى القلاة وتطلق على كراكي فإذا صادته ذبحَ بين رجليها وأشبعته منه ، ثم تراح يوماً ويصاد بها يوماً آخر إلى أن تضرب على الصيد وتمرن عليه .

وتفبر عليها المواضع في كل يوم لثلاث تالفاً مكاناً بعينه (٢) .

غير أن الأصل في ترويض العقبان هو أن تراض على الظباء لأنها تهوي صيدها ثم تليها الأرانب والكراكي (٣) .

ما تصيده العقاب :

وتصيد العقاب الظباء والثعالب والأرانب وقد تصيد حمر الوحش ، فهي إذا رأت القطيع من حمر الوحش ألقت بنفسها في الماء حتى يبتل جناحها ثم تخرج فتقع على التراب وتتمرغ فيه حتى تحمل منه أو من الرمل ما يعلق بجناحها ، ثم تطير طيراناً ثقيلاً حتى تقع على هامة حمار من الحمر فتصفتق

(١) انظر المخصص : ١٤٦/٨

(٢) البيزرة : ١١٠

(٣) الصيد والطرد عند العرب : ٣٧

يُجناحها فوق رأسه فتمتلئ عيناه تراباً من ذلك التراب الذي علق جناحها
فلا يبصر بعد ذلك ولا يستطيع المسير ولا يدري أين يذهب فيدركه القانص
ويأخذه .

وحمر الوحش تعرف ذلك من العقاب فإذا سمعت خفق جناحها وأدركت
ثقل طيرانها حادت عنها يَمَنَة أو يَسرة ولاذت بالفرار ^(١) .

٥ - الزُمج :

الزُمج بضم الزاي وفتح الميم المشددة ثم جيم : طائر دون العقاب يُصاد
به وقد يقال زُمجة وزُمجى ^(٢) .

والعامّة تبدل زاي « الزمج » جيماً والجيم زايماً فتقول « جُمز » ^(٣)
وزعم الفارسي أنه معرب وتسميه المعجم « دَهْ برادران » وترجمته : « أنه
إذا عجز عن صيده أعانه أخوه على أخذه » ^(٤) .

وقد عدّه صاحب المصايد والمطارد صنفاً من الجوارح قائماً برأسه ^(٥) بينما
اعتبره الجاحظ في الحيوان ^(٦) والقلقشندي في صبح الأعشى ^(٧) والدميري في
حياة الحيوان ^(٨) والنويري في نهاية الأرب ^(٩) صنفاً من العقاب .

(١) الخصاص : ١٤٦/٨ وأنس الملا : ٨٦ والمصايد والمطارد : ٩٥ ونهاية الأرب :
١٨٢/١٠

(٢) لسان العرب : ١١٤/٣ والخصاص : ١٤٧/٨

(٣) صبح الأعشى : ٥٥/٢

(٤) الخصاص : ١٤٧/٨ ولسان العرب : ١١٤/٣

(٥) المصايد والمطارد : ١٠١

(٦) الحيوان : ١٨٢/٣

(٧) صبح الأعشى : ٥٥/٢

(٨) الدميري : ٨/٢

(٩) نهاية الأرب : ١٨٤/١٠

أما ابن سيده في المخصص^(١) وابن منظور في اللسان^(٢) فجعلاه ذكر العقبان وذهب هذا المذهب صاحب كتاب الصيد والطرود عند العرب^(٣) . وهو طائر هون العقاب ، في قمتِه حمرَةٌ ضاربةٌ إلى الفتحة^(٤) وهو من خفاف الطير ، تعرفُ ذلك في عينيه وحركته وشدة وثبه ، وبه تصيد الملوك^(٥) .

والزئج جارج من جوارح الفرس فهم أول من ضراه على الصيد واصطاد به ، ذلك أن (أزديشير)^(٦) أحد ملوكهم هو الذي عرف شأن الزئج حيث قايس بينه وبين البازي وأدرك ما بينها من شبه فضراه وصاد به .

والعجم تنتقص من قدر الصائد الذي لا يصيد بالزئج ، وتصفه بقالة الخبرة في الصيد ، وهم يسمونه بالفارسية «ده برادران» كما أسلفنا من قبل^(٧) .

والوان الزئج هي الأحمر والأصفر والإسبهرج ، وفيها ما يضرب إلى السواد ، ووزن الزئج يتراوح بين خمسة أرطال وستة أرطال^(٨) .

صفات الجيّد من الزئج :

ويحمدُ البيازرة من الزئج ما ضربي داخناً فهو يكون أكثر دربة ، وأوفى ذكاءً وقدرة ، أما ما قرئص وحشياً فهم لا يحمدونه^(٩) .

(١) المخصص : ١٤٧/٨

(٢) لسان العرب : ١١٤/٣

(٣) الصيد والطرود عند العرب : ٤١

(٤) المخصص : ١٤٧/٨ واللسان : ١١٤/٣

(٥) الدميري ٨/٢ والصيد والطرود عند العرب : ٤١ وصبح الأعشى ٥٥/٢

(٦) هناك أزديشير الأول وأزديشير الثاني وكلاهما من الأسرة الساسانية ولي الأول الملك سنة

٢٢٦ م وهو مؤسس الدولة الساسانية وولي الثاني الملك سنة ٣٧٩ (انظر تاريخ إيران :

٥٢٥/١ و ٥٨٤) .

(٧) انظر حاشية كتاب الصيد والطرود عند العرب : ٤٤

(٨) انظر البيزرة : ١١٢

(٩) انظر الصيد والطرود عند العرب : ٤٤ وما بعدها

وقيل إن أجود أصناف الزمج ما كان أحمر الريش أسود العينين متوسط الحجم ، أما الكبيرُ فما وُجد فيه فارهٌ أبداً .

وهناك نوع آخر من الزمج يدعى « زمج الماء » وهو الذي يُسمى بمصر (النورس) وهو أبيض اللون في حجم الحمام أو أكبر منه قليلاً ، يملو في الجو ثم يزج بنفسه في الماء ويختلس منه السمك ، وهو لا يقع على الجيف ، وحكمه حلُّ الأكل بخلاف بقية الجوارح .

اليابانيون يصيدون السمك بالزمج :

واليابانيون يستخدمون هذا الجارح في صيد السمك فهم يربطونه بخيط متين يشدون نهايته إلى مكان ثابت في المركب ثم يطلقونه فيسقط على السمك ويمسكه بمنقاره ثم يعود إلى المركب فيأخذه صاحبه من فمه ثم يدفعه إلى البحر ثانية وهكذا دواليك حتى يستكفي ، ثم يطعمه جزءاً مما اصطاده (١) .
وعلماء البيزرة يصفون الزمج بالغدر وقلة الألفة لكثافة طبيعه وكونه لا يتقبل التعليم إلا ببطء (٢) .

وهو يجمع شيئاً من خصائص البازي وخصائص العقاب ، فيتلقف الطائر في الجو كما يتلقفه البازي ، ويصيد على وجه الأرض كما يصيد العقاب (٣) .

طريقة من طرائف الحيوان :

ومن طريف ما يحكى عن الزمج ما روي عن أبي فتح البصري أن سيّاداً من أهل أرمينية قال : خرجت إلى الصحراء يوماً فنصبت شبكتي أبتغي صيد بعض الجوارح من البيزاة والصقور والشواهين وغيرها وجعلت

(١) انظر حاشية الصيد والطرود عند العرب : ٤٤

(٢) الدميري : ٨/٢ وصبح الأعشى : ٥٥/٢ ونهاية الأرب : ١١٤/١٠

(٣) نهاية الأرب : ١١٤/١٠

فيها طائراً مستأنساً ودخلت في كرتيخة^(١) تحت الأرض تسترني وجعلت أنظر إلى الشبكة حتى يقع فيها شيء مما رُمتُ صيده ، فلما كان الوقت قريباً من الظهر إذا بزُمجعة لطيفة قد طارت فوق الشبكة فلما رأتها نفرت منها وترجلت غير بعيد عنها... وإذا بعقاب يجوز في الجو فلما رأى الزمجة ترجل بإزائها وجلسا معاً وإذا بطائر يطير في الجو فنهضت الزمجة قبل العقاب وطارت خلف الطائر فلم تزل تُزايه إلى أن صادته وجاءت به فنسرتة وصار لحمًا وأقبلت تأكل فجاء العقاب وأكل معها فلما أتيا على اللحم كله زاف العقابُ عليها فضربته في وجهه يحنأحياها فزاف ثانية فضربته أشد من الأول فزاف الثالثة فضربته أشد من ذلك ولم تزل تضربه بمنسرها إلى أن قتلتها وطارت ، فعجبتُ من نفورها من الشبكة وقلت : لعلها عرفت الشبكة بحكم العادة ، وأما ما سوى ذلك من مبادرتها للطير قبل العقاب حتى صادته ، ثم إنها منعت العقاب من سفادها لأنه قصر عن الصيد وأكل من صيدها ثم إنها لم ترض بذلك حتى قتلتها لما ألحَّ عليها وطمعتُ في صيدها لأصيدها... فلما كان من الغد وإذا هي قد ترجلت قريباً من الشبكة أيضاً مثل ذلك الوقت فاجتاز بها عقاب فنزل فجلس معها وعَنَّ لها صيد فوق للعقاب الثاني ما وقع للأول سواء بسواء بلا اختلاف ، وطارت الزمجة فزاد تعجبي منها وحرصي عليها وبت ليلتي الثانية فلما كان في اليوم الثالث إذا بها قد ترجلت على الصورة التي ذكرناها... وإذا بعقاب لطيف الجثة وحشي الرأس قد ترجل فما مضت ساعة حتى عَنَّ لها صيد فهمت الزمجة بالنهوض إليه فضربها العقاب يحنأحيه ضربةً كاد أن يقتلها بها ونهض مسرعاً إلى الطيران حتى اصطاد الطائر وجاء به ونسره وطرحه بين يديها ولم يذق شيئاً منه حتى أكلت الزمجة واستوفت ، ثم أكل هو بعدها ما بقي من اللحم ،

(١) الكرتيخة : كوخ أو حفرة مستترة بأغصان الشجر يختفي فيها الصياد فيرى الشبكة ولا يراه الطير .

فزاف عليها العقاب بمد ذلك فزافت له ولم تمنعه وزاف الثانية فركبها حتى
سفدها ثم طارا معاً (١) .

ويُضْرَبُ الزمَج كما تضرهُ العقاب غير أن الزمجة أرق، وسبيلها أن يرفق
بها إلى أن تجرّد وتُطلق للصيد ، وهي تصيد الكركي بلا كبير عناء (٢) .

(١) الصيد والطرْد عند العرب : ٤٣ ، ٤٤

(٢) البيزرة : ١١٣

الضواري سَيَاتِهَا وَالضَّيْدُ بِهَا

المعتبر من الضواري ثلاثة هي الكلب ، والفهد ، وعتاق الأرض ، فهي التي تُعني الصائدون بها وعملوا على تأديبها وتضريتها على الصيد .

غير أن بعض الحنّاق لم يكتفوا بهذه الضواري الثلاثة وإنما عمدوا إلى تضرية ما لا يُظن أنه يُضري فأدبوه وأحكوا تأديبه حتى صادوا به .

من ذلك ما رواه الجاحظ عن السوراني^(١) القناص أنه بلغ من حِدْقَتِهِ بتدريب الجوارح وتضريتها أنه ضري ذئباً حتى اصطاد به الطباء وما دونها صيداً ذريعاً وأنه ألّفه حتى رجع إليه من ثلاثين فرسخاً ، وأنه ضري أسداً حتى اصطاد به محرّ الوحش فما دونها صيداً ذريعاً ، وأنه ضري الزناير فاصطاد بها الذبان^(٢) .

ومن ذلك ما رواه كشاجم من أن رجلاً أخبره بأنه أي من ضري حية

(١) السوراني أو السوداني : رجل من قيس عبلان .

(٢) الحيون : ٢٦/٦ والمصايد والمطارد : ٤٢ .

فكان يستخرج بها الدراج^(١) ثم إن ابن عرس يُضرب على الصيد أيضاً
فيُجمل حبل في عنقه ويُدخل به على الثعلب في وِجَارِه^(٢) فلا يخرج
إلا وهو معه غير أن ذلك قليل نادر^(٣) .

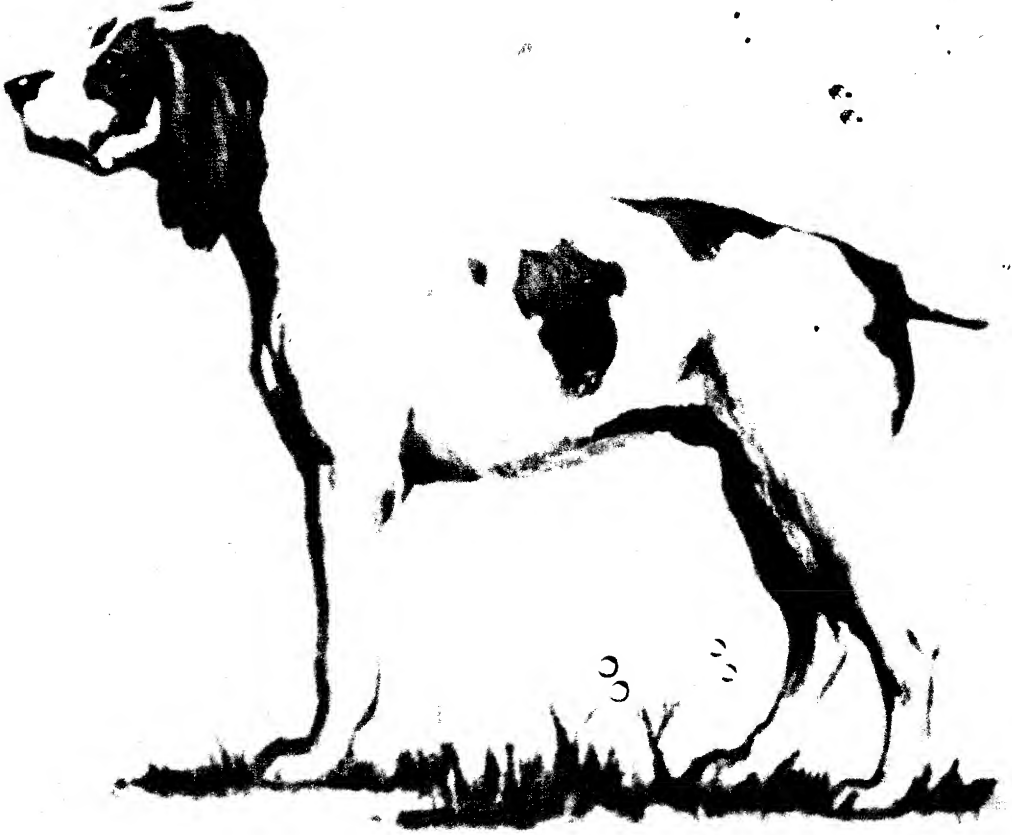
ونحن سنعرض فيما يلي لكلٍّ من الضواري الثلاثة المعتبرة التي هي
الكلب ، والفهد ، وعناق الأرض عرضاً وافياً .

(١) المصيد والمطارد : ٤٢

(٢) الوجار : وجمه أوجرة ووجرة : جحر الضبع وغيرها .

(٣) صبح الأعشى : ٢٩/٢

كلب صيد أوزني



١ - الكلب

أطلق العرب إسم الكلب على 'كل' سبع عقور ، ثم غلب على الكلب النابح المعروف وجمعه كلاب وأكلب ، وجمع الجمع أكالب وكلابات ، والأنثى كلبة وجمعها كليات .

والكلاب : صاحب الكلاب والمكالب : الذي يُعلم الكلاب الصيد (١) والكلب حيوان شديد الرياضة كثير الوفاء ، 'مشارك الطباع' ، فهو بين السبع والبهيمة لأنه لو تم له طباع السبع لما ألف الناس ، ولو تم له طباع البهيمة لما أكل اللحم (٢) .

والكلاب أصناف كثيرة غير أنها في جملتها تقسم إلى قسمين: هما الكلاب الأهلية و كلاب الصيد .

ويُراد بالكلاب الأهلية ما تُخصَّصَ للحراسة والماشية والزرع وما إلى ذلك مما لم يُعدَّ للصيد .

ويراد بكلاب الصيد ما يُضرب على الصيد وهي نوعان : سلوقية وزغارية ، والسلوقية منسوبة إلى أرض سلوق باليمن أو إلى (سلوقية) في بلاد

(١) انظر لسان العرب (كلب) والمخصص : ٧٩/٨

(٢) انظر صبح الأعشى : ٣٩/٢

الروم ، والزغارية منسوبة إلى « لزغور » موضع ببلاد الروم ، والمشهور عند العرب من هذين النوعين الكلاب السلوقية ^(١) .

وهذا لا يعني أن الكلاب الأهلية لا تصيد إذا هي 'ضربت على الصيد وإنما هي تصيد ولكنها 'تقتصر عن السلوقية في ذلك ، فكلا النوعين من الكلاب الأهلية والسلوقية في الطبيعة سواء غير أن الثاني أكثر استعداداً لتعلم الصيد وممارسته من الأول ^(٢) .

وتمتاز الكلاب السلوقية من غيرها أنها أجود شتماً وأرهف حساً، وأطول مناخراً وقد يكون طولُ مناخرها سبباً في شهما العجيب ولحسها اللطيف ^(٣) .
وقيل : إن أول من اتخذ الكلاب للصيد « دارا » أحدُ ملوك الفرس ^(٤) .

شان الكلب عند العرب :

وقد كان للكلب عامة والسلوقي خاصة شأنٌ كبير عند العرب فكانوا ينسبون الكلاب كما ينسبون عتاق الخيل ^(٥) من ذلك كلب « جدعان » وهو السلتهب بن البراق بن وثاب بن مظفر بن محارث ^(٦) ، وكانوا يسمون بها على التفاؤل لما اتسمت به من كريم الخلال كالحراسة واليقظة وبعند الصوت والكسب على أصحابها وغير ذلك ^(٧) ، وكانوا يشتهون من أسماء أسماء لأنفسهم في موضع النباهة وعلو الشأن نحو 'كليب بن ربيعة' هو 'كليب وائل... وقد ضرب به المثل فقيل : « أعز من كليب وائل » وكانت ربيعة إذا انتجعت معه لم توقد ناراً ولم تحوض حوضاً وكان يحمي الكلاً ولا يتكلم عنده إلا

(١) انظر الحيوان : ٣١٢/١ . وأنس الملا : ٣٧

(٢) انظر الديميري : ٢٧٨/٢

(٣) انظر الحيوان : ١٦٥/٢

(٤) انظر الحيوان : ١٦٥/٢ و ٣١٢ والصيد والطرود عند العرب : ٧٣

(٥) انظر صبح الأعشى : ٤٠/٢

(٦) المصايد والمطارد : ١٣

(٧) انظر الحيوان : ١٧/٢

خفضاً، وكان يجير الصيد ويقول: صيد أرض كذا وكذا في جوارى لا يباح^(١). وما اشتق من اسم الكلب وجعل علماً للأشخاص كثير فمن ولد ربيعة بن نزار: كلب بن ربيعة، وكراب بن ربيعة ومكالب بن ربيعة ومكالب بن ربيعة بن نزار... ومن هذا الباب كليب بن يربوع وكراب بن ربيعة وكراب بن ربيعة بن نزار... والكلبة نعت مميّة بنت عجاج بن شحمة العنبري وبنوها بنو الكلبة الذين أشاد بهم الشعراء^(٢).

بل إن العرب أطلقوا على الشعراء اسم كلاب الحي وذلك لأنهم يذبحون دونهم ويحمون أعراضهم^(٣) وقد أكثر العرب من ضرب الأمثال بالكلب فقالوا: «آلف من كلب» و«أبصر من كلب» و«أطوع من كلب» و«أحرص من كلب» و«أسمع من كلب» و«أشم من كلب» و«أسرح من لحسة كلب» و«أسأل من قلحس» و«أحب أهلي إلى كلبهم الظاعن»، وقالت: أصبر على الهون من كلب، وإن لكل رفقة كلباً، وأبول من كلب على أن المراد به كثرة الجراء فإن البول يكتسى به في كلام العرب عن الولد^(٤).

خلال الكلب وصفاته :

وإنما استحققت الكلاب هذا المقام عند العرب وغيرهم لما امتازت به من صفات وما انفردت به من خلال .

فالكلب « يحرس ربه ويحمي حريمه شاهداً وغائباً وذاكراً وغافلاً ونائماً ويقظان ولا يقصّر عن ذلك وإن جفوه ولا يخذلهم وإن خذلوه »^(٥).

فالكلب « أيقظ الحيوان عيناً في وقت حاجة أصحابه إلى النوم ، وأنوم

(١) الحيوان : ١/٣٢٠

(٢) انظر الحيوان : ١/٣١٣

(٣) الحيوان : ١/٣٥١

(٤) الحيوان : ٢/١٧٣

(٥) انظر الحيوان : ٢/١٧١ ونهاية الأرب : ٩/٢٥٤

الحيوان نهاراً عند استغنائهم عن حراسته ثم إذا نام فهو لا ينام إلا غراراً... وهو في أشد حالات نومه يفتح عينيه بقدر ما يكفيه للحراسة ويكون مع ذلك أسمع من فرس وأحذر من عَقَقٍ^(١). وهو حيوان قليل السامة شديد الصبر على الجفوة واحتمال الجراحات الشدائد، وجوائف^(٢) الطعان، ونوافذ السهام، وإذا أصابه ذلك لم يزل ينظّفه بريقه لمعرفته بأن ذلك دواؤه حتى يبرأ فلا يحتاج إلى طبيب ولا إلى مرهم ولا إلى علاج.

والكلب أشد الحيوانات فكناً وأرهفها ناباً وأطيبيها فماً وأكثرها ريقاً، يرى العظم الصلب فيعلم بالفريزة أنه إن عضته رضته وإن بلعه استمرأه. والكلب بعد هذا أصبح حيوان على وجه الأرض لذا قيل فيه إنه: «أصبح من حية».

وقد وُصف الكلب بالسرعة في الحُضُر، وبالصبر على طول العدو وبسعة الإهاب وأنه إذا عدا ضنّج وبسط يديه ورجليه حتى يس قفصه الأرض وحتى بشرط أذنيه بشبها أظفاره ويكون ذلك إذا أسرع في عدوه وجمل يفترش ذراعيه حتى يصيب صدره الأرض فعندئذ كثيراً ما يذسّط أذنيه ويخرقُهما حتى يدميهما^(٣).

وهو أوف للناس.. بل إنه أشد إلفاً للناس من الإنسان الأوف، وهو يكون في كثير من حالاته آنس بالناس منه بالكلاب - مهما كانت قريبة منه - فلا تراه يلاعب كلباً ما دام هناك إنسانٌ يلاعبه^(٤).

ومن مزايا الكلب «إثباته وجه صاحبه ونظره في عينيه وفي وجهه وحبّه له ودنوّه منه حتى ربما لاعبه ولاعب صبيانه بالعض الذي لا يؤثر ولا

(١) الحيوان : ١٧٤/٢

(٢) الطمنة الجائفة : هي التي تبلغ الجوف

(٣) انظر الحيوان : ٢٧٢/١

(٤) انظر الحيوان : ١٧٧/٢ - ١٧٨

يوجع، وله الأضراس التي لو نشبها في الصخر لنشبت والأنياب التي لو أنشحي بها على الحصى لرضها» (١) .

«وذكر بعض الرواة أنه كانت للعامر بن عنتره كلاب صيد وماشية وكان يحسن صحبتها فلما مات لزمته قبره حتى ماتت عنده» (٢) .

ولربما غاب عنه صاحبه حولاً كاملاً فإذا أبصره قادماً اعتراه من الفرح والبصْبَصَة والالتواء الذي يدل على السرور وعلى شدة الحنين بما لا شيء فوقه. روى الجاحظ عن صديق له أنه قال : « كان عندنا جرو كلب وكان عندنا خادم مولع بتقريب الجرو والإحسان إليه ، كثير التفتقُد له فغاب الخادم عنا إلى البصرة أشهراً فقلت لبعض من عندي أتظنون أن الكلب يُشَبِّبُ صورة الخادم وقد فارقه وهو جرو وقد صار كلباً ؟ قالوا ما نشك أنه نسي صورته وما كان يحوضه به من برّ .

فبينما أنا جالس في الدار إذ سمعت صوتاً فلم أر فيه ما عهدته من توعُد ونخوة وإنما رأيت فيه بصْبَصَة السرور وحنين الإلف ثم لم ألبث أن رأيت الخادم طالماً علينا والكلب يلتف على ساقيه ويرتفع إلى فخذيهِ وينظر في وجهه ويصيح صياحاً يستبين فيه الفرح ، ولقد بلغ من إفراط سروره أنني ظننت أنه أصيب بالجنون .

ثم كان بعد ذلك يغيب الشهرين والثلاثة ويمضي إلى بغداد ويرجع فأعرف بذلك الضرب من البصْبَصَة وبذلك النوع من النباح أن الخادم قدم .

والكلب يحمي نفسه ويحمي غيره ويعول أهله فيكون لصاحبه غنمهُ وليس عليه غرمه (٣) . والكلب أنوف نبيل ، فمن نبه أنه يتخذ لنفسه دائماً

(١) الحيوان : ١٩٤/٢

(٢) فضل الكلاب على كثير من ليس الثياب : ١٠

(٣) انظر الحيوان : ١٢٧/٢ ، ١٢٨ ، ١٦١ ، ١٦٢

أشرف موضع في المجلس وهو لا يرضى بالنوم على عفر التراب إذا كان هناك بساط ، ولا يرضى بالبساط وهو يحسد الوسادة .

وذلك بالإضافة إلى ما 'طبيح عليه من إكرام الرجل الجميل اللباس حتى إنسه لا ينبج عليه إذا دنا من باب بيت أصحابه مع أنه يثب على كل رث' الهيئة وعلى كل سفية تشبه حاله حال أهل الريبة .

وهو لفرط أنفته وحميته وشدة تجبُّره لا يرضى ممن ينبج عليه في ليل إلا أن يقعد بين يديه 'مستسليها' مستخزياً فإذا رآه على هذه الحال دنا منه وبال عليه وخلى سبيله وكأنه حين ظفر بالرجل ورآه تحت قدرته رأى أن يسيمه بميسم ذل كما كانت العرب تجبُّ نواصي الأسرى من الفرسان (١) .

معرفة الكلب بطبائع الحيوان :

والكلب - بفطرتة - ذو معرفة عجيبة بالصيد وخبرة واسعة بطبائع الحيوانات المصيدة فهو « إذا عاين الطباء بعيدة كانت أم قريبة عرّف المعتل من غير المعتل وميز العنز من التيس ، وإذا أبصر القطيع لا يقصد إلا نحو التيس مع علمه أنه أشد عدواً وأبعد وثبةً ويترك العنز وهو يعلم ما فيها من نقصان العدو، وقصر الخطوة ، وذلك لأن كل حيوان إذا ألم به الفزع عرض له سلس البول أو التقطير، والكلب يعلم أن التيس إذا عدا شوطاً أو شوطين تمسر عليه البول ولم يستطعه مع شدة العدو ووضع القوائم ورفعها معاً فيثقل لذلك عدوه ويقصر مدى خطاه ويعتريه البهْرُ حتى يلحقه الكلب. أما العنز فهي إذا اعتراها البول جمعت به وقذفت به لسعة مسيلها، والكلب يعرف ذلك كله ويميد منه ، وهو يعرفه بالفطرة لا بالتجربة ولا يحتاج في إدراكه إلى معاناة أو تعلم أو تدريب (٢) .

(١) انظر الحيوان : ١٦١/٢ ، ١٦٢ ،

(٢) انظر المصايد والمطارد : ١٣٣ وما بعدها .

ومن خصائص الكلب أن الصائد يخرج به إلى الصيد في يوم الجليد والثلج وهما مترامكان على الأرض حتى لا يثبت عليها قسدم ولا خف ولا حافر ولا ظلف فيمضي الكلاب وهو إنسان عاقل وصياد مجرب ومع هذا فهو لا يعلم أين موقع جحر الأرنب ولا موضع كِناس الظبي ولا مَكَو^(١) الثعلب ولا غير ذلك من مَواليج^(٢) وحوش الأرض فيتلفت الكلب بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ويتشمّم ويتنصّم ويتبصّر حتى يقف على أفواه تلك الجُحرة فيشير ما فيها ؛ ذلك أن أنفاس الوحوش القابعة فيها وبخار أجوافها وأبدانها وما يخرج من الحرارة المُستَكِنَّة فيها تذيب الثلج الذي يستر قم الجحر حتى ترفقه وتُمكن الكلب من الاهتداء إلى ما فيه من الوحوش^(٣).

وفي طباع أرحام الكلاب أعجوبة لأنها تَلقَح من حيوانات غير الكلاب كالذئب ونحوه ، وتلقح من كلاب مختلفة الألوان فتؤدي شبه ما لقحت منه^(٤) . وقد كانت للزهري^(٥) كلبه صيد، فكان يطلب لها الفحول يتلمس نسلها^(٦) .

وللكلب « ضروب من النغم وأشكال من الأصوات وله نوح وتطريب ودعاء وُخوار وهَرير وُعواء وبصبة وشيء يصنعه عند الفرح، وله صوت شبيه بالأنين إذا كان يغشى الصيد، وله إذا لعب أشكاله في غدوات الصيف شيء بين العواء والأنين^(٧) .

(١) المكو : جحر الثعلب والأرنب

(٢) الموالج : المحال التي تلج فيها الحيوانات وتستر

(٣) الحيوان : ١٢٠/٢

(٤) انظر الحيوان : ١٨٠/٢

(٥) هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري قاضي من أهل المدينة وهو أول من دون

الحديث توفي سنة ١٢٤ هـ .

(٦) فضل الكلاب على كثير من لبس الثياب : ٢٧

(٧) الحيوان : ١٩٤/٢

وللكلب من حدة البصر والسمع والشم ما يُضرب به المثل فقد قال
قطرب (١) : « والله لفلانٌ أبصرُ من كلبٍ وأسمع من كلبٍ وأشم من كلبٍ ،
فقيل له : أنشدنا في ذلك ما يشبه قولك فانشد لمرة بن محال السعدي (٢) :
يا ربة البيت قومي غيرَ صاغرة 'ضمي إليك رجالَ القومِ فالقربا (٣)
في ليلةٍ من جمادى ذاتِ أنسية لا يبصر الكلب من ظلماتها الطئسبا (٤)
لا يذبح الكلب فيها غير واحد حتى يلف على خيشومه الذنبا (٥)
أمارات نجابة الكلاب :

وللكلاب الفارحة أمارات تسدل على نجابتها ، وعلامات تشير إلى كرمها
وذلك أن يكون الكلب طويل ماب بين اليدين والرجلين قصير الظهر
عريضه (٦) ، صغير الرأس ، طويل العنق غليظها أعصَف الأذنين (٧) مفرط
الغصْف ، أزرق العينين ، طويل المقلتين (٨) تأتي الحدقة (٩) ، طويل الحطَم (١٠)
واسع الشدين ، بارز الجبهة عريضها قصير اليدين طويل الرجلين (١١) .

(١) هو محمد بن المستنير النحوي الذي لقبه سيويه بقطرب .

(٢) شاعر إسلامي ، عاصر جريراً والفرزدق .

(٣) القرب : جمع قراب وهو غمد السيف ، وكان الضيف إذا نزل بالعرب في الجاهلية ضموا
إليهم رحله وبقي سلاحه معه لا يؤخذ منه خوفاً من البيات فقال مرة يخاطب امرأته : أن ضمي
إليك رجال هؤلاء الضيفان وسلاحهم فإنهم عندي في عز وأمن من الغارات .

(٤) الأندية جمع ندي ، والطنب : حبل البيت

(٥) أي لا يذبح غير نجحة واحدة لشدة البرد ، ثم هو يجز ذنبه إلى خيشومه ليستدفيء ،

(انظر الحيوان وشروحه : ٣٥٢/٢) .

(٦) ذلك من أمارات سرعته .

(٧) الأغصَف : المسترخي الأذن .

(٨) المقلّة : شحمة العين التي تجمع البياض والسواد .

(٩) الحدقة : سواد العين .

(١٠) الحطَم : مقدم الفم والأنف .

(١١) فهو إذا كان كذلك كان أسرع في الصعود وراء الأرنب إذ لا يسكاد يلحق الأرنب في

الصعود إلا كلب قصير اليدين طويل الرجلين .

الكلب السلوقي (الأفغاني)



جسم الكلب السلوقي يساعده على السرعة فهو عالي القامة صغير الرأس
ضيق الصدر نحيف البطن دقيق للقوائم قويها . والسلوقي العربي أصفر اللون
أجرد الشعر ، أما السلوقي الأفغاني فهو ذو فروٍ جميل ناعم الوبرٍ ملونه .

ومن علامات فراسته أيضاً أن يكون طويل الصدر عريضه مما يلي الأرض غليظاً العضدين ، مستقيم اليدين ، مضموم الأصابع بعضها إلى بعض حتى إذا عدا لم يدخل بين أصابعه شيء من التراب أو الطين أو غيرها مما يعيق عدوه . وأن يكون عريض ما بين مفاصل أعطافه وما بين عظمي أصل فخذه اللذين يلتقيان مع أصل الذنب .

وأن يكون شديد لحم الفخذين ، رزين الحزم ^(١) رقيق الوسط ، مستقيم الرجلين ، منحني الركبتين قصير الساقين دقيقها فكأنها خشبة من صلابتها . وأن يكون ذنبه قصيراً ^(٢) يابساً منجراً دأ من اللحم ليس له منه قليل ولا كثير مع لين شعره .

وأن يكون أهرت الشدق ، طويل اللسان ، كثير الريق ، منحدر القصة ^(٣) سابع الضلوع رحب الجلد ، لاحق البطن .

وأن يكون الشعر الذي تحته حنكته كأنه طاقة ^(٤) وأن يكون وهو وشعر خديه غليظاً .

ومن علامات الفراهة التي ما بعدها علامة أن يكون على ساقيه أو على إحداهما أو على رأس ذنبه مخلب ، وإذا كان على الساقين وجب قطعه لئلا يمنع من العدو ^(٥) .

وقد أشاد علماء البيزرة وشعراء الطرد بالكلاب الغضئف المسترخية الآذان وغالسى بعضهم في ذلك حتى ذهب إلى أن الصيد إنما يجلب بالكلب

(١) الحزم : موضع الحزام من الدابة . والرزين الثقيل ، وعنترة جعل هذه الصفة من أمارات فراهة الجواد أيضاً فقال في معلقته :

وَحشِيَّتِي سَرَجَ عَلَى عَئِثْلِ الشَّوَى نَهْنَدُ مَرَاكِلَهُ تَبْيِيلَ المِحْزَمِ

(٢) هذا إذا كان الكلب ذكراً ، أما الأنثى فلا يكره لها طول الذنب .

(٣) القصة : رأس الصدر .

(٤) الطاقة : الحزمة من الريحان ونحوه .

(٥) انظر الحيوان : ٢٨٧/١ و ٨/٢

النضو المسترخي الآذان أما صاحب البيزة فيقول : « وأفره ما رأينا من الكلاب ما يجيء من المغرب وخير ما فيها البُلْتُقُ وهي حسان فُرَّةٌ على كل ما أُرْسِلَتْ عليه من الطرائد ، وخير كلاب الشرق ما جاء من عند الأكراد^(١) . وعلى الجملة فإن 'كل' صفة يوصف بها الجواد الكريم هي صفة للفاره من الكلاب .

فقد روي أن المأمون قال لبعض أصحابه : إمض إلى بادية كذا وكذا فابتع منها خيلاً تستجيدُها فقال : يا أمير المؤمنين ، لست بصيراً بالخيال قال : أفلست بصيراً بالكلاب ؟ قال : نعم . قال : فأبصِرْ كل ما تتوخاه في الكلب الفاره المنجب ، فالتمس مثله في الفرس^(٢) .

وخير ألوان الكلاب ما كان يذهب إلى الأسود من الصفرة أو الحمرة أما التبقيع فهُجْنَةٌ^(٣) .

وعيون الكلاب حمر ، حتى إنه لتشبه بها عينا الكميّ الشجاع وهو يقبل مغضباً على قيرنه ، وهي إذا أبصرت الصيد بدت أشد حمرة^(٤) . أما إناث الكلاب فيُسْتَحَبُّ فيها ما يستحب في ذكورها إلا قصر الذنب وأن تكون أطباؤها عظاماً^(٥) .

وأما الجِراء فإذا أردت أن تتخير واحداً منها فانظر ، فإذا كانت الكلبة قد ولدت واحداً فهو أفره من أبويه ، وإن ولدت اثنين فالذكر أفره من الأنتى وإن ولدت ثلاثة فيها أنثى لها شبه من الأم فهي أفره الثلاثة وإن كان في الثلاثة ذكر واحد فهو أفرها ،^(٦) .

(١) البيزة : ١٤٩

(٢) المصايد والمطارد : ١٣٧

(٣) الحيوان : ٧٨/٢

(٤) انظر الحيوان ٢٠١/٢ ، ٢٢٩/٤ و ٢٣٠

(٥) انظر أنس الملا في وحش الفلا : ٣٦

(٦) انظر المصايد والمطارد : ١٣٧

وهناك علامة أخرى لفراة الجراء وهي « أن تؤخذ كلُّها وهي صغار قبل أن تقوم على قوائمها فتلقَى في مكان تَدِ فأبَيَا مشى على أربع ولم يكثر سقوطه فهو الأفره » (١) .

ويعرف هرم الكلب وفتاؤه من أسنانه فإذا كانت سوداً كلية دل ذلك على الكبر، وإذا كانت بيضاً حادة دل ذلك على الشباب .

وهو حيوان شديد المضع والاستمراء فهو يعصُّ العظم ليرضه فإذا امتنع عليه وكان مما يسيغه ابتلعه واثقاً بأنه يستمره (٢) .

ولأبي إسحاق الصابي طردية نثرية يصف فيها كلب صيد فارهاً جاء فيها :
« وكان معنا كلب عريق المناسِب ، نَجِيحُ المَكاسِب ، حلو الشائل نجيب الخايل ، حديد الناظرين ، أغضَفُ الأذنين ، أسيل الحدين ، مَخْطَفُ الجنبين (٣) عريض الزور (٤) ، متين الظهر أبي النفس ، مُلهَبُ الشدّة ، لا يمس الأرض إلا تحميلاً (٥) وإيماءً ، ولا يطؤها إلا إشارة وإيجاء (٦) .

لهذه المزايا التي ذكرناها كان للكلب قدرٌ كبير عند الناس ومنزلة قلما دانتها منزلة حيوان آخر غير الجياد .

وقد بلغ ولع بعض الصائدين بالكلاب حدّاً جعلهم يُنيمونها على فرشهم ويُجلسونها على وسائدهم (٧) ، بل إن بعض الملوك كان يركض وراء كلبه وقد دنا من ظبي وهو يقول له : إيه فدتك نفسي (٨) .

(١) انظر المصايد والمطارد : ١٣٧

(٢) المصايد والمطارد : ١٣٥

(٣) مخطف : ضامر .

(٤) الزور : الصدر أو وسطه .

(٥) أي مسا خفيفاً لا مبالغة فيه وذلك لسرعته وخفته .

(٦) نهاية الأرب : ٢٦١/٩

(٧) انظر أنس الملا في وحش الفلا : ٧٧

(٨) فضل الكلاب على كثير من لبس الثياب : ١٣

وقد رويَ عن الأصمعي أنه قال : « حُضِرَتِ الوفاةُ بعضَ الأعرابِ ،
وكلبٌ في جانب خيمته فقال لأكبر ولده : أوصيك خيراً به فإن له صنائع
لا أزال أحدها ، يدل ضيفي عليّ في غسق الليل إذا النار نام موقدها (١) .

تعليم الكلب :

من المعلوم أن الضواري إنما تباشر الصيد بدافع من حاجاتها وحفظاً
لبقائها ، ولذا فهي إنما تصيد لنفسها لا لغيرها فإذا استطاع مؤدب الضواري
أن يجعلها تترك ما ألفتَه بالفطرة إلى ما لم تألفه وأن تُزايِل ما اعتادته بالسليقة
إلى ما لم تعتده ، وذلك بتغيير طبائعها وجعلها تصيد لأصحابها بعد أن
كانت تصيد لنفسها فيكون قد أُثِرَ فيها تأثيراً عميقاً ، ونقلها من حالٍ إلى
حال وهو ما يُدعى بتعليم الجارح .

متى يُعدُّ الكلب متعلماً :

ومن هنا قيل : « إن الكلب إذا أُغريَ بالصيد فاستجاب للإغراء
وجعلَ يجيشَ تحفُزاً لنيل الطريدة ثم لم يأكل منها بعد إمساكها وفعل
ذلك مرة بعد أخرى فهو الكلب المعلم » (٢) .

والتعليم شرطٌ في حلِّ أكل الطريدة ، أما طرائد الجوارح التي لم تُعلِّم
فهي نجسة لا يباح أكلها .

كيف تعلم الجراء الصيد :

ويُباشر بتعليم الجراء الصيدَ وهي صغيرة فإذا صار للجرو شهران أخذ
مؤدبه خيطاً طوله خمسة أذرع وربط في نهايته ذنب ثعلب أو قطعةً من جلد
غنم وأمر أحد صبيانه أن يجر الخيط أمام الجرو وأن يستثيره للسَّحاق بما
رُبطَ بالخيط وإمساكه ، وأن يعمل ما في وسعه حتى لا يُمكنه من ذلك

(١) فضل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب: ١٣ ، وقد ورد هذا الكلام على صيغة بيتين
من الشعر منسوبين إلى علي بن الجهم .
(٢) المصايد والمطارد : ٢١ ، ٢٢

ليزداد حِدَّةً وحنقاً، فإنَّ هذا مما يزيد في جرأته وحرصه، فإذا صار له خمسة أشهر أخرج له فأراً كبيراً وأغراه به حتى يصيده ... فإذا صار له سبعة أشهر خرج به إلى الفلاة التي يأوي إليها اليربوع وأغراه به وضراه على صيده حتى يصيده .

فإذا أتقن الكلب الكره والفرّ ، وتمرس على الكسر والرّدة أحضر له أرنباً صغيراً وشدّ خيطاً على أعصابها شدّاً يعميقها عن الجري السريع وخلاها أمامه ليصيدها فإذا فعل ذلك معه مراراً أطلقه على صيد الأرنب في الفلاة ، ويحسن في هذه الحالة أن يُرسلَ مع كلبٍ آخر أعرف منه بالصيد . ولا يجوز لمؤدّب الضواري أن يرسل كلبه في أول أمره على الثعلب فقد يخشاه ويعجز عنه وعمّا دونه .

وينبغي ألاّ يطعم الكلب في النهار إلا مرة واحدة ، وخير ما يأكله الخبز وحده ولا يُخلى على المزابل لئلاّ كل ما يجده فإن ذلك يفسده، وينبغي للكلب أن يُضمّر ضمير الفرس وأن يُعرّف مقدار طعامه وألاّ يُقدّم له ما يزيد عن حاجته ولا يطعم اللحم إلا من صيده، وعند صيده إياه؛ فإن اللحم يسمن الكلب ، والكلب إذا سمن قلّ عدوّه (١) .

وقد يُلجأ عند تعليم الكلب إلى الضرب أحياناً ، فإذا أرسل الكلب المعلم وأكل من طريدته فاضربه أسواطاً وقِفْه على ما صنع فإنه لا يعود (٢) . وللكلب من القدرة على قبول التعليم وحسن التصرف في أصناف اللعب ما ليس في غيره ...

فالكلب الزيّني (٣) يُوضع السراج على رأسه ساعاتٍ كثيرةً من الليل فلا يتحرك ، وقد كان في بني ضبة كلب زيّني يُوضع السراج على رأسه فلا

(١) أنس الملا في وحش الفلا : ٧٧

(٢) المصايد والمطارد : ٢٢

(٣) الكلب الزيّني : ضرب من الكلاب قصير القوائم شديد الذكاء وجاء في التخصص ،

كلب زئني : أي قصير ولا يقل صيني .

ينبض فيه نابض ، ويدعونه باسمه ويرمون إليه قطع اللحم ، والسراجُ على رأسه فلا يميل ولا يتحرك فإذا أخذ القوم المصباح عن رأسه وثب على اللحم فأكله . وكانت تملسُ الزنبلةُ والدوخلة^(١) في رقبتِه وتوضع فيها رقعة ثم يصي إلى البقال ويحييء بالخوائج ، فهو قد دُرِبَ فدُرِبَ ودُقِفَ فنُقِفَ وأدبَ فقبل التأديب^(٢) .

ما يصيده الكلب :

أما ما يصيده الكلب من الطرائد فيختلف باختلاف الكلاب من جهة وباختلاف إرسالها وراء الطريدة مفردة أو مع أترابها من جهة أخرى . فالواحد من الكلاب يصيد الأرنب ما لم يسلك طريق الجبل ويتمسكُ به^(٣) ، ويصيد الثعلب كذلك إذا عمد إلى المجاودة^(٤) ولم يستتر بججر ولا غيره ، بيد أن الثعلب رَوَّاعٌ ما كر فهو ربما التفت إلى الكلب وقد أخرج لسانه من شِدَّةِ العُدُوِّ فعضه في لسانه عَضَّةً تجعل الكلب يرجع عنه ، وربما توارى الثعلبُ عن الكلب في دَعَلٍ من شجر أو نحو ذلك مما يستتر عنه .
وأما الأيئل^(٥) فلا يطيق صيده إلا الكلبُ ذو الخَلْتِ الشديد والبنية الوثيقة والهيكل الضخم شريطة أن يجتمع عليه اثنان أو ثلاثة من أمثال هذا الكلب .

وللكلاب أسماء معروفة عند العرب منها سُجيم ، وُسْحَام ، وطِحَال وصَبَّار ، وزَهْمَان — وقيل زهمان وبراقش اسم كلبية وفي المثل — على أهلها دَلَّتْ براقش — وَكَسَّاب اسم كلبية .

(١) الدوخلة : وعاء من خوص والزنبلة نحوها .

(٢) انظر الحيوان : ١٢٩/٢

(٣) انظر الحيوان : ٤٨/٢

(٤) المجاودة : الطراد .

(٥) الأيئل : صنف من أصناف بقر الوحش قريب من الظباء يعيش في الجبال وقلما يؤم

السهل ، ويقال له : الوعل .

ومن أسماء الكلاب : 'كسَّيب' ، وضمران ، وواشِق وفلحس ...
وفلحسُ رجل من بني شيبان كان حريصاً رغبياً و'ملحيفاً ملحياً' ، ومن
هنا قيل فلان أسأل من فلحس ، وكان كل طفيلي عندهم يقال له فلحس .
وإنما قيل للكلب كذلك لما فيه من صفات الحرص والإلحاح (١) .
وقد استعمل بعض شعراء الطرد في العصر العباسي بعض هذه الأسماء .
ولزجر للكلاب وإغرائها بالصيد ألقاظ معروفة وصيغ موروثة فتقول :
« أشليتُ الكلب وقرّ قسنتُ به إذا دعوته ، وآسدتُ الكلب وأوسدتُهُ
إذا هيَّجته وأغريته بالصيد ، وخسأتُ الكلب إذا أبعده وطرده .
وهجٌ هيجٌ ، وهججاً ، وهجاجيك ، إذا زجرتَه وهي كلها بمعنى
كف (٢) .

(١) الحيوان : ٢٥٧/١

(٢) الحيوان : ٢٠/٢ ، ١٢٧

٢ - الفهد

الفهد ضرب من السباع يُتَصَيِّدُ به ، وجمعه فهود وأفنهْدُ ^(١) والأُنثَى فهدة ، وجرو الفهد يقال له الهَوْبَرُ والجروة هبيرة ^(٢) ومؤدبسه يدعى الفهْدَادُ ^(٣) ، وقد اختلف علماء البيزرة في تَوَلَّدِهِ ، فقال أرسطو : إنه مُتَوَلَّدٌ من لبؤة وَنَمْرٍ ^(٤) ، وقال صاحب نهاية الأرب إنه متولد من أسد وَنَمْرَةٍ أو لبؤة وَنَمْرٍ كما قال أرسطو ^(٥) ؛ ومن هنا كان فيه شبهة من النَمِيرِ ، لأنَّه أحد والديه على جميع الأقوال .

والفرق بينه وبين النمر أن وجه النمر طويلٌ مثلُ وجه الكلب وعينه زرقاوان ، أما الفهد فوجهه مُدَوَّرٌ وعينه سوداوان ^(٦) .

طباع الفهْدِ وصفاته :

والفهْدُ مُشَابِهٌ للكلب في بعض طباعه حيث يأنَسُ لمن يحسن إليه ^(٧) ،

(١) المخصص : ٧٢/٨

(٢) نهاية الأرب : ٢٤٦/٩

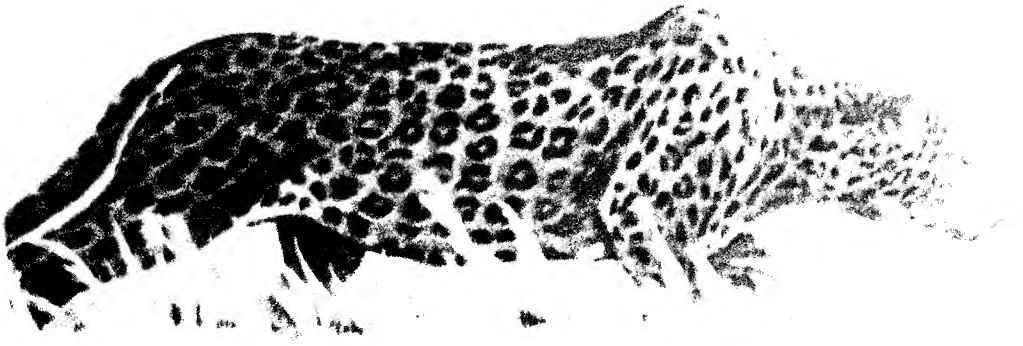
(٣) المخصص : ٧٢/٨

(٤) الصيد والطرد عند العرب : ٧٠

(٥) نهاية الأرب : ٢٤٦/٩

(٦) الصيد والطرد عند العرب : ٧٠

(٧) المصايد والمطارد : ١٨٥



الفهد أكرمُ الحيوانات الصائدة ، وأجلُّها نفعا ، وأحسنها صيداُ لذا عُدهُ
من ضواري الملوك .

والفهود إذا هُرِمَت وعجزت عن الصيد لنفسها تطوَّع لإعالتها فهدٌ فقيٌّ
أو أكثر فيصيد لها في كل يوم ما يكفيها حتى تموت .

مَشَاكِلُ له في أدوائه ودوائه ، والنوم الذي يعتربه يشبه نعاس الكلب (١) .
ومن خَلْقِهِ القُضْبُ فإذا أخطأ صيده رجع حَنِيقًا مَنِيظًا حتى لربما قتل
سائسه (٢) ، وهو أكرم الحيوانات الصائدة وأجلُّها نفعا وأحسنها صيدا
وأحلاها في العين منظرًا وأغلاها ثمنًا وأعزُّها جانبًا لذا عُدَّ من جوارح الملوك ،
وُضِرَ به المثل فقيل : « فلان أكسب من فهد » .

وهو ذو جثة ثقيلة ، فما من شيء في مثل حجم الفهد إلا والفهد أثقل منه (٣) ، والسباع تشتهي رائحة الفهد وتحبها ، وتستدل بها على مكانه وتمعجج بلحمه أشد المعجب (٤) .

وللفهود موسم تسمن فيه ، فإذا سمع الفهد عرف أن حركته قد ثَقُلَتْ
وأنَّه غدا عُرضةٌ للسباع التي تطلبه ، لذا فهو يُخْفِي نفسه ويجتهد لذلك
حتى يعود إلى حاله الأولى وينقضى الزمان الذي تسمن فيه الفهود (٥) .
وإنَّث الفهود أو عَرَّ خَلْقًا وأكثرُ جرأةً وأشدُّ إقدامًا وأجلُّ صيدا من
الذكور .

ومن شأن الفهد إذا وثب على طريدته ألا يتنفس حتى ينالها فتحمرّ لذلك
رثته وتمتلئ من الهواء الذي حبسه ، وسبيلُه أن يُرَاحَ بعد ذلك حتى يخرج
ذلك النفسُ وتبرد تلك الغلُة ، وأن يُشَقَّ له عن قلب الطريدة بعد تذكيتها
وأن يُطَنِّعَ منها حاجته وأن يُسَقِّي رِيَّةَ ماءٍ إن كان الزمان قيظًا ودون
الريِّ إن لم يكن الحرُّ شديدًا ، ثم تُبَسِّغَى له طريدة أخرى ، ولا يُصاد به
في اليوم أكثر من عشر مرات ، وقد يُصاد به في اليوم نحو عشرين مرة على

(١) انظر الصيد والطرود : ٧١

(٢) انظر الحيوان : ٤٧٢/٦ ، ٤٧٨

(٣) المصايد والطارد : ١٨٣ ونهاية الأرب : ٢٤٧/٩

(٤) انظر الحيوان : ٤٢/٧ ، ٤٣

(٥) انظر نهاية الأرب : ٢٤٧/٩ والمصايد والطارد : ١٩٥

إِعْتَنَات . وهو إذا لم يُرَاح لم يُفْلِح بعد ذلك ، ومن طباع الفهد النومُ الكثيرُ حتى إنه يُضرب به المثل فقول : أنوم من فهد ، ويقال أفهد الرجل إذا أشبه الفهد في كثرة نومه . ومن طباع الفهد الحياء ، فلا يُعلم أنه عاظل أنثاه وهو في يد الإنسان .

وقد حاول بعضهم ذلك واجتهدوا فيه فلم يفعل .

والفهد من السباع الحساد الأسنان وهو يُدخِل بعضها في بعض وكذلك الأسد والكلب (١) .

ومن طريف ما أودع الله في هذا الحيوان أن الفهود الهرمة التي تمجز عن الصيد لأنفسها تجتمع على فهد فتقتل فيصيد لها في كل يوم ما يشبعها .

ويقال إن الفهدة إذا ثقلت بالحمل حن عليها كل فهد ذكر يراها وواساها من صيده . ومن شأن الفهد إذا ذهب به إلى الصيد أن يُحمل على دابة أو أن يُردف خلف صاحبه (٢) .

وصاحب الصيد والطرود يقول : « إن في الفهد خصالاً حميدة ينبغي لكل عاقل أن يتأسى به فيها من ذلك :

— أنه يمكن للصيد حتى يتمكن منه ... وهكذا فإنه ينبغي للماقل ألا يجاهر عدوه بالخلاف وإنما يهتبيل الفرص فإذا أمكنته نال منه من غير تعب للنفس .

— وأنه لا يعدو خلف صاحبه وإنما يركب خلفه ، وكان لسان حاله يقول : هو المحتاج إليّ ولست بالمحتاج إليه فلنم أذل نفسي له؟ وهكذا ينبغي للماقل ألا يذل نفسه فيما يفعله غيره .

— وأنه لا يبلجأ في تعليمه إلى الضرب ، وإنما يضرب الكلب بين يديه

(١) المصايد والمطارد : ١٨٤ ، والصيد والطرود : ٧١ والبيزرة : ١٢٨

(٢) انظر : الصيد والطرود : ٧٠ - ٧٢

إذا أكل من طريدته فمتعظ هو بذلك، وهكذا ينبغي للعاقل أن يتعظ بغيره،
فالسعيد من وعظ بغيره.

– وأنه لا يتناول الخبيث من اللحم وإنما يطلب من اللحم أطيبه وهكذا
ينبغي للعاقل ألا يتناول إلا الطيب .

– وأنه يشب على طريدته ثلاثاً أو خمساً فإذا لم يتمكن منها تركها ورجع
وكان لسان حاله يقول : لا أقتل نفسي فيما أعمل لغيري ، وهكذا ينبغي
للعاقل أن يفعل ، (١) .

والمواضع التي توجد فيها الفهود وتصطاد منها هي ما يلي بلاد الحجاز إلى
اليمن ، وما يلي الحجاز إلى العراق وما يلي بلاد الهند إلى تبت كما توجد في
عنداب من أعمال قوص من الديار المصرية (٢)

صيد الفهد وتأنيسه .

أما صيد الفهد وتأنيسه فهو أمر في غاية الطرافة والمعجب ذلك بأن الفهد
سبع ضار يفتال الإنسان ويفترس الحيوان، فكيف يتم تأنيسه وتأديبه حتى
تأمره فيطيعك ، وتدعوه فيجيبك ويكون رديفك في سفرك وأنديسك في
حضرك ثم يصطاد لك لا لنفسه !؟

إن لصاندي الفهود ومؤدبها في ذلك طرقاً رائعة وأساليب بارعة هدتهم
إليها التجربة ؛ فصائد الضواري يلتمس أرضاً تكثر فيها الفهود ، فإذا أبصر
واحداً منها جده في طلبه وجعل يتبعه وهو حريص أشد الحرص على أن
يحفظ أثره لأنه متى خفي عنه أثره لم يجده، ويستمر في تتبعه حتى ينام فإذا
نام أزعجه عن منامه وحمله على أن ينهض ، ثم أخذ يتبعه حتى ينام ثانية ،
فإذا نام الثانية أزعجه عن منامه وأنهض منه وجعل يتبعه حتى ينام فإذا

(١) انظر الصيد والطرود : ٧٠ - ٧٢

(٢) نهاية الأرب : ٢٤٨/٩

نام الثالثة وغطّ في نومه غطّاً عميقاً وانطرح على جانبه علم الصياد أن الفهد قد تعب التعب الذي يكتننه من أخذه ، وعند ذلك يبادر إلى ثوب يكون معه فيغطي به وجه نفسه ويحث الحطّى نحو الفهد دون أن تُسمع له جلبة أو صوت ، ويسارق الفهد النظر من خلال الثوب ليتثبت من بقائه نائماً ولكيلا يرى الفهدُ وجه الصياد إذا كان قد استيقظ فإذا بلغه وكان لا يزال غارقاً في نومه جاء من خلفه واضطجع إلى جانبه وعانق رقبته دون أن يعصرها ، وجعل جنبه الأيمن عليها حتى يمنعه من الجلوس إذا أراد الجلوس وليصدّه عن النهوض إذا رام النهوض ، ثم ينزع الثوب عن وجهه ويلقيه على وجه الفهد ويغطيه به .

ثم يطرح بعد ذلك فخذه ووركه على الفهد ويعصره بها لئلا يتحرك إذا استيقظ ثم يبادر إلى حبل وثيق يكون مع رفيق له فيجعل أحد طرفيه في عنق الفهد من غير أن يضيّقه حتى لا يؤذي الفهد ولا يوقظه ، ومن غير أن يوسّعه حتى لا يخرج رأسه منه ، ويشدّ رقبته طرف الحبل الثاني إلى شيء ثابت مكين من شجرة ونحوها. ثم يأمر رفيقه بأن يشدّ يدي الفهد ورجليه بحبل آخر ويكون الشدّ فوق كتفيه لا على أعصابه لئلا يؤذيها فإذا أحكم وثاقه دقّ في الأرض وتدين وشدّ اليها حبلي يديه ورجليه .

ثم يعمد الى رأسه فيشدّ الثوب الذي عليه بسيرٍ وثيق ثم يلبس في كفيه قفازين من كساء متين ويشدّهما عليه .

ويكون مع الصياد جبن وافر ولحم مقطّع قطعاً صغيرة ، فإذا استيقظ الفهد من سباته قدّم له الصائد من حيث لا يراه شيئاً من الجبن فهو إذا شم رائحته لعقه لوقته ثم يطعمه قطعة لحم بقدر الإيهام يجعلها في فمه ثم يتبعها بقطعة إثر قطعة .

ولا بأس في أن يكشف الصياد عن وجه الفهد في ذلك اليوم على أن يغطي وجهه هو بحيث لا يراه الفهد أبداً ، ويبقى على حاله هذه ثلاثة أيام

إلى أن يألف الفهد أكل الطعام من يده فإذا وجده بعد ذلك يخاف من رؤيته
ستر وجه الفهد .

ويجتهد في خلال هذه الأيام في أن يكثر من الحديث حوله ليألف ذلك ،
ويحسن أن يجتمع حوله ما أمكن من الناس ، والصيد قاعد خلفه ورجله
اليسرى موضوعة على جنبه ممتدة إلى ما بين رجليه ، وقطعةُ الجبن في يده
يلقي بها فم الفهد كلما رفع رأسه .

فإذا مضى عليه خمسة أيام وهو في مكانه خفت عن رقبتيه بعض ما 'شد'
عليها من وثاق وذلك بأن يُحَلَّ العقال عن الوتد ليتمكن الفهد من رفع رأسه .
فإذا مضى عليه سبعة أيام قلع الوتد الذي يشدّ كتفيه ليقدّر على
رفع صدره .

فإذا مضى عليه عشرة أيام اقتلع الوتد الذي يشدّ رجليه ثم يقيده بعد
ذلك بقبدين أحدهما في قائتيه الأماميتين والثاني في قائتيه الخلفيتين على ألا
يمنعه ذلك من الوقوف والحركة البطيئة .

وعلى الصياد أن يستصحب معه الجبن خلال هذه الأيام كلتها وألا يطعمه ،
بعد ذلك الا وهو قائم وأن يكثر سهره في الليالي العشر الأولى بحيث لا ينام
إلا غرارا فإن ذلك أسرع لذليلته وأدعى لترويضه (١) .

طريقة أخرى لتأنيص الفهد :

نلذك هي طريقة صاحب « أنس الملا » في معاملة الفهد بعد صيده أما
صاحب « البيزرة » فله معه شأن آخر وهو أن يطرح عليه الصائدُ إثر صيده
كساءً يستربه وجهه ويتخذ له كلمة يكتم بها فمه ويدخله في غرارة على أن
يجعل رأسه خارجها لئلا يموت من ضيق النفس وشدة الحر ، ثم ينقله إلى
منزله وهو على هذه الحال ، فإذا صار إلى المنزل قدم له الماء فإن شربه فيها

(١) انظر أنس الملا في وحش القلا : ص ٦٠ وما بعدها

والإرشته على رأسه وأكتافه وخواصره، ثم يُمدُّ له قلادة فيها مدوّر حق لا تلتوي على عنقه إذا دار ويكون في القلادة حجرٌ جيّد متين .

ويضرب له سكةٌ في مكان بارد ويشدّه فيها إلى آخر النهار ، ثم يأخذ ثلاثة أرطال لحم خروف ويجعله قطعاً صفاراً ويضعها في قصعة الفهد ويحل الكامة عن فمه ويقف إلى جانبه ، ويقدم له القصعة فإذا أقبل يأكل منها أخذ يمسح جسده ما دام يتناول طعامه فذلك أدعى لأنسه، فإذا أقبل الليل أدخله البيت في رفق ووضع له قنديلاً في سقف البيت وسهر معه أكثر الليل وهو يمسح جسده ليألفه ويطمئن إليه .

ويستمر على هذه الحال ليلالي عديدة حتى يأنس الفهد ويقف على قوائمه ويدور حول صاحبه وحينئذ يحل له تجرّه عند الأكل^(١)

طريقة الثالثة لصيد الفهد وتأنيسه :

وهناك طريقة أخرى لصيد الفهد ذكرها صاحب المصايد والمطارد وهي أن يلتصق الصائد موضعاً تكثر فيه الفهود فإذا وقع عليها وقف بعيداً منها مستتراً عنها ، وجعل يغني لها غناء مطرباً ، ذلك لأن الفهد شديد الوله بالأصوات الحسنة كثير الإصغاء إليها حتى إنسه لينسى نفسه وهو يسمع الصوت العذب^(٢) فإذا استولى عليه الصائد بشبكة أو نحوها فعل فيه ما أوردناه آنفاً .

تعليم الفهد الصيّد :

وحين يتم صيد الفهد بأيّ طريقة كانت ويصار إلى تأنيسه ذلك التأنيس الذي يجمله يطمئن إلى الإنسان يبدأ الفهّاد بتأديبه وتعليمه ركوب الخيل وتضريته على الصيد ويكون ذلك بأن يضع المؤدّب طعام الفهد في مخلّاة وأن

(١) انظر البيزرة : ١١٨

(٢) انظر المصايد والمطارد : ١١٣ والبيزرة : ١١٨ وما بعدها

يحمل في يده قصعة وأن يدأب على دعوته إليها واستجابته بها ، وكلما أقبل عليه ولحق به مستجيباً للدعاء رَمَى له في القصعة قليلاً من طعامه الموجود في الخلاة إلى أن يأكل طعامه كله ، ويستمر على ذلك أياماً حتى يزداد له إلفاً ويتبعه كما تتبع الكلاب أصحابها ، فإذا تمّ له ذلك بَنَى له في البيت تمثالاً على قدر الحصان ووضع عليه الجلال والسرّج اللذين يضمهما على الدابة عادة فإذا جان وقت إطعامه وضع القصعة على ظهر التمثال ودعا إليها فإذا صعد عليه رمى له في القصعة قليلاً من اللحم فإذا أكله أنزل القصعة إلى الأرض فإذا نزل الفهد إليها رمى له فيها قليلاً من اللحم ، فإذا أكله رفع القصعة كرهة أخرى إلى ظهر التمثال وصاح به فإذا صعد إليها أشبعه ولا يزال يفعل به ذلك حتى يستوثق من حسن استجابته وإلفه للتمثال .

وعند ذلك يقدم له حصاناً هادئاً ذلولاً ويدعوه إليه فإذا جعل يصعد على ظهره ويحكم الجلوس عليه ولا ينفر منه أخرجه إلى الصحراء وجعل طعامه فيها ثم لا يزال يؤلّفه على الحصان ويحكم إجابته إليه حتى يجعله يجري وراءه وهو يعدو عدواً سريعاً ثم بطعمه بعد ذلك يوماً ويغيّثه يوماً فإذا أنس هذا الأُنس الذي يجعله يتبع صاحبه كما تتبعه الكلاب السلوقية ويجري وراء حصانه المُعدّ لركوبه ويمتطي صهوته يكون قد أدب الأدب الذي يُمكن الفهّاد من تضرّيته على الصيد .

وعند ذلك يخرج به إلى الصحراء ويأخذ معه غزالاً ثم يخليّه أمامه فإذا أخذ ذبحه بين يديه وقدّم له القصعة وجعل فيها ما يكفيه من اللحم الطري مع شيء مزدّم الغزال فإذا شبع أركبه الدابة وعاد به ثم يكرر ذلك مراراً حتى يألفه فإذا أحكم ذلك أخرجه إلى الصحراء وطلب به غزالاً وطياً فإذا صاده أشبعه منه ثم يكرر ذلك معه مراراً فإذا أتقنه أخرجه الصائد إلى القلاة وطلب به عجول بقر الوحش فإنه يصيدها (١)

(١) انظر البيزرة : ١١٨ ، ١١٩

ضروب الصيد بالفهد :

وللصيد بالفهد ضروب ثلاثة هي: صيد المُكَابِرَة^(١) وصيد الدِّيسيس^(٢) وصيد المُتَدَانِبَة أو الإذئاب .

أما صيد المكابرة فهو أن يلقى الصائدُ الظبي بفهده مواجهةً ومكافحةً فحينئذ أمّ الظبي وجه الصائدُ فهده نحوه وقابله به وأطلقه عليه فيلقاه وجهاً لوجه كما يلقى الفارس قرنه ويجول عليه كما يجول على خصمه .

وفي هذا الضرب من الصيد تعسّفٌ شديدٌ وإعناتٌ بالغ للفهد وهو صيد الملوك ، ولعلمهم آثروه على غيره لأنه أمتع من الضربين الآخرين وأبعث على الإثارة .

أما صيد الديسيس - والديسيس في اللغة الحِتَتَلُ وإخفاء المكر - فسبيلُهُ أن يتحرّى الصائدُ الظباء فإذا وجدها ترعى غافلةً غير آبهةٍ مكثّن فهده من رؤيتها ثم أرسله عليها من بعد مُعارضاً إياها لا مواجهاً لها كما هو الشأن في صيد المكابرة

ويتلطف الصائد ما وسعه التلطف في إرسال الفهد من غير إزعاج له أو إقلاق ، عند ذلك تجرد الفهد في أروع صورهِ وأبرع حالاتهِ فهو يبطأ الأرض برفق ويمضي نحو الظباء الراتفة في خفة ورصانة رافعاً يداً وواضعاً يداً على وزن متساوق وقدّر متناسب ، ويستمر على ذلك ما دامت الظباء ناكسةً رؤوسها في المرعى فإذا رفعتها وخاف منها أن تذبته له أمسك نفسه على الصورة التي انتهى إليها ، فلا يتقدّم ولا يتأخر ولا يرفع اليد الموضوععة ولا يضع المرفوعة ، فإذا طأطأت رؤوسها ثانية سلك سبيله الأولى وهو أشدُّ حذراً وأكثر أناةً حتى ليصحّ فيه وهو على هذه الحال الوصفُ الذي وصف به رؤية الصائد حيث قال :

(١) المكابرة : اصطلاح يستعمله القهادون ويريدون به المواجهة

(٢) الديسيس في اللغة إخفاء المكر

« فَبَاتَ لَوْ يَمْنَعُ شَرِيًّا مَا بَصُقَ »

حتى إذا اقترب من طريدته الراجعة الغافلة حبس أنفاسه وامتلات رثاء من الهواء وحمي جسده ووثب على فريسته وأمسكها بكلتا يديه ولبث واقفاً حتى يأتي فهاده ويأخذها منه .

وعلى الفهّاد عند ذلك أن يريجه ريثما يخرج نفسه من رثتيه وتبرد غلته ثم يذبح الطريدة أمامه ويشق له قلبها ويطعمه منها ويسقيه ما يرويه من الماء إن كان الزمان حاراً ودون الري إن لم يكن الحر شديداً ، ثم يبتغي به طريدة أخرى .

أما صيد المذانبه فسيبيله أن تكون الطباء سائرة في سرب فتأتي من خلفها وتطلق الفهد في إثرها ومن وراء أذناها ، وهو أكثر ضروب الصيد استعمالاً وأقلها إعناتاً للفهد وكذاً ، وهو صيد الدهاقين والفهّادين الذين يصيدون لأنفسهم (١) .

وأول من صاد بالفهد كسرى أنو شروان أحد ملوك الطبقة الأخيرة من الفرس (٢) .

ويقال « إن أول من صاد بالفهد كلّيب بن وائل وقيل همّام بن مرة وكان صاحب لهُ وطرب ، وأول من حمّله على الخيل يزيد بن معاوية بن أبي سفيان وأكثر من اشتهر باللعب بها أبو مسلم الخراساني » (٣) .

والفهد عند هواة الصيد مكانة كبرى ومقام مرموق وقد عقد كل من صاحب المصايد والمطارد وصاحب البيزرة باباً خاصاً لامتهان الملك والرئيس نفسيهما في الصيد بهذا الضاري ومباشرته به (٤) .

(١) انظر المصايد والمطارد : ١٨٣ ، ١٨٤ ،

(٢) صبح الأعشى : ٣٨ ولي الملك سنة ٢٥٣١ (انظر تاريخ إيران : ١/٦١٧)

(٣) نهاية الأرب : ٢٤٧/٩ والصيد والطرود عند العرب : ٧١

(٤) المصايد والمطارد : ١٩٦ والبيزرة : ١٢٨

الصايي يصف الفهود :

وقد أولع الشعراء والكتاب بوصف الفهود شعراً ونثراً فمن ذلك قول
أبي اسحاق الصايي في رسالة طردية: «وكان معنا فهود أخْطَطَفُ من البروق،
وأسرع من السهم حين المُرُوق ، وأثقف من الليوث وأجرى من الفيوث ،
وأمكر من الثعالب ، وأدبٌ من العقارب ، مُخْصِصُ الحُصور، قُبُّ البُطون ،
رُقْنَشُ المتون، حمر الآماق، خرزُ الأحداق، هزّت الأشداق عراض الجباه،
عُظْبُ الرقاب ، كاشرة عن أنياب كالحراب ، تلحظ الظباء من أبعاد غاياتها ،
وتعرف حسنها من أقصى نهاياتها ، تتبع مراتبها وآثارها ، وتشم روائحها
وأبشارها ، (١) .

ابن الأثير يصف فهداً :

ومن ذلك أيضاً ما كتبه ابن الأثير الجزري يصف فهداً بعد أن ذكر ظبياً
فقال: فأرسلنا عليه فهداً سَلِسَ الضريبة ، ميمون النقيبة مُنْتَسِباً إلى نجيب
من الفهود ونجيبية ، كأنما ينظر من حَجْرَةٍ ويسمع من صخرة ويطأ من كل
بُرُتْنٍ على شَفْرَةٍ ، وله إهاب قد جُبِلَ من ضدين : بياضٍ وسوادٍ (٢) .

(١) نهاية الأرب : ٢٤٨/٩

(٢) نهاية الأرب : ٢٤٩/٩

٣ - عَنَاقِ الأَرْضِ

عناق الأرض وجمعه عنق و عنوق ويسمى التَّفَقَّة والغَنَجَل وهو دابة أصفر من الكلب وأكبر من السَّنُونُورِ ، حسن الصورة ، طويل الظهر ، ذو أذنين سوداوين وجسد يشبه في لونه لون البعير الأحمر وهو يحكي بصورة عامة شكل الفهد

وَعَنَاقِ الأَرْضِ معدود في جملة السباع لأنه لا يأكل غير اللحوم . وهو من الجوارح التي تُضَرَّتْ على الصيد فتضرى وتصيد صيداً غاية في الجودة والملاحة يفوق في جودته وملاحته صيد الكلب .

وهو يصيد كل شيء إذا عَلِمَ ، شأنه في ذلك كشأن الفهد وهو مع ذلك يصيد الطير أيضاً ، فربما صاد الكركي وما قاربه ، فإذا طار الكركي وثبَّ عليه وثبَّةً شديدة في الهواء وأخذته برجله .

وهو كالفهد من حيث الاستخفاء عن الطريدة وختلُّها حتى يظفر بها . وهو حيوان وحشي ربما واثب الإنسان فعمره ، وقد ضربَ به المثل فقيل : « لقي فلان عناق الأرض » أي داهية .

ولم تكثر كتب البيزرة من الحديث عنه بل إن بعضها أغفله إغفالاً تاماً
وذلك لأن أكثر استخدامه في بلاد المعجم والموصل وبلاد الروم^(١) .

(١) انظر الحيوان : ٣٥٢/١ وأنس الملا : ٧٤ والمصايد والطارد : ٢٢٥ و الصيد والطرود
عند العرب : ٨٣

أمراضُ الجوارح والضَّواري وعلاجُها

أ - أمراض الجوارح :

لا يُبدّ لمؤدّب الجوارح من أن يكون عالماً بصحة الطيور ، واقفاً على ما يمتريها من الأمراض ، عارفاً بأعراض كل مرض وسبل علاجه .

علامات صحة الطير :

وعلامه صحة الطائر أن يصبح صافي اللون كأن الدهن يجري في ريشه ، وأن يُبادر إلى فرد جناحيه ، وأن يكون عظامها فخذيته مستويين معتدلين . وأدلّ من ذلك على صحة الطائر اعتدال نبضه - وهو موجود في أصل جناحيه - فإذا كان نبضه يضرب أبدأ في اعتدال ذلك على سلامته ، أمّا إذا كان يضرب بسُرعة فذلك يدل على أنه محرور ، أو كان يضرب بصلافة فإن ذلك يدل على أنه قد استولى عليه اليبس (١) .

(١) انظر المصايد والطارد : ١١٥ والمصيد والطرود عند العرب : ٥٧

وأدلُّ من هذا وذاك على صحَّة الجراح « ذرقه » (١) ؛ فإن الذُّرْقَ للطائرِ بمنزلة البولِ للإنسان ، فكما يستدل الطيب الحاذق على علَّة الإنسان ببولِه فكذلك يستدل البصير بالطيور عامَّة والجوارح خاصَّة على اعتلاها بذرقها .

بل إن الذُّرْقَ أصدق دلالة من البول ؛ لأنَّ الجراحَ لا يتعمَّدُ طعامه الذي اعتاده وهو اللحم .

أما الإنسان فرَّبما اشتكى علَّة من حرارة شديدة ونحوها ممَّا يوجب أن يكون بولُه على صفة مُعيَّنة ، فيتناول شراباً أو يأكل طعاماً ؛ فتتغيَّرُ صفة بولِه ، ويُصبحُ دالاً على علَّة غيرِ علته وُيشكِّلُ على الطيب أمره (٢) .

فإن كان الجراح صحيحاً معافياً أساغ طعامه ، وإن كان سقيماً لم يسبغه ، ويبدو الأمران في ذرقه ، ولا يخفيان على البصير . فإذا كان ذرق الطائر نضيجاً متماسك الأجزاء مُتصلاً غير متقطع شديد البياض رقيق السواد ، ليِّن الظاهر يابس الداخل ، منفصلاً عن مكانه بسهولة فذلك دليل سلامته وخلوّه من الأمراض الباطنية (٣) .

أما إذا جاء الذُّرْقُ مخالفاً لما وصفناه بأن كانت الذُّرْقَةُ بياضاً شديدة البياض قليلة السواد ، خشنةً شعثةً مقطَّعةً عسيرةً في خروجها فذلك يدل على أن الطائر مصاب بالجِصِّ .

وإذا رأيتُ الذرقة قد اختلطت سوادها ببياضها ، والسوادُ يغلب على البياض ، فإن ذلك يدل على تعب لحق الطائر بالأمس .

(١) يطلق على براز الطائر اسم الذرق

(٢) انظر البيزرة : ٧٩

(٣) انظر المصايد والمطارد : ١١٥ وانصيد والطرود عند العرب : ٧٧

وإن رأيتها مختلطة: فيها 'صفرة' وهي كدرة مقطعة فإن ذلك يدل على
بشّم حديث .

وإن رأيتها على هذه الصفة وهي مدورة غير ممدودة ، فإن ذلك يدل
على 'تحمة قديمة' .

وإن رأيتها 'مزنجرة' (١) قد خالطها يسير من السواد والبياض
وكررهما الجارح فإن ذلك يدل على « الإسطارم » ، والإسطارم بالنسبة إلى
الجارح بمنزلة السل من الإنسان (٢) .

غير أنه يحسن بسائس الجوارح ألا يتمجّل في الحكم على ذرق الطائر ،
فقد يكون قفيّره ناجماً عن أكله لحم طائر قد رعى ما يخالف طبع الجارح
فيتغيّر لذلك ذرقه طوال يومه ثم لا يلبث أن يعود إلى ما كان عليه ، وربما
تغيّر ذرقه إذا بات على الطوى فتكون تلك الذرقه من فضول جوفه .

هذا ويجب على سائس الجوارح ألا ينظر إلى ذرق الطائر وحده ويدع
ما عداه من الشواهد ، لأن الطبيب الماهر لا يحكم على المريض ببؤله دون أن
يحس جسده ، ويتأمل حاله ؛ فقد تجد في ذرق الجارح ما يدل على أنه
'مزنجر' مسلول ، ويكون مع ذلك صافي العين ، 'ممتلىء الصدر' ، حسن
الخال ، والمسلول لا يمكن أن يكون كذلك أبداً .

ومن هنا كان على البازيار أن يتفقد حال الجارح ؛ فينظر إلى عينيه
وجسده ونبضه وربشه ومنسره ، ومخالبه وحسن استمراثة للطعام ، وإلى
ما أكله بالأمس حتى يستطيع الحكم عليه (٣) .

فإذا أغمض الجارح عينه ، وسال منها الماء ؛ فهو مطروف ، وقع في
عينه قذى .

(١) مزنجرة : مصفرة

(٢) انظر البيزرة : ٨٠

(٣) انظر البيزرة : ٨٠ - ٨٢

وإذا نفّس ريشه^١ وجعل يرفع رجلاً ويضع أخرى؛ فهو مبرود^٢ مقرور.
وإذا كان فاغراً القم دائم اللهث^٣ جاحظ العين^٤ منضم^٥ الريش
والجناحين؛ فهو حرّان^٦ محوم .

وإذا أغمض عينيه وجعل يمسحها بمنكبيه ، وضرب^٧ فيها عرقان^٨ وأخذ
يطرف^٩ كثيراً ؛ فقد أصابه الجيص^{١٠} في كلاته .

وإذا حرّك رأسه ، وجعل يضرب^{١١} صدره ، واضطرب^{١٢} على اليد عند
حمّله ؛ فقد أصابه الربو^{١٣} وداء النفّس .

وإذا أرخى ظهره وجناحيه وعجزه ؛ كان به ريح^{١٤} .

وإذا تشققت^{١٥} رجلاه وسال منها الماء الأصفر كانت به بواسير^{١٦} .

وإذا ارتعد^{١٧} ولم يثبت على الكندرة^{١٨} (١) فهو منقرس^{١٩} .

وإذا جعل يشبك^{٢٠} مخالبه ويسقط^{٢١} على جؤجه^{٢٢} (٢) ويمتنع عن تناول طعامه ؛
فهو مصاب^{٢٣} بالديدان في بطنه .

وإذا كان يقىء طعامه ، ولا يُبقي عليه في حوصلته ، أو يحبس^{٢٤} فيها
ولا يُسيغه^{٢٥} فهو متخم^{٢٦} .

وإذا ورم ما فوق كفتيه وتعمد^{٢٧} نتف ريشه ، ففيه ديدان^{٢٨} كبز^{٢٩} القرع .

وإذا هدل جناحه الأيمن وحك^{٣٠} منسره ؛ كان مصاباً في كبده .

وإذا جعل يشب^{٣١} على يد حامله في رعندة ؛ فهو مصاب^{٣٢} باحتباس^{٣٣} الريح .

وإذا قرقر^{٣٤} بطنه ؛ كان به ريح^{٣٥} غليظ .

وإذا أكثر من التفلسي^{٣٦} ، فهو مبتلى^{٣٧} بالقمل .

وإذا ساء نظره وظلمت^{٣٨} عيناه صافيتان ؛ فقد نزل^{٣٩} عليها الماء .

(١) كندرة البازي : مجثمه الذي يها له من خشب أو غيره ، وهو دخيل ، وقد ضبطه
صاحب اللسان بضم الكاف ، أما صاحب القاموس فقد فتح كافه .

(٢) جؤجؤ الطائر : صدره

عناق الأرض



عناق الأرض معدود في جملة السباع لأنه لا يأكل غير اللحوم ، وهو يصيد كل ما يصيده الفهد من الوحوش ، وهو مع ذلك يصيد الطير ، فإذا طار الكركي وثب عليه وثبة شديدة في الهواء وأخذه برجله .

وإذا امتنع عن الالتواء - في أثناء الطيران - على اليمين أو على اليسار ؛
دل ذلك على علةٍ في الجانب الذي لا يلتوي عليه .

وإذا لم يثبت على الكندرة ، وأكثر النزول عنها ، وكان مع ذلك عسيرَ
التنفّس شديد الحرارة مكثرًا من شرب الماء ، فذلك من علامات موته (١) .
وإذا رابك من الجراح أمرٌ ، وتوهّمت به علة فارقق به ، وسمنه ، فإنّ
السّمّن رُبما ذهب بالداء من غير علاج ، وإذا كان لا بُدّ من العلاج فلأنّ
تعالجه وهو سمينٌ خيرٌ من أن تعالجه وهو مهزول ضعيف (٢) .

بمدهذه الإمامة الموجزة بالأعراض التي تعترى الجوارح سنعرض بالتفصيل لأبرز
الأمراض التي تصيبها مع بيانٍ لما كان يستعمله البيازرة من علاج لهذه الأمراض .
وقد عرضنا هذه المعلومات على أطباء بيطريين مُختصين فأيتدوها وقرّروا
أن التشخيص الوارد فيها محكم دقيق ؛ غير أنّهم أفادوا بأن علم الأدوية الذي
توصّل إليه المحدثون اكتشف من الأدوية ما هو أيسرُ استعمالاً وأكثر فائدة
من ذلك الذي ذكره الأقدمون لكنّهم أفادوا أن هذا لا يمنع من استعمال
الأدوية القديمة عند الحاجة وفقدان الدواء المستحدث .

أمراض العين وعلاجها

١ - العشا :

وهو عدم الإبصار ليلاً ، وسببه برّدُ الدِّماغ ، وعلاجه : منع اللحم عن
الجراح ، والاقتصار في غذائه على الحبوب ، ويقطر في عينه ماء الورد الذي
حُلّ فيه شيءٌ من السكر النقي .

٢ - الفشاوة :

وعلاجها : أن يقطر في عيني الجراح مرارة ديك أو غيره من الطيور ، وأن
يكحل بمسحوق الشكّر واللؤلؤ .

(١) انظر في تشخيص أمراض الجوارح كلا من المصايد والمطارد : ١١٥ - ١١٦
والصيد والطرود عند العرب : ٥٧ .

(٢) انظر البيزرة : ٨٠ وما بعدها

٣ - سيلان الدموع والرطوبات :

وعلاجه أن يقطر في عيني الجارح ماء الآس فإن لم ينجح 'حك' فيه التوتياء.

٤ - الجدرى :

وهو زوائد حمراء مستديرة تعترى أجفان الشواهد والكواهي والعفاسي^(١) ، وعلاجه : دلك الزوائد بالثوم ثم يذر عليها رماد ورق الزيتون ، فإما أن تبرأ وإما أن تتحول إلى ثآليل صلبة ، وفي هذه الحالة تقطع بسكين حادة محماة بالنار ، على أنه لا يجوز قطعها قبل أن تتصلب .

٥ - سلاق الجفن واحمراره :

وعلاجه : أن يقطر في عين الجارح ماء الورد ممزوجاً بدهن الفستق .

٦ - البزلة :

وهي بثرية في العين وورم في المآقي يصحبه سيلان وعلاجها إدامة تقطير الحمر في العين ممزوجاً بشيء من دهن الورد .

٧ - الجسرب :

وهو خشونة الجفن واحمراره ، وعلاجه : أن 'يحك' إن كان غليظاً ، وإلا فيقتصر على طليه بالخمر المعجون بالإسفيداج .

٨ - كثرة الدمع مع تغميض العين والإعراض عن الطعام :

وسببه دخان أصاب الجارح ، وعلاجه : تقطير دهن البنفسج في العين ممزوجاً بحليب النساء .

أمراض جهاز التنفّس وعلاجها

كثيراً ما تتعرّض الجوارح لأمراض جهاز التنفّس ، فيضعف بسبب ذلك نشاطها وتهدن قواها وتمعجز عن الصيد .

(١) الشواهد والكواهي والعفاسي : طائفة من الجوارح التي مر ذكرها في الفصل السادس من هذا الكتاب .

وطى البازيار - إذا شعر ببوادى المرض - أن يكف عن الصيد بها وأن يبادر إلى علاجها خشية حدوث المضاعفات التي قد تؤدي إلى هلاكها. وأهم أمراض جهاز التنفّس :

١ - التهيّج :

وهو ضيق النفس ، وعلامته أن يفتح الجراح فمه ، وأن يتواتر نفّسه ويُسرّع نبضه ، وأن يسخن كفتاه ويضعف ريشه ، وأن تهدأ حرّكته ، وأن يشتد ميله إلى الماء .

وتصاب الجوارح بالتهيّج : إمّا بسبب إتمامها وكدها في الصيد ، وإمّا بسبب تمكينها من الماء إثر التعب الشديد .

وقد تكون إصابتها بالتهيّج ناجمة عن مجاورتها للدخان أو الغبار أو تعرّضها للحرّ الشديد .

وعلاجه أن يُسقى الجراح الصمغ المحلولة بالشرّج أو دهن السنّ ، وأن يُلقى الطين الأرمي في ماء شربه .

وقد يُكوى في جانبي منسره ومقدم رأسه بعود آس خفيف .

٢ - الملّ :

وعلامته خفة الريش ، وارتفاع الحرارة ، وهزال البدن ويعالج بالإكثار من شرب لبن الأثني ، ولبن الضآن ، وبنوّم على القُطْف .

٣ - السدّة في المنخريين :

وسببها تعرّض الجراح للدخان أو الغبار ، وعلاجها أن يُقطر في منخري الجراح دهن الورد أو البنفسج ، وأن يُنظف بمروء أو ريشة أو نحوهما .

وقد يُستعمل في علاج سدّة المنخريين التحنيك بالصبر ممزوجاً بيسير من الدهن لتسهيل ذلك عليه ، وقد يُستعمل لذلك الثوم المدقوق الممزوج بحلّ

العنب العتيق ، حيث يُقطر منه في منخري الجراح ، ويُمسك مقدار ساعة على اليد ، فإنه ينفّض ما في رأسه ، ثم تشده على الكندرة في الشمس ،

وتضع بالقرب منه ماءً ليغتسل فيه ؛ فإنه يبرأ .

وإذا أطعمت الجارح المصاب بالسدّة ؛ فليكن معك جناح حمام فيه
بعض اللحم ، ودعه ينتفه فإنّه لا بدّ من أن يسيل من منخريه الماء فيعطس
لذلك ويخرج ما في رأسه من الداء في عطاسه .

٤ - السعال :

وهو كثيراً ما يعترى العقاب والبازي فتضعف قوامها ، وعلاجه : أن
يسقى الجارح الألعبية ، وهو دواء يتخذ من بذر السفرجل ونحوه ،
ويعطى مع الألبنة الصموغ .

٥ - الخنثاق :

وعلاجه أن يبرّد الجارح بماء الورد شرباً وتقطيراً ، ويسقى الطين المختوم
واماب بذر الریحان وماء التين ممزوجاً بالطين الأرمني ، ويُنوم على الآس .

أمراض اللسان والقم

ويلحق بأمراض جهاز التنفس أمراض اللسان والقم ، وأهمها : الخشونة ،
وهو مرض يظهر للبازيار بلمس فم الجارح ولسانه ، وعلامته الإعراض عن
الطعام ، ووجود الرطوبة في البدن ، وعلاجه أن يُمِج في فم الجارح ماء
الورد الذي نقع فيه السفرجل والحلبة ، وأن يدلّك فمه ولسانه بذلك ،
وأن يقتصر في طعامه على لحم العصافير .

ومن أمراض القم واللسان « تشنّج عضلات الازدراد » ، وعلامته عدم
القدرة على البلع ، وعلاجه : أن يسقى الجارح من ماء طبخ فيه التين وأن
يرتخ بدهن اللوز .

أمراض جهاز الهضم وعلاجها

تتعرض الجوارح لطائفة من الأمراض التي تصيب جهاز هضمها وأهم هذه
الأمراض :

١ - البشم :

وهو التشنّج ، وسببها قلّة الحركة وبرودة المكان وتوالي الأطعمة الدسمة ،
وتتابع الأكل عن شردٍ من غير حاجة .

وبعبارة أدق إن أسباب التخمة تنحصر في إدخال الطعام على الطعام ، ومعالجة الشرّب ، والاخلال بترتيب الاطعمة .

وعلامه البشم إرخاء الاجنحة والرأس ، والنزول عن الكندرة ، وكثرة التمرغ على الارض ، وإذا كان الفساد في الحوصلة - وهي تقابل المعدة من الإنسان - زاد مع ذلك الغثيان والقذف، وفتح المنسّر، وخروج اللعاب المتغيّر .

وعلاج البشم أن يطيل البازيارُ جوع الجارح، وأن يجعل إقامته في بيت مظلم لكيلا يؤذي نفسه بسبب كثرة الاضطراب وأن يقتصرًا عليه في الطعام، وأن يمنع عنه كل ما فيه دهن ، وأن يقتصر في طعامه - خلال ثلاثة أيام - على الارز والذرة والحنطة ، ثم يطعمه لحم الذكور الصغار من الطير كالعصافير ونحوها وعليه أن يبعثه على الطيران من حين إلى آخر .

ثم يؤخذ الزنجبيل والمصطكى والكرأوية و « الدارصيني » والقرنفل ويسدق ويمزج بعضه في بعض ثم يعجن بالعسل والسكر ويجعل حباً صغيراً كالفلقل ويطعم الجارح من هذه الحبوب بعد لفها باللحم وقد يلجأ إلى ماء التين لتلين ذرقه .

وروى « آدم » عن « سوماخس » أن الشم يعالج بغلي المصطكى والقرنفل بالماء ، ثم يسقى منه الجارح ويُنقع فيه اللحم الذي يقدم له ، ويداوم على هذا العلاج حتى يبرأ الجارح ، وعلامة شفاء الجارح من البشم صفاء ذرقه .

٢ - السواد والرياح والقراقر :

وعلاماتها انتفاخ الجارح وقلة أكله ، وعلاجها أن يُطعم الجارح المعجون السابق - وهو المعروف بمعجون الخنزف لأنه يدق في إناء خزفي - ، وأن يقتصر في غذائه على لحم الغزلان والارانب والحطاطيف، وأن تلبس امعاؤه بزيت الفار ، أو تسهل بأكل كبدة الشاة وشرب لبن الاتان .

إذا أصيبت « الكسواهي » بهذه الامراض ؛ أخذت قطعة « نوشادري » نقيه وافت بقليل من الزبد والسكر وأطعمت « الكوهي » فإذا أكلها سقي الماء بعد ساعة ، فلا يلبث أن يتقيأ ، ثم يصح .

٣ - الدود :

وهو إما أن يكون في حوصلة الطائر وإما أن يكون في أمعائه ، وعلامته - إذا كان في حوصلته - أن ينكس الجارح رأسه ويكثر من فتح منسره ، وأن يذبل جسده .

أما إذا كان في أمعائه فعلامته أن ينتف الجارح ريشه ، وأن يتمرغ على الارض ، وأن يقل طعامه ، كما تكون علامته في خروج الدود مع ذرقه . وعلاجه أن يطعم الجارح ورق الخوخ مع اللحم ، وماء اللفت ساخناً مع العسل .

وهناك وسائل أخرى لملاج الدود ذكرها البيازرة منها : أن تأخذ شيئاً من قشر الرمان الحامض اليابس ثم تدقه دقاً ناعماً ثم تذروه على « بشتمازك » الماعز وتطعم منه الجارح ثلاثة أيام فإنه يبرأ .

ويعالج أيضاً بأن تأخذ رمانة حلوة وتعصرها ، ثم تقطع « بشتمازك » الماعز قطعاً صفاراً وتلقيها في عصير الرمان وتطعم منها الجارح . ويعالج أيضاً بأن تأخذ مقداراً من المحص وتقليه قليلاً خفيفاً ، ثم تقشره وتدقه دقاً ناعماً ، وتأخذ ثلاث قطع من اللحم فتدهنها بيسير من العسل ، ثم تذر عليها ذلك المحص ، وتطعمها للجارح ، فإنه يرمي ما في جوفه من الدود .

٤ - البواسير :

وعلامتها ضعف قوى الجارح وتغير برائته ، وفساد هضمه ، وخروج الدم مع ذرقه .

وعلاجها : أن يطعم الجارح من طبيخ بزر الكتان وزيته ، وزيت « البطم » ودهن الجوز و « النارجيل » ، ويدهن بذلك المزيج .

أمراض الرّجلين وعلاجها

كثيراً ما تصاب الجوارح بأمراضٍ في رجليها وأهم هذه الأمراض :

١ - مرض المفاصل :

وعلامته أن تمترى الطائرَ رَعْدَةً^١ وألا يستطيع الوقوف ، وهذا المرض إما أن يكون ناجماً عن صدمة أصابت رجل الجراح ، وعند ذلك يُكتفى في علاجه بأن تُدهن الرجلُ بدهن البايونج و «الموميا» و «اللدن» ، وقد تدعو الحاجة إلى إلصاق شيء على رجله ليثبت عليها الدهن كبراهة خشب العُتّاب ومسحوق الآس والمُحلب وإما أن يكون ناجماً عن أسباب باطنية داخلية؛ فإذا كان المرض حاداً وظهر نتوء على رجلي الجراح وُضِعَ عليها العلق ليمتصّها، وإن لم يكن حاداً اقتصرَ في علاجه على دهن البنفسج وُشِرَبَ ماء العُتّاب والورد ، ولصق الطين الأرمني المعجون بماء الورد، هذا إذا كان الوقتُ صيفاً ، أما إذا كان شتاءً فيُعجَنُ بماء الكرفنس ... ويُسقى دهن الجوز والنارجيل أو الخروع ، ويطعم ذكورَ المصافير مع دهن اللوز المرّ والسُكّر ، ويُنطَلُ^(١) بالحلبة والبايونج والشب .

ويحسن أن يُسقى الزعفران بالماء القراح ، وأن يُلقى عند رجليه صوف مغموس بالخَلْ بعد أن يُطبخ فيه الحرمل .

٢ - النقرس :

وهو كمرض المفاصل من حيث علاماته وعلاجه ، لكنّ العلامات في النقرس أشدّ ، والرّعدة أقوى وأكثر ، ويزاد في العلاج أن يُشرَحَ المكان المُتقرسُ تشريحاً خفيفاً ، وأن يكوّى بالآس ، وأن يُلصقَ عليه الصبرُ والزعفران ممزوجين بدم الدجاج .

(١) يقال : فطل الطبيب رأس العليل إذا صب عليه النطول قليلاً قليلاً ، والنطول ماء تفلّى فيه الأدرية ويصب على العضو المصاب .

٣ - المسار :

وهو مرض تصاب به الجوارح عامة ، ويقلب أن تصاب به الصقور والشواهين خاصة .

وعلاجه يكون بالكبي ثم يُطلى بعد ذلك بملك البطم ^(١) والمرهم ، وتُلف كندرته بلبدة .

وبعض البيـازرة لا يستعملون الكبي ، وإنشأ يلفون الكندرة ^(٢) باللبدة ويبلونها بالماء والملح ، فإذا وقف عليها الجراح و طال وقوفه ؛ سقطت المسامير .

٤ - ورم الكفين :

قد يكون ورم الكفين متسبباً عن التشنجة ؛ وقد يكون سببه انصباب مادة حادة على الكف .

والفرق بين الورمين أن موضع ورم التشنجة بارد ، وموضع ورم المسادة حار .

وقد يحدث الورم من قتل الجراح أصابعه ، فتصاب كفه عند ذلك بالورم .

فإن كان سبب الورم التشنجة فليس له من علاج إلا الجراحة ، واستعمال الأدوية التي تمتص ما في موضع الورم من فضول .

وإذا عزّم البازيار على إجراء الجراحة فعليه أن يلف على موضع الورم خرقة كتان مبلولة وأن يتركها ساعة ثم ينزعها عنه ، ثم يقشر موضع الورم بسكين حادة حتى يتبين له موضعه ، ثم يشرطه طولاً - لا عرضاً - بيمينضغ ، وليحاذر أن يصيب عروقه وأعصابه .

(١) البطم : شجر كشجر الفستق له حب على هيئة عناقيد كالفلفل .

(٢) الكندرة : مجثم البازي يصنع من الخشب ونحوه .

ثم يغسلُ عنسه الدم ويدهنه بدهن الوردِ ، ويضع عليه لوقته صفار البيض النسيء ويشده بخرقة فإنته يبرأ . وإن كان للورم من انصباب المادة الحارة أو قتل الأصابع فإنته يعالج ببطليبه بمزيج من القاقيا^(١) والمُنْغَاث^(٢) والمر^(٣) ودقيق الشعير وبياض البيض .

أمراض المنسر وعلاجها

يتعرض منسر الجراح إلى طائفة من الأمراض أهمها :

١ - غلظ المنسر :

وهو بمثابة الورم بالنسبة إلى الأعضاء الأخر ويحدث غلظ المنسر إما بسبب خارجي كصدمة ونحوها وإما بسبب داخلي .

وفي الحالة الأولى يعالج بدلكيه بالأس واللادين ، أما في الحالة الثانية فيعالج بأن يُدهن بدهن اللوز ، وبيض الحمام ودهن الفستق . وإذا تشقت المنسرة وغدا عليه مثل القشور دهن الخروع الذي عُليَ فيه شيء من قرن الماعز والمعجل .

هذا وقد يولع الجراح بنتف ريشه بمنسره وقد يُغري بنقر مخالبه وإدماها به .

وسبب ذلك إما طول ربط الجراح ووحشته ، وإما رؤيته جارحاً آخر يعمل ذلك ، وإما قوته وقرط نشاطه للصيد . وعلاج هذه الحالة يكون بتقليم منسره للتخفيف من حدته ، ثم يدللك بالدارصيني .

(١) القاقيا : عصارة القرظ وهو الشمر المعروف ، ويتخذ منه رب يداوى به .

(٢) المنغاث : شجر يكون عروقاً غليظة في الأرض ؛ عليها قشر ضارب إلى السواد والحرة ، وله أوراق عريضة ، وزهر أبيض .

(٣) المر : - بضم الميم - دواء يسيل من الشجر المعروف باسمه فيجمد قطعاً كالأظفار ، وهو لميب الرائحة مر الطعم .

وقد يؤخذ لوح رقيق من المِقْوَى ونحوه ويخرق من وسطه ويُدْخَلُ فيه رأسُ الجارح حتى يبلغ جناحيه وذلك ليحول دون منسره ودون ريشه ومخالبه ، ثم يرفع عنه وقت الأكل .

٢ - القلاعُ :

وهو داءٌ يُصيب باطن فم الجارح ، وعلاجه أن يُحَسِّك بالصبر والعَسَل ، ويمكن أن يُشق موضع القلاع بمبضع ، ويُحشى حَبَّة كافور .

أمراض الريش وعلاجها

يتمرّض ريش الجارح لأمراض بالغة الأهمية وأبرزها :

١ - مرض القمل :

وهو مرضٌ شديد الخطر كبير الأثر يصيب ريش الجارح فيفسده ، وربما قضى على الانتفاع بالجارح قضاءً مُبرماً ؛ ولذا قال البيازرة : « إن إحكام معالجة هذا المرض نصفُ البيزرة » .

والقمل يتولّد في الجارح بفعل البازيار نفسه وبتفريطٍ منه ؛ فهو إذا أطعم الجارح اللحم قد يبقى على منسره شيء منه فيميت وهو عالق به . والجارح من عادته أن يضع رأسه تحت جناحيه ليلاً ، فإذا فعل ذلك وفي منسره شظايا اللحم وأثر الدهن أصابه القمل . وإذا لحق القملُ الجارحَ حرّمه طيبَ المنام ، ولذّة الطعام ، ومصّ دمه ، وأذاب جسده وتركه جليداً على عظم وحال دونه ودون الصيد .

وقد لا يرى القمل لصغره ، ولاخفائه في أصول ريش الجارح ، وعند ذلك يُستدلُّ عليه بقلق حركته ، ونفث ريشه ، ووهن قواه ، وُغُور عينيه .

وعلاجه أن يُطلى جسده كله بالزرنينخ ، وأن يُخص بذلك عنقه وأصول ريشه من تحت جناحيه وأصل ذنبه .

وليس هناك علاجٌ أبلغ من الزرنينخ في إبادة قمل الجوارح .

٢ - ضعف الريش والتواؤه :

وهو مَرَضٌ يَغْلِبُ أن تُصاب به الجوارح المَهزولة، وعلاجه: أن يداوَى جهاز الهضم عنده وأن يكثر من الكلس في غذائه .

أمراض الحَرِّ والبرد وعلاجها

١ - مرض الحَرِّ :

كثيراً ما يصاب الجارح بمرض الحر وقد يتسبب ذلك عن إجهاده بالصيد في يوم قانظ .

فإذا أصيب الجارح بمرض الحرارة أريج من الصيد ، وجعل في طعامه شيءٌ من دهن الورد وجعل في شرابه شيء من ماء الورد وُتْرِكَ على هذه الحال مدة يومين ، فإن ذلك يبرئه .

٢ - مرض البَرْد :

وكما يصاب الجارح بمرض الحر فإنه يصاب بمرض البرد أيضاً ، وكثيراً ما يحدث ذلك عند الصيد به في يوم شديد البرد .

فإذا عَرَضَ للجارح مَرَضُ البَرْد عمد سائسه إلى بيته فَكَسَّنَسَه ونظفَه ودفأه بكانون أو نحوه ، ثم يخرج منه النار ، ويُدخل الجارح فيه ، وَيَشُدُّه على كندرَته .

وإذا أصبح بكثُر عليه بالطعام ، وَلَيْسَ كُنْ طائراً صغيراً سُقِيَ في الليل نبيذاً فإنه ينفعه ، ولا سيما إذا كان قد عَرِقَ في يوم الصيد .

٣ - مَرَضُ التَّقْلِيصِ :

ويلحق بأمراض الحَرِّ والبرد مرض التَّقْلِيصِ ، والتَّقْلِيصُ يبس

الرأس بحيث تتمعذر حركته على الجراح أو تتمعسر ، فيبدو وكأن به
تسننجا .

وعلاجه : إدامته تنطيله ^(١) بالشبّة والبنفسج ، أو نقيع الذرة
والأول أحسن ^(٢) .

ب - أمراض الضواري :

ألمنا في الفقرة الأولى من هذا الفصل بطائفة حسنة من أمراض الجوارح ،
وسنقتصر في هذه الفقرة على مرض واحد من أمراض الضواري ألا وهو
الكلب ، وذلك لخطورته من جهة ولكونه لا يقتصر على الكلاب وإنما ينتقل
منها في كثير من الأحيان إلى الإنسان .

وفيما يلي تشخيص لذلك المرض ووصف لعلاجه إذا أصيب به الإنسان :
تتمرض الكلاب لطائفة من الأمراض منها : الذبحة والجرب
والنتقرس غير أن أشد أمراض الكلاب خطراً وأفظعها أثراً « داء
الكلب » .

والكلب - بفتح اللام - مرض يشبه الجنون حيث يستحيل مزاج
الكلب إلى حالة سوداوية سمية ويصاب الكلب بهذا المرض إذا ألم به
حرّاً شديداً في فصل الصيف يحرق أخلاطه فيكلب في فصل الخريف . أو
أصابه برداً شديداً في فصل الشتاء مما يجمد دمه فيكلب في فصل الربيع .
وقد يصاب الكلب بهذا الداء الوبيل إذا أكل من الجيف المتفسخة أو
شرب من المياه الآسنة ، أو ولغ في الدماء العفينة الفاسدة مما يجعل
أخلاطه سوداء عفينة .

(١) يقال : نطل الطبيب رأس العليل إذا صب عليه النطول قليلاً قليلاً ، والنطول : مياه
تغلي فيه الأدوية والحشائش ويصب على العضو المصاب .

(٢) انظر في الأمراض السابقة وعلاجها البيزرة : ٧٩ - ٩٤ والصيد والطرد عند العرب :

ولداء الكلب أعراضٌ لا يخطئها البيزريُّ البصيرُ، وتظهر هذه الأعراض في تغيُّرِ خِلْقَةِ الكلب تبعاً لتغير مزاجه حيث يتورمُ بدَنُه ، ويتغير لونه ، وتحمُرُ عيناه وتعلوهما غشاوةٌ ، وتسترخي أذناه ، ويندلع لسانه ، ويتحدَّبُ ظهره ويعنوجُ صلبه ، ويكثر لعابه ، ويسيل أنفه ، ويُدخِل ذنبه بين رجلَيْه ، وينظر شذراً ، ويمشي خائفاً مدعوراً مغموماً كأنه سكران .

ثم إنه يحوج فلا يأكل ، ويمطش فلا يشربُ ، وربما رأى الماء ففزع منه وعافه ، وربما ارتعش جسمه وارتعد ، وأكثر ارتعاده يكون في وجهه وجلده ، وربما مات خوفاً من الماء .

وإذا لاح له شبحٌ حمل عليه من غير نباحٍ ، وإذا فبح كان نباحه أبج . ومن شأن الكلب الكلاب أن تهرب منه الكلابُ ، فإذا دنا من أحدها على حين غرّة خاف منه وخشع بين يديه ورام الهرب منه .

وإذا عقر الكلبُ المصابُ بهذا الداء الإنسان ظهرت عليه أعراض المرض بعد ثلاثة أيام ، وهي أحلامٌ مزعجةٌ ، وغضبٌ من غير سبب ، ووسواسٌ واختلاطٌ في العقل ، وقساوةٌ في الأطراف ، وهربٌ من الضوء وميلٌ إلى الوحدة ورغبةٌ شديدة في الماء ، لكنّه إذا رآه نفر منه ولم يشربه ، وربما نبج المصابُ بهذا المرض كما تنبج الكلاب .

ومن شكّ في الكلب الذي عقره أهو كلبٌ أم غيرُ كلبٍ ؟ فليأخذ لباب الخبز وليضعه على مكان العضة ثم يرمي به إلى الكلاب فإن أعرضت عنه ولم تأكله كان الكلب مصاباً .

أو فليأخذ لوزاً وليضعه على مكان العضة ، وليرم به اللدجاج ، فإذا عافته ولم تلتقطه كان الكلب كلباً ويعالج الإنسان الذي عقره الكلب الكلب بامتصاص الدم والصيد المتجمعين في مكان العضة بواسطة المهاجم

ونحوها ، ثم يضمّد المكّات بالثوم أو البصل المزوجين بالسمن أو بالحليب مع السمن .

وإذا اشتهى المصاب بالكلب الماء سقي من أنبوب طويلٍ حتى لا تقع عيناه على الماء فينفر منه .

هذا وقد زعمت العرب ان دماء الملوك تشفي من الكلب ، وهو كما لا يخفى زعمٌ فاسدٌ ، وقد ظهر ذلك الزعم في شعرهم ، وجعلوا منه قول زهيرٍ :

وان يقتلوا فيُشْتَفَى بدمائهم
وكانوا قديماً من منايهم القتلُ

على أن الأوجه في تفسير هذا البيت : هو أن قتل الملوك يشفي من النار لأن الإنسان اذا كان له في قومٍ نارٌ لم يشف صدره الا بقتل الأكفاء من أعدائه (١)

(١) انظر في أمراض الضوراري وعلاجها المصايد والطارد : ١٤٨ وما بعدها والبيزرة : ١٤٦ وما بعدها ، والصيد والطرود عند العرب : ١٧٩ وما بعدها .

المصيدات من الوحوش

الحيوانات المصيدة ضربان: وحشٌ يسير على رجليه وطير يطير بجناحيه ، وفي هذا الفصل والفصل الذي يليه تعريفٌ وافٍ بأبرز ما كانت تصيده العرب من كلا الضربين مع بيانٍ لطرق صيده ، فمن أهم المصيدات من الوحوش :

١ - الحمار الوحشي :

الحمار نوعان أهليٌ ووحشيٌ ، والأول حيوانٌ داجنٌ لا يؤكل لحمه ، والثاني وحشيٌ يُصاد ويؤكل^(١) ، وبه ضربٌ المثل ؛ فقليل : « كلُّ الصيد في جوف الفرا » ، و « الفرا » من أسماء حمار الوحش^(٢) .
والحمرُ الوحشيَّةُ عامَّةٌ ، والأخدرية خاصة أطولُ أعماراً من الحمرُ الأهلية ، وهي تزيد عليها مراراً في ذلك^(٣) .

(١) الحيوان : ٤٦/٤ والدميري : ٢٤٥/١

(٢) المخصص : ٤٦/٨ ولسان العرب : مادة (فرا)

(٣) الحيوان : ١٣٩/١

بل إن بعضهم غالى في ذلك مغالاة كبيرة فقالوا : إن الحمار الوحشي يُعمّر مائتي سنة وأكثر ، وكلما بلغ مائة صارت له مَبْنُولَةٌ جديدة وقد شوهد من هذه الحمر ما له ثلاث مَبَاوِلٍ وأربع (١) .

من أسماء حمار الوحش :

وَيُدْعَى الذَّكَرُ مِنْ حَمْرِ الْوَحْشِ «عَيْرًا» وهو يطلق على الأهلي أيضاً وجمعه أعْيَارٌ وعُيُورٌ وعُيُورَةٌ وعَيْرَاتٌ ومَعْيُورَاءٌ ، ويقال له : الفِرَاءُ مقصوراً ومهموزاً وجمعه فِرَاءٌ والمِسْحَلُ والوَأْيُ والمُعْضَرَسُ والنَّوْصُ ، ويقال للحمار الغليظ : الجَابُ والعِلْجُ كما يقال له مُهْصِلٌ وحَزَابِيَةٌ .

ويقال للصلب الشديد من الحمير صنادل وفنادل ومِصْكٌ وكندُرٌ وكنادِرٌ ودِفْرٌ ودِفْرَةٌ والتَّالِبُ .

ويقال للحمار الخفيف الشديد السَّوْقِ لِأَنَّهُ : القِلْوُ والمِقْلَاءُ ، وقيل : إن القِلْوُ هو الجحش الفتي ، ويقال للمسن من حمر الوحش القَلْمُخُ ، ويقال للطويل الجسم الحسن الخَلْقَةُ المِخْرَاقُ .

ومن شأن حمر الوحش أن يعض بعضها بعضاً ، فيوصف الحمار بأنه شَحِيجٌ ومِشْحِجٌ إذا كان مُعْضَضاً ، أما إذا كان عَضُضاً فيقال له : سَحَّاحٌ ومِسْحَاحٌ . ويوصف الحمار الوحشي أيضاً بأنه مِفلِجٌ إذا كان سلالاً للعانة ، وبأنه زامِلٌ إذا كان يظلمع من نشاطه ، وبأنه مُحْنِقٌ إذا كان ضامراً للاحق البطن بالظهر (٢) .

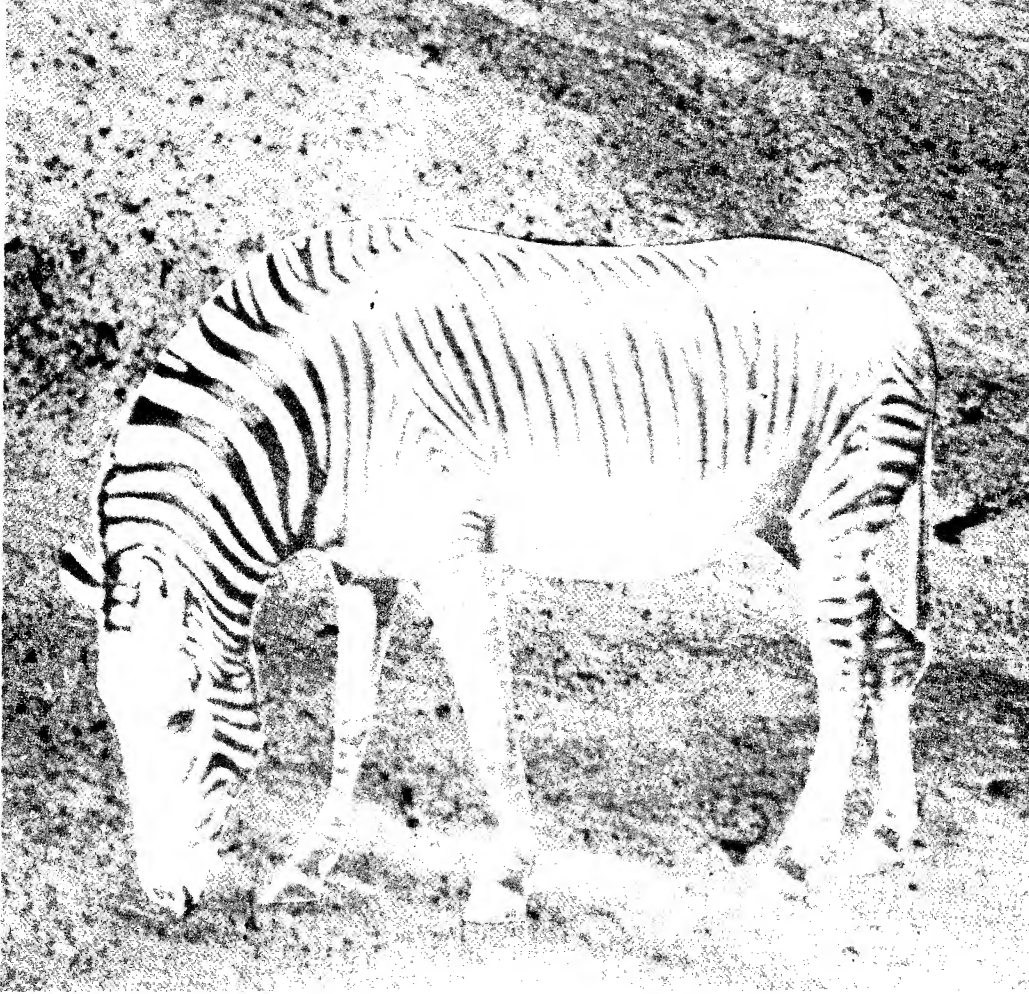
ويقال للأنثى من حمر الوحش : أتان والجمع آتِنٌ ، وأُتْنٌ ، وصعدَةٌ ، وبيدانة نسبةً إلى البید ، وتوصف الأتان بأنها سَمِجِحٌ إذا كانت طويلة الظهر ،

(١) نهاية الأرب : ٣٢٧/٩

ولا يخفى ما في هذا الكلام من مبالغة لا يسيغها العقل .

(٢) المخصص : ٦/٨ ؛

الحمار الوحشي



الحمار الوحشي من أسرع الحيوانات. الصيدقة أهنوراً ، وأشدّها صبراً ،
وأكثرها حذراً ومع ذلك فإن العقاب تصيده أحياناً .

وَنَجُودٌ إِذَا كَانَتْ طَوِيلَةً الْعُنُقُ ، وَشَهِيرٌ إِذَا كَانَتْ عَرِيضَةً ، وَقَمِيدُودٌ إِذَا كَانَتْ طَوِيلَةً ، وَقَنْفُجٌ إِذَا كَانَتْ قَصِيرَةً عَرِيضَةً ، وَخَذُوفٌ إِذَا كَانَتْ سَمِينَةً وَعُلُجُومٌ إِذَا كَانَتْ كَثِيرَةَ اللَّحْمِ ، وَإِبْسَدٌ إِذَا كَانَتْ وَحْشِيَةً أَوْ أَتَى عَلَيْهَا الدَّهْرُ ، وَسَلُوبٌ إِذَا كَانَتْ قَدْ سَلِبَتْ أَوْلَادَهَا ، وَمَرَاغَةٌ إِذَا كَانَتْ لَا تَمْتَنِعُ عَنِ الْفَحْوَلَةِ وَلِذَلِكَ دُعِيَ (جَرِير) ابْنُ الْمُرَاغَةِ (١) .

وَيُقَالُ لَوْلَدِ الْأْتَانِ مِنْ حِينَ تَضَعُهُ أُمُّهُ إِلَى أَنْ يَفْصَلَ مِنَ الرِّضَاعِ : « الْجَحْشُ » وَالْجَمْعُ جِحِشَانٌ ، وَجِحْشَةٌ ، وَجِحَاشٌ ، وَالْأُنْثَى جِحْشَةٌ . فَإِذَا تَلَا أُمُّهُ دُعِيَ « تَلَوًّا » ، فَإِذَا اسْتَكَلَّ الْحَوْلَ فَهُوَ تَوَلَّسَبٌ ، وَيُقَالُ لَوْلَدِ الْحِمَارِ أَيْضًا : الْعَفْوُ ، وَالْعَفْوُ ، وَالْعَفْوُ ، وَالْعَفَا ، وَالْعَفَاءُ ، وَالْجَمْعُ أَعْفَاءٌ ، وَعِفَاءٌ . وَيُقَالُ لَهُ : الْمَهْتَبَرُ وَمِنْ هُنَا قِيلَ لِلْأْتَانِ أُمُّ الْمَهْمَبِرِ وَيُقَالُ لَهُ : الدَّوْبِلُ أَيْضًا ، وَالْمُسْكَنُ وَالْأُنْثَى لِكُنْمَةِ (٢) .

ألوان حمر الوحش :

وحمر الوحش ذوات ألوان متعددة مختلفة فمنها ما كانت فيه خضرة ويُدعى الأخطبُ والأنثى خطباء وقيل : إن الأخطب ما كان له خطٌّ أسود على متنه ، ومنه ما كان في بطنه بياض ويدعى الأحقَبُ أما الأنثى فإذا كان في متنها بياض دعيت حَقِيبَاءَ

ومنه ما يضرب إلى الحمرة ويدعى الأقمَرُ وقيل إن القمَرَةَ بياض فيه كدرة ، ومنه ما كان في لونه غبرةٌ ويدعى الأذخنُ ، والأنثى دَخْنَاءُ . ويوجد من الحمر الوحشية ما تكون شَيْتُهُ مَعْمَدَةً بِياضٍ وَسَوَادٍ فِي الطُّولِ مِنْ أَعْضَائِهِ الْمَسْتَطِيلَةِ ، وَمَسْتَدِيرَةٍ فِيهَا اسْتِدَارٌ مِنْهَا بِأَدَقِّ تَنَاسُبٍ وَأَصَحِّ قِسْمَةٍ .

(١) المخصص : ٤٤/٨ وما بعدها .

(٢) المخصص : ٤٤/٨

ومن الحر «الحمارة المَتَّابِيَّةُ» وهي حيوانات في صورة البردون موشاة الجلد بالبياض والسواد يروق الناظرَ حَسَنُهَا وهناك الحمار الهندي وهو يمتاز من غيره بأن له قرناً واحداً وحافراً واحداً في كل قائمة ، ذلك بأنه لا يوجد بين ذوات القرون حيوان سواه مشقوق الأظافر .

وهناك الحمار الأخدري نسبة إلى أخدر، وهو فرس كان لأزدشير فتوحش واجتمع بعانات فضرب فيها وحماها فجاء أولاده منها أعظم من سائر الحمر وأحسن شكلاً وأطول عمراً (١) .

والحمار الوحشي من أشد الحيوانات المصيدة عَدُوًّا ، وبه تُشَبَّه العرب خيلها وإبلها في السرعة والنَّجَاء .

كيف تصيد العقاب حمار الوحش :

وهو لا يكاد يتعلق به شيء من الضواري والجوارح إلا العقاب (٢) فهي حين لا تجد ما تصيده تنقضُّ على الحمار الوحشي انقضاض للصخرة ثم تقدُّ بالإصبع التي وراء رجلها ما بين عجب (٣) ذنبه إلى مَنْسِجِه (٤) .

من صفات حمار الوحش :

وللعقاب طريقة أخرى في صيد حمار الوحش أشرنا إليها عند الكلام على هذا الجارح (٥) . ويوصف حمار الوحش بشدة الغيرة على أُنْسِه حتى قال قوم: إن في حمر الوحش ما إذا وُلد له ذكر كَدَمَ قَضِيب المولود وخصيته حتى يقطعها وإن الأتان تعمل الحيلة ، فتواري الجحش عن أبيه وتجعله في مكان نامٍ عنه وتكسر رجله ليستقر في ذلك المكان ، ثم تتمهده وترضعه إلى أن

(١) الحيوان : ١٣٩/١ والدميري : ٢٥٤/١ .

(٢) صبح الأعشى : ٤٣/٢ .

(٣) العجب : بالفتح أصل الذنب .

(٤) المنسج كمجلس : ما شخص من فروع الكتفين إلى أصل العنق .

(٥) انظر ص () من هذا الكتاب .

تنجبر رجله ويتمكن من المشي عليها وعند ذلك يبلغ من القوة ما يدفع به عن نفسه شر غيرة أبيه (١) .

وحمر الوحش لا تمش إلا جماعاتٍ ، ولكل جماعة أميرٌ يقودها فترد بوروده ، وتصدر بصدوره ، وتنهض بنهوضه ، وتقع بوقوعه ، وتروح برواحه ، وتغدو بتغدوه (٢) .

وقد أكثر العرب من ضرب الأمثال بالجمار الوحشي ، من ذلك قولهم : « كل الصيد في جوف الفرا » . وقولهم : « العير أوقى ليدمه » يضرب للموصوف بالحذر ، وذلك أنه ليس شيءٌ من الصيد يحذر حذر العير إذا طُلب وطُرد . وقولهم : « الجحش إذا فاتتك الأعيار » يضرب لمن يطلب الامر الكبير فيفوته فيقال له : اطلب دون ذلك .

وقولهم : « إن ذهب عيرٌ فغيرٌ في الرباط » . يضرب لمن يحض على الرضا بالحاضر وترك الغائب .

وقولهم : « عُيَّسِرَ وحده ، وُجِحَّشَ وحده » يضربان لمن يستبد برأيه ويمتزل الناس (٣) .

ولصيدجمار الوحش طرق متعددة منها استعمال الأشرار الحديدية المستورة والمدسوسة تحت التراب في أماكن متفرقة حتى إذا خطا عليها الجمار الوحشي انطبقت على قوائمه وقطعت عصبها فلا يستطيع القيام (٤) .

ومنها الرمي بالنشاب وهو أبلغ طريقة في صيد حمر الوحش (٥) ومنها

(١) انظر المصايد والمطارد : ١٥٧ ونهاية الأرب : ٣٢٧/٩ وصبح الأعشى : ٤٣/٢ والدميري : ٢٥٣/١ .

(٢) انظر الحيوان : ١٨/١ والمخصص : ٤٣/٨ وما بعدها .

(٣) الحيوان : ٢٥٥/٢ - ٢٥٦ .

(٤) انظر المصايد والمطارد : ٤٧ .

(٥) صبح الأعشى : ٤٣/٢ .

إطلاق الكلاب عليه ، وقد أكثر الشعراء الجاهليون من وصف هاتين الطريقتين ، هذا وإن الأسد يصيد حمار الوحش ، فيلقيه على مؤخره ويمسكه بيمينه ويطعن لسبته بمخلب يساره ويفتح فمه فيتلقى دمه وكأنه يتدفق من فوارة حتى إذا شربه كله صار إلى شق بطنه وأكل لحمه (١) .

الببغاء يصف أتاناً وحشية :

ولأبي الفرج الببغاء رسالة ذكر فيها أتاناً مَعَمَّدةً ببياضٍ وسوادٍ جاء فيها: هي أتان ذات إهاب مُسَيَّر^(٢) وُقْرُب^(٣) مُحْبَس^(٤) ، وذنبٍ مُشَجَّر^(٥) ، وَشَوَى^(٦) (٤) مُسَوَّر^(٥) ، ووجه مُزَجَج^(٦) ورأس مُتَوَجَّج^(٦) ، تَكْنُفُهُ أذنان ، كأنها زجان (٧) ، سُبُجِيَّة^(٨) الأنصاف ، بلورية الأطراف ، جامعة شيتتها بالترتيب ، بين زمني الشبيبة والمشيب ، فهي قيد الابصار ، وأمد الأفكار ونهاية الاعتبار ، غني عن الحكسي عطسها ، مُزْرِيَّةٌ بالزهر حلسها ، واحدة جنسها وعالم نفسها ، صنعة المنشئ الحكيم ، وتقدير العزيز العليم .

(١) الحيوان: ٣٨٧/٦ .

(٢) مسير : أي أن شيته مستطيلة تشبه السيور .

(٣) القرب : بضم وبضممتين الخاصرة ، وقيل : هو من لدن الشاكلة إلى راق الثبطن .

(٤) الشوى : الميدان والرجلان .

(٥) مسور : أي محاط بثل السوار من النقش .

(٦) سياق الكلام يدل على أن المراد بالمزجاج هنا : الذي تشبه شيته الزجاج بكسر الزاي

وهي نصال السهام واحدة زج بضم أوله وتشديد ثانيه .

(٧) الزجان : ثنية زج وهو الحديدية التي تركيب أسفل الرماح تركز بها في الأرض .

(٨) السبجية : نسبة إلى السبجة بضم فسكون ، وهي بردة من صوف فيها سواد وبياض .

٢ - البقر الوحشي

البقر نوعان : أهليٌ ووحشيٌ^(١) وتتماز البقرة الوحشية من الأهلية بأن الأولى أضال جسماً^(٢) وأشد قرناً ، ذلك بأن قرون البقرة الوحشية 'مضمّنة' بخلاف قرون سائر الحيوانات فإنها مجوفة^(٣) ، وهي إلى ذلك ذوات شعب^(٤) وهي تتخذ من قرونها سلاحاً لها تصول به على أعدائها من السباع وتمتع به نفسها وأولادها من كلاب القانصين^(٥) وهي ذات عينين نجلاوين سوداوين حتى إنه ليضرب المثل في حسن عيونها وسوادها^(٦) وهي أشبه شيء بالمعز الأهلية^(٧) .

من أسماء بقر الوحش :

وتطلق كلمة (البقرة) على المذكر والمؤنث فهي اسم جنس جمعي وإنما

(١) الحيوان : ١٤٥ ، ٢٣/٦ .

(٢) صبح الأعشى : ٢/٢ .

(٣) الدميري : ١٥٢/١ .

(٤) صبح الأعشى : ٢/٢ .

(٥) الحيوان : ٢٤١/٧ .

(٦) صبح الأعشى : ٢/٢ .

(٧) الدميري : ١٥٢/١ .

دخلت عليها الهاء للوحدة ، فإذا أردت التمييز قلت: هذا بقرة للذكر وهذه بقرة للأنثى كما تقول هذا بطة للذكر وهذه بطة للأنثى^(١)، وذكورها تدعى بالثيران أيضاً^(٢)، وقد أكثر العرب من أسماء بقرة الوحش كثرة تلفت النظر وتشير إلى أهمية هذا الحيوان في حياتهم ومكانه العظيم من عالمهم .

وهذه الأسماء منها ما وضع ابتداءً ومنها ما كان وصفاً ثم غلبت الصفة وصارت إسماً .

فمن أسماء البقرة الوحشية : المهابة ، والجمع مَهَابٌ ، وُسِّمَتْ بذلك لبياضها وإنما المهابة في الأصل البلورة .

والكوكِبُ ، والجمع كواكب . والقنَّاةُ ، والجمع قنَّوات . والنمَّجةُ ، والجمع نِجاج ، ولا يقال لغير البقر من الوحش نِجاج^(٣) .

وتدعى البقرة عَيْناء لسعة عينها وحلجها إذا لم يكن لها قرنان ، وَخَنَسَاءٌ وذلك لما فيها من خَنَسٍ وهو تأخر الأنف في الوجه وقصره .

والمُسْمِرِيَّةُ ، وهي التي لها ولدٌ ماريٌّ براق اللون^(٤) والمُتَوْلِّعةُ وهي مُلَمَّعُ ألوان .

ويدعى الثور الوحشي : الناشِط وهو الذي يخرج من بلد إلى بلد ، والمِخْرَاقُ لانه يخرق الأرض ، والشَّاةُ : وهو الثور من الوحشي خاصة ، والقَرْمَبُ : وهو الثور المسن ، والعَوَّهَتَقُ : وهو الذي لونه واحد إلى السواد، والأبْرَدُ : وهو الذي فيه مُلَمَّعٌ سوادٌ وبياضٌ يَمَانِيَّةٌ ... والقَضْبُ والشَّهْفُ واللِّسَّاحُ : وهو الثور الأبيض^(٥) .

(١) المخصص : ٣٥/٨

(٢) المصايد والمطارد : ١٦١

(٣) المخصص : ٣٧/٨

(٤) المخصص : ٣٩/٨

(٥) المخصص : ٤٠/٨

أما ولد البقرة فيدعى حين تلقيه : الطِّلا والطلو وجمعه أطلاق ، وهو في أول سنةٍ تَبْيِيعٌ وجمعه أتبِيعَة ويقال له : التَّبِيع وجمعه أتباع ثم جَذَعٌ ثم ثنِيٌ ثم رَبَاعٌ ثم سَدَسٌ ثم صَالِغٌ وهو أقصى أسنانه ثم يقال : صَالِغٌ سنةٍ وصَالِغٌ سنتين وهكذا ...

ويقال له إذا نمت أسنانه سَبَبٌ ومَشِبٌ وسَبوبٌ وقيل : إن هذه الأسماء المسمن من ثيران الوحش والأنثى شوبٌ أيضاً ولا يقال لها شوبية^(١) .

ومن أسماء ولد البقرة اليعفور ، والجؤزر ، والماريُّ وهو الأبيض الأملس^(٢) والفرَقَدُ والأنثى فرَقَدَةٌ ؛ والفرزُ وجمعه أفزاز^(٣) .
والعينُ : اسم جامع للبقرة كالعيس وكذلك الحَوْرَ اسم للجمع^(٤) .
واقطيع بقر الوحش أسماء كثيرة عند العرب منها الرَبْرَبُ ، والإجْلُ ، والجمع آجال والصَّوار والصَّوار والجمع صيران ، والسَّرْبُ والجمع أسراب^(٥) .
صفات بقر الوحش :

وبقر الوحش من الحيوانات التي تعيش جماعاتٍ جماعاتٍ ويكون لكل جماعة رأس وأمير وتكون الرئاسة لثور القطيع^(٦) وهي تنقاد له ولا تعصي أمره وتطيعه كطاعة إناث النحل لليعسوب^(٧) .

فإذا شرب شربت وإذا امتنع عن الماء امتنعت ، وكانت العرب تزعم أن

(١) المخصص : ٣٣/٨

(٢) المخصص : ٣٤/٨

(٣) المخصص : ٣٥/٨

(٤) المخصص : ٣٨/٨ ، ٣٩

(٥) المخصص : ٤٢/٨

(٦) الحيوان : ٤١٨/٥

(٧) الحيوان : ١٩/١

الجن هي التي تصد الثيران عن الماء حتى يمتنع البقر عن الشرب لامتناعه فتهلك ، (١) .

وبقر الوحش تتخذ لنفسها بيتاً تستكين فيه وتتقي به حر الصيف وبرد الشتاء وعصف الريح وانهمار المطر ، ويدعى بيتها المكنيس والكناس والجمع أكنيسة وكنس ، والرئبض وجمعه مرابض ، والبهو وهو كناس واسع يتخذ الثور والجمع أهاء (٢) وثيران بقر الوحش إذا ذعرت غنممت ، والغممة : صوتها عند الخوف ، أما صوتها مطلقاً فيدعى بالحوار (٣) .

والبقرة الوحشية شديدة الحذب على ولدها عظيمة الرعاية له كثيرة الحرص عليه ، فإذا أرادت فطامه جعلت ترضعه تارة وتمنعه أخرى حتى يجوع ويطلب العشب فلا تزال تتولاه وتماطله ، وكلما مرت الأيام كان وقت منعها له أطول حتى إذا قوي على أكل العشب فطمته . وهي تمنع ولدها أشد المنع وتقاتل السباع في سبيله أعظم القتال حتى تنجيه أو تهلك دونه (٤) .

وجميع إناث الحيوان أرق صوتاً من ذكورها إلا البقرة فإن الأنثى أفخم صوتاً وأجهر نبرة من الذكر وهي أقوى منه قرناً كذلك (٥) .
ومساكن بقر الوحش في الوهادت وما استوى من الأرض ودنا من ماء وعشب ، وهي ليست مما يسكن الجبال ، ولذا عيب على محمد بن عبد الملك

(١) الحيوان : ١٨/١

(٢) الخوص : ٤٢/٨

(٣) الخوص : ٨

(٤) الحيوان : ١٩٩/٢

(٥) المصايد والمطارد : ١٦٠

الأَيْل



الأَيْل صنف من بقرة
الوحش قريب الشبه بالطباء
إلا أنه يمتاز منهننا بتشمب
قرونه ، وهو حيوان طروب
فإذا أراد الصيادون اقتناصه
شغله بعضهم بالغناء والصفير
ووثب عليه بعضهم الآخر
من خلفه .

أَيْل صغير سينمو قرناه كلما
ازداد عمراً حتى يفقدوان كشجرتين
فوق رأسه .



الزيات وصفه الثور الوحشي بأنه يرعى قلال الجبال مع أن ذلك ليس من شأنه (١) .

وبقر الوحش تشرب الماء في الصيف إذا وجدته أما إذا فقدته وعدمته فإنها تصبر عنه وتكتفي باستنشاق الريح (٢) وهي تعاف الماء الكدر ولا تشرب إلا ما صفا وراق (٣) .

ومن طبيعة ثيران الوحش شدة الشَّبَقِ ، وفرطُ الشهوة ، لذا فإن الأنثى تهرب من الذكر إذا حملت خوفاً من عبثها وقتلت الحمل (٤) .

ومن خصال البقرة الوحشية أنها تختال في مشيتها وتخبخر في سيرها (٥) . أما الثور فإنه يوصف بالكبر والخيلاء في حال تشريقه وفي حال مشيه في الرياض غب ديمة (٦) .

والبقرة الوحشية من جليل الصيد عند العرب (٧) وهي مما يُصَاد بالطرد على الخيل . ويقال : إن أول من طردها ربعة بن نزار بن معد بن عدنان ، فإنه أول من ركب الخيل على قول ، ولما ركبها رأى بقرة وحشية فطردها فلجأت إلى مكان يستطيع أخذها منه فرق لها وتركها .

وهي تُصَاد بالكلاب أيضاً وقد تُعَمَّن عليها بالعقاب من جوارح الطير (٨) ، وكثيراً ما تُسْتَعْمَل الأشرار الحديدية في صيد بقرة الوحش فتمس في أماكن

(١) المصايد والمطارد : ١٦٢ وصبح الأعشى : ٤٣/٢

(٢) الدميري : ١٥٢/١

(٣) الحيوان : ١٤٢/٥

(٤) نهاية الأرب : ٣٢٢/٩

(٥) الحيوان : ٢١٨/٥

(٦) الحيوان : ١٢٣/٦

(٧) صبح الأعشى : ٤٢/٢

(٨) صبح الأعشى : ٤٢/٢ والمصايد والمطارد : ١٦٠ .

متفرقة تحت التراب حتى إذا خطت عليها البقرة عقلت بأرجلها وانطبقت عليها وانقطع عصبها فلا تقوم (١) .

وقد وصف أحد الكتاب الأندلسيين المتأخرين قطع بقر الوحش في رسالة طردية فقال :

لقد « عن » لنا سرب نعاج يمشين رهناً كمشي العذارى ، ويتشنين زهناً تشنني الشكارى ، كأنما تجلجل بالكافور جلودها ، وتضمخ بالمسك قوائها وخدودها ، وكأنما لبسن الدامقس سرباً واتخذن السندس سروالاً ... فأرسلنا أولى الخيل على أخراها ، وخليناها واياها . فضت مضى السهام ، وهوت هوي السمام (٢) فجالت في أسراها يميناً وشمالاً فكأنما أهدت لأجالها (٣) آجالاً (٤) .

(١) المصايد والمطارد : ٤٧

(٢) السهام بفتح السين : ضرب من الطير دون القطامي في الحلقة واحده سمامة

(٣) الآجال : القطعان مفردة لإجل

(٤) نهاية الأرب : ٣٢٢/٩ ، ٣٢٤

٣ - الأيل واليحمور

الأَيْلُ والأَيْلُ - بضم الهمزة وفتح الياء المشددة وكسرهما^(١) - صنف من أصناف البقر الوحشية^(٢) قريب الشبه من الظباء^(٣) يمتصم بالجبال وقلبيلا ما يحمل السهل ، فإذا فَجَّاهُ الصياد وخاف منه رمى بنفسه من حالق الجبل من غير أن يتضرر بذلك^(٤) ، ولالأَيْلُ قرنان كالظبي إلا أنها مصمتان لا تجويف فيها^(٥) كقرني الثور الوحشي ، وهما حديدان شديدان يعتمدان للذود عن نفسه إذا رامته السباع ، وهو لا تنبت قرونيه إلا بعد أن تمضي له سنتان من عمره ، فإذا نبتا كانا مستقيمين كالوتدين ، وفي السنة الثالثة من عمره يتشعبان ، ولا يزال التشعب في زيادة إلى تمام ست سنين وحينئذ يقدوان كالشجرتين على رأسه ، ثم يُلقِي بعد ذلك قرونيه كل عام مرة .

وليس شيء من الحيوان يلقي قرونيه غير الأيل^(٦) ثم ينبت قرناه وعند ذلك يعرضها للشمس حتى يجفأ ويصلبا .

(١) المحصن : ٣٢/٨

(٢) نهاية الأرب : ٣٢٤/٩

(٣) صبح الأعشى : ٤٤/٢

(٤) المصايد والمطارد : ١٤٣

(٥) الدميري : ١٠٦/١

(٦) الحيوان : ٤٣/٧ ، ١١٧ ، ٢٤٧

وإذا ألقى الأيل قرونه علم أنه 'جرّد' من سلاحه الذي يصل به على أعدائه ويدفع بِشَبَاقِهِ الأداة عن نفسه لذلك فهو يستخفي عن السباع ويمكن في المواضع التي لا تقع عليها العيون حتى ينبت قرنانه (١) وهو يستخفي أيضاً إذا سمن وعاقته البدانة عن الحركة (٢) .

والأيل مشغوف بالحيات مولع بأكلها يبحث عنها في كل مكان ويطلبها في أي موضع فإذا لاذت الحية يجرحها واستكنت فيه أخذ الماء بفمه ونفخه في الجرح فتخرج له ذنبها فيأكلها حتى إذا انتهى إلى رأسها تركه خوفاً من السم ، وربما لسعته الحية فتسيل دموعه إلى 'نقرتين واقعتين تحت محاجر عينيه' فتجمد تلك الدموع وتصير كالشمع ، وتُتخذُ دِرْياقاً لسم الحيات (٣) .

والأيل حيوان صادق الإحساس فهو إذا أكل الحيات اعتراه العطش الشديد فيأتي مواقع الماء ويدور حولها ثم لا يشرب منها على الرغم من شدة ظمئه ، والذي يمنعه من الشرب هو ما يعلمه من أن حَتَفَهُ كَأَنَّ فِي ذَلِكَ ، لأنه إذا شرب جرت السموم مع هذا الماء في بدنه ودخلت مداخل لم يكن ليبلغها الطعام (٤) ويبقى على حاله هذه أربعة أيام ، فإن كان اليوم الخامس وذهبت ثورة السم شرب (٥) .

وقد عرف الشعراء من الأيتل ذلك ، وأفاد بعضهم من هذا المعنى فقال :

هجرتُك لاقلي مَنيّ ولَكِينْ	رأيت بقاء ودك في الصدودِ
كهجر الظامئات الماء لما	تبقنّ المنايا في الورودِ
تذوب نفوسها ظمأً وتخشى	هلاكا ، فهي تنظر من بعيدِ

(١) نهاية الأرب : ٣٢٤/٩ والحيوان : ٤٣/٧ و ١١٧ و ٢٤٧

(٢) انظر الحيوان : ٢٢٧/٤ ونهاية الأرب : ٣٢٤/٩

(٣) انظر نهاية الأرب : ٢٢٤/٩

(٤) نهاية الأرب : ٣٢٤/٩

(٥) انظر الحيوان : ٣٠ ، ٢٩/٧

وكثيراً ما يصاد الأيل فيجد الصيادون رؤوس الأفاعي والحيات ناشبةً
الاسنان في عنقه وجسده ، وذلك أنه حين يهم بأكلها يبادره بعضها بالعض
فيأكل ما تدلّس منها وتبقى رؤوسها معلقة به (١) .

وإذا لدغت الأيل حيةً تداوى من لدغتها بأكل « السراطين » لذلك ظن
الناس أن « السراطين » تبرئ اللديغ من بني الانسان (٢) .

ويزعم الصيادون أن بين الأيل والسمك صداقة ؛ فكلّهما يأنس بالآخر
ويرتاح لرؤيته .

وصيادو الأسماك يعرفون ذلك ويفيدون منه في صيدهم ، فهم يتخذون
من جلد الأيل لباساً لهم ويقفون على الشواطئ فتخرج لهم الأسماك فيصيّدون
منها ما يشاؤون (٣) .

والأيل حيوان طروب يرتاح للصوت الحسن ويُؤخذ بالنعمة الحلوة ، وهو
لا ينام ما دام يسمع ما يطربه ، لذلك فهو يصاد بالغناء والصفير فإذا أراد
الصيادون اقتناصه شغله بعضهم بالتطريب ، وأتاه بعضهم الآخر من خلفه ،
فإذا رأوه مسترخي الأذنين عرفوا مدى تأثره بالغناء ووثبوا عليه وأخذوه ،
أما إذا كانت أذناه لا تزالان مُنتصبتين كفتوا عنه وعرفوا أسمى إلى
اصطياده (٤) .

اليحمور :

واليحمور نوع من الأيل (٥) يشترك معه في 'جل' صفاته له قرنان طويلان

(١) انظر نهاية الأرب : ٣٢٤/٩

(٢) انظر الحيوان : ٢٢٧/٤

(٣) انظر الدميري : ١٠٦/١

(٤) انظر الحيوان : ١٩٣/٤ . ونهاية الأرب : ٣٢٥/٩

(٥) المحصص : ٣٢/٨

كأنها منشاران ينشر بهما الشجر إذا حال دونه ودون شرب الماء ، وقرناه
مصمتان كقرني الأيـل وهو يلقـيها في كل عام أيضاً ، ولونه يضرب إلى
الحمرة (١) وهناك من جعل الأيل واليحمور من أجناس بقر الوحش (٢) .

(١) الدميري : ٤٨/٢

(٢) انظر نهاية الأرب : ٣٢٤/٩ والدميري : ١٥٢/١

٤ - الظبي

أسماء الظبياء :

أكثر العرب من أسماء الظبياء كثرةً بالغةً ، فجعلوا لها أسماءً باعتبار أعمارها وأخرى باعتبار أوصافها وثالثةً باعتبار أولادها ورابعةً باعتبار تذكيرها وتأنيشها . وواحد الظبياء ظبيُّ والأنثى ظبيةٌ وولدها أول ما يولد طلبيُّ وغزال ، فإذا تحرك ومشى فهو رشاً ، فإذا نبت قرناه فهو شادنٍ وخشيف ، فإذا قوي فهو شصّر والأنثى شصرةٌ ، ثم هو جدّاع ثم ثننيُّ ولا يزال ثنياً حتى يموت (١) . وتقول العرب للظبي إذا تراوح عمره بين ستة أشهر وثمانية أشهر وعدا ولحق بالظبياء : (جدّاية) وهو يطلق على الذكر والأنثى .

وتقول له إذا بلغ أشدّ العدوِّ وجعل يقرب قوائمه فيرفمها معاً ويضمها معاً : (بائع) وجمه بُوع وبوّائع (٢) .

ثم إنهم اطلقوا اسم (اليعفور) على الظبي حين يكون خشناً صغيراً لكثرة لصوفه بالتراب والأنثى يعفورة .

(١) انظر المخصص : ٢١/٨ ونهاية الأرب : ٣٣٢/٩

(٢) انظر المخصص : ٢١/٨ وما بعدها

وأطلقوا اسم (العَادَة) على الفتية من الظباء، و (العَنْبَان) و (المكَمَبُ).
على المسن من التيموس، وأطلقوا (العَنْز) على الأنثى و (التيس) على الذكر
وربما سُميت الأنثى (نمجة) أيضاً^(١).

ونظروا إلى الظبية بالنسبة لأولادها فقالوا: ظبية مُشَدِرَة إذا كانت
ذات شادن، و (مُغزِل) إذا كانت ذات غزال و (مُطْفِل) إذا كان
معها أولادها، وقد وصف العرب للظبية، فقالوا: ظبية غيداء وُعَطْبُول
إذا كانت طويلة العنق. وظبية عَوْهَج إذا كانت تامة الخَلْتَق. وظبية عَاطِف
إذا كانت تعطف عنقها عند الربوض وظبية عاقدة إذا كانت تعقد ذنبها أو
ترفع رأسها حذراً^(٢)، و يُدعى قطيع الظباء: إَجْلا وِسْرَباً وِصْدَعَةً^(٣).
وتعرف سنّ الظبي بقرنيه، فيكون لكل عقدة من عقدهما سنة^(٤).

أنواع الظباء:

والظباء أنواع تختلف باختلاف مواضعها وألوانها، فصنف منها يسمى
الآرام، وهي ظباء بيضُ الأجسام، خالصة البياض، وهي أشد الظباء
حُضراً وأكثرها شعماً ولحمًا، ولذا تدعى ضأن الظباء، ومساكنها الرمل
وهي على لونه^(٥).

وصنف يُسمى الأذم؛ وهي ظباء كَحْلُ العيون، بيض البطون ممر
الظهور مُتَلَمعة الأعناق طوال القوائم وهي ظباء الحجاز. ومساكنها الجبال
والشعاب فهي على ألوانها أيضاً^(٦).

(١) انظر المخصص: ٢١/٨ وما بعدها

(٢) انظر المخصص: ٢١/٨ وما بعدها

(٣) انظر المخصص: ٢١/٨ وما بعدها

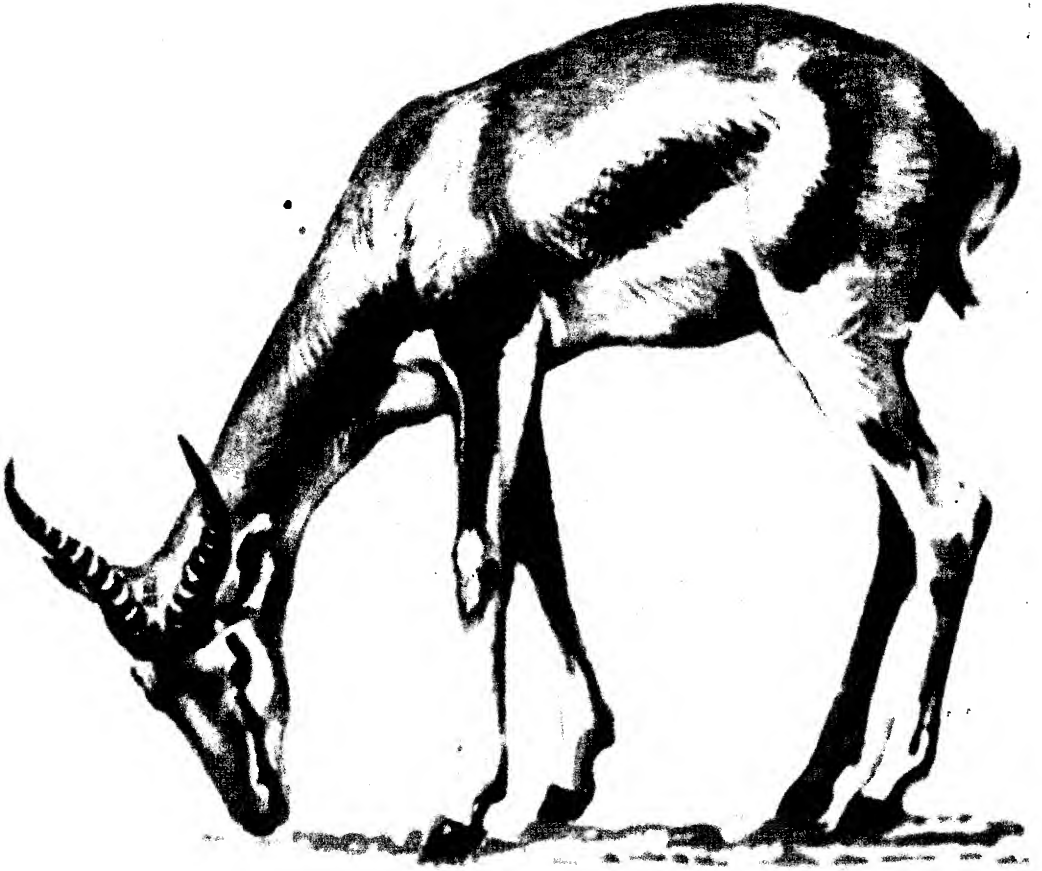
(٤) انظر المخصص: ٢١/٨ وما بعدها

(٥) انظر المخصص: ٢١/١٨ وما بعدها، ونهاية الأرب: ٣٣٢/٩ والمصيد والمطارد:

٢٠١/١ والدميري: ١٠٢/٢

(٦) انظر المخصص: ٢١/٨ وما بعدها، وصبح الأعشى: ٤٤/٢، والدميري: ١٠٤/٢١

الفَزَال



حيوانٌ جميل المنظر ، وأجمل ما فيه عيناه الواسعتان اللتان تغشى بهما
الشعراء فأكثروا .

وحول عينيه حفرة دمعية سوداء تزيدها جمالاً .

وصنف يسمى العُفْر وهي ظباء حمر الأجسام ، أو هي بيضُ تدلوها حمرة ، وهي ألام الظباء طبعاً وأصفرهن أجساماً وأصعبهن عدواً ومساكنهن القيفار والأراضي الصلبة فهن على ألوانها أيضاً .

صفات الظباء وطباعها :

والظباء من أسرع الوحوش عدواً ، وأخفها حركة ووثباً ، والمرب تدعو وثب الظباء نزواً ، والظبي حين يثب يجمع قوائمه ثم ينشرها عند الوقوع ، ويُدعى هذا الوثبُ النثْفَنزُ والنثْفَنزُ .

والظبي حين يُذَعْرُ أو يطرد يعدو عدواً سريعاً حتى إنه ليخف على وجه الأرض فيقال مرُّ الظبي هفو على وجه الأرض ويطفو ويذرو ، وهو عند ذلك يُخلّس قوائمه ويمضي لا يلوي على شيء فيقال تَطَلَّسَ الظبي واستطلق (١) .

وعدوُ الظباء إنما يكون في السهوب المنبسطة ، وليس لها قدرة على العدو والإسراع في الجبال (٢) . والظباء تحيا جماعات جماعات ويقال لجماعة الظباء الأمتعوز إذا كانت بين الثلاثين والأربعين .

والظبية شديدة الحدب على ولدها كثيرة الرعاية له فهي تنقطع عن السَّرْب وتختلّف عنه لتقيم مع ولدها وترعاه فإذا فعلت ذلك قيل : خَدَّاسَتِ الظبية أو الوحشية فهي خاذل وانفردت عن القطيع فهي فارِد .

وهي تستر خشفها خلف ما يواريه من شجر ونحوه فيقال : خَدَّرَتِ الظبية خشفها (٣) والظبية تدعو ولدها بأرخم ما يكون من الصوت وأطيبه ويقال لصوتها هذا البُغَام ويقال لها ظبية بَعُوم (٤) .

(١) المخصص : ٢١/٨ وما بعدها .

(٢) الحيوان : ٣٠٠/٦

(٣) انظر المخصص : ٢١/٨ وما بعدها

(٤) المخصص : ٨٦/٨

والظبية ترفق بولدها أشد الرفق عند فطامه وتتأتى لذلك أحسن التأتى فهي لا تفتطمه عن الحليب دفعة واحدة وإنما تمنعه عنه بعض المنع حين تدرك أنه غدا قادراً على الأكل ثم لا تزال تمنعه تارة وترضعه أخرى وتزيد على الأيام في مدة منعه حتى إذا أصبح في غنى عنها فطمته فطاماً لا رجعة فيه ومنعته الرضاعة كل المنع (١) .

ومن عادة الأطباء أن تحرك أذناها شأنها في ذلك كشأن الكلاب التي تفعل ذلك عند الفرح والتودد ، فيقال عندئذ لأتِ الظباء بأذناها وبصَبَصَتْ .
والظباء تتأذى من الحر ، فإذا طلعت الجوزاء واشتدت حَمَارَةُ القميط لجأت إلى مكانسها وقالت فيها .

وللظبي نومتان في مَكْنِسَيْنِ اثنتين مَكْنِسِ الضحى ومَكْنِسِ العشي ، ويدعى مَكْنِسِ الظبي تَوَلَجًا ويقال : أَدَمَجَ الظبي في كِنَاسِه إذا دخل فيه ، واتلَّجَ الظبي في كِنَاسِه وأتَلَّجَه فيه الحَرُّ (٢) .

وحين يشتد الحر تجعل الظباء رَعِيهَا في الغدوات حيث يكون الجو لا يزال بارداً وفي الليل حيث تغرب الشمس ، وهي تأكل ما تصل إليه من أوراق الشجر وأغصانها وترعى ما تجده في الأرض من كَلَأ فيقال عَطَّت الظبية عَطْوًا إذا تناولت الشجر ، وظباء عَوَاطٍ وَخَضَعَتِ الظبية إذا أمالت رأسها في الرعي وظباء خَوَاضِع (٣) .

والظباء تُخْرِجُ رأسها من كِنَاسِهَا لتتحسس حالة الجو أو لغرض آخر فيقال : أتلعت الظبية بمعنى أخرجت رأسها من كِنَاسِهَا (٤) .

والظبي شديد الخوف كثير الحذر فهو لا يدخل كِنَاسِه إلا مستديراً لتبقى

(١) انظر الحيوان : ١٦١/٣

(٢) انظر المخصص : ٢١/٨ وما بعدها .

(٣) انظر المخصص : ٢٧/٨

(٤) انظر المخصص : ٢١/٨ وما بعدها

عيناه ترصدان ما يخافه على نفسه فإذا رأى أن أحداً أبصره لم يدخل (١) .
وظلف الظبي شديد الأثر فسيما يطأ عليه لذا فإن الصائدين يستدلون على
الظباء بأثار أظلافها في المواضع الرملية وبأبعارها فيما عدا ذلك من الأرض (٢) ،
ومن طباع الظباء أنها إذا فقدت الماء استنشقت النسيم واعتاضت به عن الماء ،
وقيل إن الذي يفعل ذلك منها هو ظباء الدوّ والدّهنتاء والصّممان (٣) .

والظبي إذا طرده طاردٌ لم يُجسِد نفسه في العدو لأول وهلة ، وإنما يرفق
بنفسه ويحتفظ بقواه إلى الوقت الذي تضعف فيه قوى طارده ، فإذا رأى
طالِبَه قد دنا منه جدّ في العدو وزاد في سرعته حتى يفوته (٤) .

والظباء تستطيب الحنظل - على الرغم من شدة مرارته - فكثيراً ما
يُرى الظبي وهو يَخْضُم الحنظل ، وماؤه يسيل من شذقيه - وهي تستطيب
ماء البحر الأجاج فيغمس التيس لحيته فيه ويكثرع منه كما تكثرع الشاة في
الماء العذب (٥) .

والظبي يصادق الحجل من الحيوانات ويأنس به ويرتاح إليه (٦) .

الظباء تدجن وتغدو كالشياه :

والظباء تدجن وتغدو أهلية فتتوالد وتُحلبُ ويستفاد من لبنها ولبّسها
وسمّنتها فقد روى الجاحظ أن الرشيد زار جعفر بن سليمان في البصرة فأحضر
على مائدته ألبان الظباء وزبدها وسلاها ولبّسها فاستطاب الرشيد جميع
طعومها وسأل عن ذلك ، فغمز جعفر بعض الغلمان فأطلق طائفة من الظباء

(١) الحيوان : ٢١٨/٦ والمصايد والمطارد : ٢٠٦ والدميري : ١٠٢/٢

(٢) انظر المصايد والمطارد : ٢٠٥

(٣) نهاية الأرب : ٣٣٢/٩ والحيوان : ٢٨٢/٦

(٤) نهاية الأرب : ٣٣٢/٩

(٥) الحيوان : ١٤٣/٥ ونهاية الأرب : ٣٣٢/٩

(٦) المصايد والمطارد : ٢٠٩

ومعها خشفانها ، وضروها ثقيلة مغطاة بالحيرق فمرت في عرضة الدار تجاه عين الرشيد فلما رآها على تلك الحال وهي مقرّطة مخضبة استخفه الفرح والتعجب حتى قال : ما هذه الألبان ؟ وما هذه السّمْنان واللّبأ والرانب والزبد الذي بين أيدينا ؟ قال : من حَلَبِ هذه الطّباء ؟ وهي في أصلها خشفانٌ صغيرةٌ فكبرت وتلاقحت ، وتلاحقت (١) .

سُكْرُ الطّباء :

والطّباء تسكر إذا شربت المسكرات وهي أجلّ الحيوان سكرأ فقد روى الجاحظ عن النّظام أنه قال : شهدتُ إسكار الطّبي وغيره من الحيوانات فلم أجد في جميع الحيوانات أمّ ملح سكرأ منه ، ولو لم يكن إسكاره ضرباً من الترفّقه لاقتنيت الطّباء وما زلت أسكرها لأرى طرائف ما يكون منها عند السكر (٢)

والطّبي إذا تقدمت به السن وأصابه الهزال ابيض شعره ونبتت لقرونه شعب وجعل ينبج (٣) .

كيف يصاد الطّبي :

ويُصاد الطّبي بالفهد والكلب من الضواري والعقاب من الجوارح . ويصاد أيضاً بالحبائل والنار وذلك بأن تُوقدَ النيرانُ في أماكن وجود الطّباء فإذا رآها الطّبي عشيّت عيناه وذهل لها ودَهَشَ ولا سيما إذا أُضيف إلى النار جرسٌ يجره الصائد فإن ذلك يوهن قواه ولا يبقى به حراكاً البتة (٤) .

والتيس من الطّباء إذا طرده للكلب وعراه الخوف عرض له سلسٌ البول والتقطير ولم يستطع البول مع شدة الحُضْر وقوة التّفنر ووضع القوائم

(١) الحيوان : ١٨٧/٧

(٢) انظر الحيوان : ٢٨٢/٦

(٣) انظر الحيوان : ٣٤٩/١ ، ٢٧٠/٤ ، والمصايد والطارد : ٢٠٦ .

(٤) انظر الحيوان : ٤٨٤/٤ ونهاية الأرب : ٣٣٣/٩

ورفعها مما في أسرع من لمح الطرف فيثقل عدوّه ويقصر خطوّه ويمتريسه
البهْرُ فيلحقه الكلبُ ويأخذه ، أما العنز من الظباء فهي إذا اعتراها البول
من شدة الفزع قذفت به من غير عناء وذلك لسعة المسيل وسهولة المخرج فهي
لذلك أدومٌ من التيس شداً وأصبر منه على المطاولة ، والكلب يعرف ذلك
بفطرته فينحو نحو التيس من السرب ويترك العنز^(١) كما أشرنا إلى ذلك
من قبل .

وكان الأعراب في الجاهلية لا يصيدون الظبي في أول الليل لأنهم يمتقدون
أن الظباء من مطايا الجن^(٢) . والذئب يصيد الظبي ويطلبه^(٣) .

(١) انظر الحيوان : ١١٧/٢ ، ١١٨ ،

(٢) الحيوان : ١٣٩/٣

(٣) الحيوان : ٤٦/٦

٥ - الأرنب

الأرنب حيوان من ذوات الوبر^(١) صغير الجثثة قصير اليدين طويل الرجلين^(٢) ضئيل الكعبين^(٣) كثير الشعر حتى إنه لينبت في بطون شذقيه وتحت رجليه^(٤) .

والأرنب اسم جنس يطلق على الذكر والأنثى^(٥) ويقال لأنثى الأرنب عِكْرِيْشَة ويقال للذكر : الخُنْزَرُ والجمع خَزَان . ويقال للأرض الكثيرة الأرناب : أرض مُؤَرْنَبَة ومُرْنَبَة ومُخِزَة .

ويطلق اسم (الخِرْنِيق) على الفِيتِيَّة من إناث الأرناب وقيل : إنه للذكر والأنثى ويقال بناءً على ذلك : أرض مُخْرَنْقَة كما قيل أرض مُؤَرْنَبَة^(٦) .

ويطلق (الجَحْمَرِيش) على الكبير من الأرناب وقيل : إنه يطلق على المرضع^(٧) . والجاحظ يروي عن العرب أنهم يقولون : هذه أرنب كما يقولون هذه عقاب ولا يذكرون . و (الخِرْنِيق) عنده ولد الأرنب^(٨) .

(١) الحيوان : ٤٨٣/٥	(٥) التخصص : ٧٦/٨
(٢) الحيوان : ٢٧٦/١	(٦) التخصص : ٧٧٠ ، ٧٦/٨
(٣) المصايد والمطارد : ١٤٦	(٧) التخصص : ٧٧/٨
(٤) صبح الأعشى : ٤٥/٢	(٨) الحيوان : ٣٤٩ ، ٣٥٧/٦

خصائص الأرنب ومزاياها :

من أبرز خصائص الأرنب قصر يديها وطول رجلها ، وذلك يمكنها من الصعود إلى الجبال ويسر لها التوقُّل في المرتفعات وهي تعرف ذلك من نفسها فإذا طردها كلب أو نحوه يمت نحو الجبل وجعلت تجري فيه صعداً ولذلك يُحمَدُ في الكلاب قصر اليدين وطول الرجلين لأن الكلب إذا كان كذلك كان جديراً بالألقاب (١) ومن هنا قيل للأرنب 'حذمة' لئذمة ، تسبق الجميع في الأكمة (٢) والأرنب حيوان سريع العدو حتى إن الكلاب لتنبهر أنفاسها من كثرة جريها وراءها ولذلك قيل للأرنب (مقطمة' النسياط) لسرعتها فكأنها تقطع عرقاً في جسم طالبها من شدة عدوها .

ويقال للأرنب حين تقارب خطوها : دَرَمَتِ الأرنب تَدْرِمُ دَرَامَاناً ، أما إذا بلغت أقصى ما تستطيعه من العدو فيقال : إنها دَمَكْتُ تَدْمُكُ 'دموكا' (٣) .

والأرنب سريعة الوثبة حتى إنه ليضرب المثل بسرعة وثبتها فقد ورد في الأثر « ما الدنيا عند الآخرة إلا كنفحة أرنب » أي إن مدة الدنيا بالنسبة إلى الآخرة كوثبة أرنب (٤) .

ومن خصائص الأرنب التي تنفرد بها عن سواها من الحيوانات « التَّوْبِيرُ » وذلك أنها إذا خشيت على نفسها من الصائدين وخافت أن يتبعها الكلب ويقصُّ أثرها جعلت تضم براثنها ولا تطأ على الأرض إلا ببطن كفها حتى لا يرى لها أثر براثن وأصابع ، وبعضها يطاء على زَمَعَاتِهِ - والزَمَعَاتُ : الشعيرات المدلاة في مؤخر رجل الشاة والظبي والأرنب - وهي إنما تفعل

(١) انظر الحيوان : ٣٥٦/٦

(٢) المخصص : ٧٧/٨

(٣) المخصص : ٧٧/٨

(٤) لسان العرب ، والحيوان : ٣٥٢/٦

ذلك في الأرض اللينة فإذا خشيت أن تدركها الكلاب انخرقت إلى ما ارتفع من الأرض وصلب^(١) وهذا المشي الذي أشرنا إليه يدعوه العرب «تَوْبِيرًا». وأنثى الأرنب قليلة الدر حتى إنه ليضرب المثل بقلة حليبها ، ولبن الأرانب ثخين غليظ^(٢).

وفي الأرانب من العجب أنها تحيض ، وأنها تنام مفتوحة العينين وسبب ذلك أن حجاجي عينها لا يلتقيان^(٣).

والأرانب إذا فقدت الماء استغنت عنه باستنشاق الهواء وبكل صداها بما فيه من رطوبة . ويكون ذلك عند أرانب الدو والدنهان والصممان حيث ينذر الماء^(٤).

وقد كانت للعرب الجاهلين طائفة من المعتقدات الفاسدة التي تتعلق بالأرنب من ذلك أنهم كانوا يقولون : « من علّق عليه كعب أرنب لم^(٥) تصبه عين ولا نفس ولا سحر وكانت له واقية ». وأن الجن تهرب من الأرنب لأنها تحيض ولا تقتسل^(٦) وأن الأرنب من مطايا الغيلان وليست من مطايا الجن للسبب الذي أوردناه آنفاً^(٧).

وكان العرب إذا دخل أحدهم قرية خاف من جنبها ومن وباء الحاضرة ، وكان لا يزول خوفه عنه إلا إذا وقف على باب القرية ونهق عشراً كما تنهق الحمير وعلّق عليه كعب أرنب وقد أشار الشعراء الجاهليون إلى هذه المعاني كثيراً^(٨).

(١) انظر الحيوان : ٣٥٣/٦ و ٣٥٧

(٢) انظر الحيوان : ٢٢١/٢ و ٣٥٦/٦

(٣) انظر الحيوان : ٤٠٦/٣ و ٥٢٩ - نهاية الأرب : ٣٣٥/٩

(٤) انظر الحيوان : ٢٨٢/٦

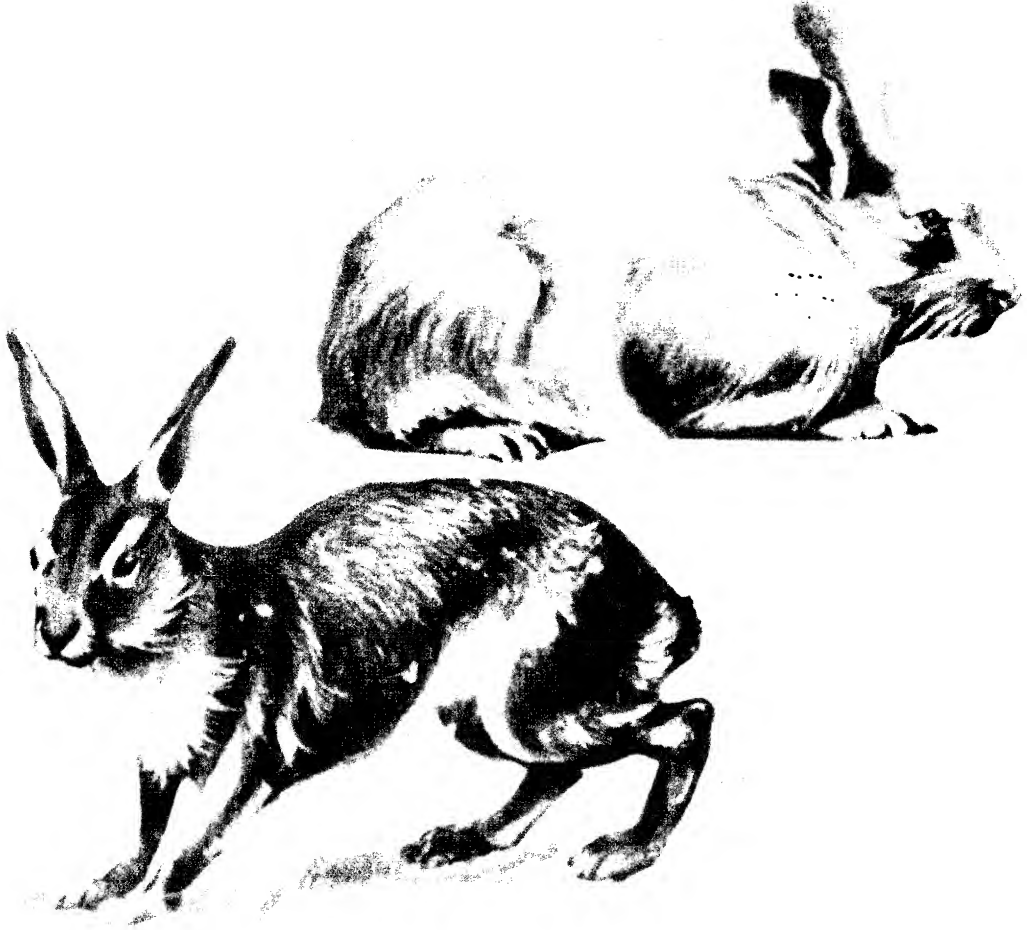
(٥) الحيوان : ٣٥٧/٦

(٦) الحيوان : ٤٦/٦

(٧) الحيوان : ٣٠٩/١

(٨) الحيوان : ٣٥٨/٦

الأرنبُ البريُّ



خلق الله الأرنب قصيرة اليدين طويلة الرجلين مما يساعدها على الصعود إلى المرتفعات ، فإذا طردّها الكلب أو غيره اتجهت نحو الجبل ونجت منه .

وكانت العرب تمنتقد أيضاً أن الأرنب إذا رأت البحر ماتت (١) .

كيف يصاد الأرنب ؟

ويُصاد الأرنب بالضواري والجوارح على حد سواء وأفره الضواري على صيده الكلب وبخاصة ما كان منه قصير اليدين فهو الذي يستطيع اللحاق به إذا نحا نحو الجبل وطفق يصعد فيه ، وللكلب حين الصعود خلف الأرنب في الجبل الشاهق من الرفق وحسن الاهتداء والتأني ما لا يخفى مكانه على الميازرة والكلابين (٢) .

والكلب لا تخفى عليه جحور الأرانب في الأراضي الثلوجة التي تراكم عليها الجليد - كما أشرنا من قبل - فهو لا يزال يتشمم الأرض ويتبصّر حتى يقف على أفواه جحورها ، وهو يستدل عليها بأنفاسها وبخار أجوافها ، ويفيد في اهتدائه إليها من الحرارة التي تنبعث من أجسادها فتذيب الثلج الجامد وتجعله رقيقاً ولو لم يثقب (٣) .

أما الجوارح فأفرها على صيد الأرنب الصقر والبازي والزَّمَجُ والعقاب (٤) . وكثيراً ما يعبث العقاب بالأرنب عند صيدها عبثاً ممزوجاً بالسخر من ضعفها مثيراً للحسرة والألم في نفس الأرنب .

فهو يصيد الأرنب ثم يخلّس سبيلها ويظهر التفاقل عنها فتلوذ بالفرار وتمتن في الهرب حتى إذا ظنت أنها نجت منها وثبت عليها .

وهي لا تزال تفعل ذلك المرة بعد المرة شأنها في ذلك شأن من يريد أن يسخر من صاحبه وأن يخذله وأن يأخذه وهو أقوى ما يكون طمعاً في

(١) المصايد والطارد : ١٤٦

(٢) انظر الحيوان : ١٢٠/٢

(٣) انظر الحيوان : ١١٨/٢

(٤) المصايد والطارد : ٥٧ و ٨٤ و ١٠٣

السلامة وذلك ليتلذذ بتنقيصه وقمذيه (١) .
والصائدون ينتفعون من جلود الأرنب وأوبارها ولحومها .
ولحم الأرنب طيب ولا سيما إذا أُكِلَ مشوياً فهو يجمع لذة الطعم مع
حسن المنظر (٢) .

(١) انظر الحيوان : ٢٨٢/٦
(٢) الحيوان : ٣٥٩/٦

الفصل العاشر

المصيدات من الطير

لم يقتصر العرب على صيد الوحوش وإنما صادوا الطيور أيضاً ، وأولعوا في جاهليتهم بصنف منها ولما شديداً هو النعام ؛ فكثير ترداد هذا الطائر في أشعارهم ، واستفاض وروده في أخبارهم .

ثم إنهم - لما أكرمهم الله بالإسلام ، وحملهم هذا الدين العظيم على جناحيه إلى آفاق جديدة عديدة من الأرض - جعلوا يصيدون ضروباً أخرى من الطير مما يكثر في تلك البلاد .

وفيا يلي تعريف وافٍ بهم ما كانت تصيده العرب من الطير في جاهليتها وإسلامها :

١ - النعام

النعام - ومفرده نعامة - اسم جنس جمعي مثل حمام وحمامة ، ويقال في جمعه : ثلاث نعومات ، وثلاث نعائم إلى العشر ، كما يقال في الحمام : ثلاث

حمامات وثلاث حمام إلى العشر ، فإذا كثرن فهن الحمام (١) .
ويُسمى ذكر النعام الظليم ، ويُسمى ولده الرّأل ، والأنثى رآلة ،
ويُسمى صفاره الحفّان .

وقيل : إنّ أولاد النعام أوّل ما تخرج يقال لها : الحِسْكِل ما دام
عليها الزّغَب ، فإذا أَلقت الزّغَب واكتست الريش فهي الحفّان ، فإذا
ارتفعت عن الحفّان فهنّ الرّثنلات ، والرّثال ، والأرؤل .
والذكر رآل والأنثى رآلة .

فإذا ارتفعت عن الصّغار ، ولم يَبْلُغنّ المسانّ فهن القِلاصُ وواحدهما
قلوص (٢) .

ويقال للنعام : الصمل لصغر رأسه ، ويقال له : الأَسْكُ والمصنوم لأنه
لا أذن له ، ويقال لمَوْضِعِهِ : الأَدْحَى والأفحوص والقُرْموص والجمع
الأداحي والأفاحيص والقراميص ويقال لقم النعام : منقار ، ولصدرها
اللّسان والجوّجُو ، وللأظفار المتقدمة إلى قدم رجلها مناسِم كما للبعير
خف (٣) .

صفات النعام وخصائصه :

والنعامة طائر مركب من صورتين جميل وطائر ولذا يسميه الفرس
« اشتر مرغ » ومعناه الجمال الطائر .

ففيه من البعير المنسِم والوَظِيف (٤) والحزْمَة (٥) والشق السذي في

(١) انظر لسان العرب مادة « قاص » ، والمصايد والمطارذ : ٥٧ و ٨٤ و ١٠٣

(٢) المخصص : ٥٥/٨

(٣) انظر المصايد والمطارذ : ٢١٧ وما بعدها

(٤) الوظيف : مستدق الذراع من الخيل والأبل

(٥) الحزمة : موضع الحزَم من الأنف

أنفه ، وفيه من الطائر الريش والجناحان والذنب والمنقار (١) .
وتزعم العرب أن ذكر النعام سمي ظليماً لأن « النعامة ذهبت تطلب
قرنين فرجعت مقطوعة الأذنين » (٢) . فكأنهم ظلموها حين لم يعطوها سؤلها
وقطعوا فوق ذلك أذنها .

ويقال للنعامة : « صمماء » (٣) بمعنى أنها صغيرة الرأس ملصوقة الأذنين
بالصدغين (٤) « ومن خصائص النعامة أنها مع فخامة عظامها وشدة عدوها
لا مخّ فيها » (٥) .

« لذا فهي إذا انكسرت إحدى رجلها لم تستطع الاستعانة بالأخرى
وإنما تبقى جائمة في مكانها حتى تهلك جوعاً » (٦) .

وهي على الرغم من عظم بيضها تكثر منه كثرة كبيرة فتبيض ثلاثين
بيضة في كل أوان ، لذلك قيل لها أم البيض وأم الثلاثين (٧) .

وهي تضع بيضها سطرراً مستطيلاً بحيث لو مدّ عليه خيط لم تخرج
واحدة منه عن الأخرى ثم تعطي كل بيضة نصيبها من الحُضن لأنها لا
تستطيع ضم جميع البيض تحتها (٨) .

وإذا غادرت النعامة بيضها التماساً للطعام فوجدت بيض نعامة أخرى

(١) انظر الحيوان للجاحظ : ٣٢١/٤ والمعاني الكبير : ٣٣٦

(٢) الحيوان : ٣٣٢/٤

(٣) يقال أماما شديدة متصمعة إذا كانت دقيقة محدة الرأس وسميت صومعة الراهب كذلك
لأنها دقيقة في أعلاها، ويقال للرجل أصم والمرأة صماء إذا كان قصير الأذنين وكانتا ملصوقتين
بالرأس، وبنو أصم قبيلة من العرب منهم الأصمعي.

(٤) الدميري : ٣٥٦/٢

(٥) الحيوان : ٣٢٦/٤

(٦) نهاية الأرب : ٣٤٠/٩

(٧) الدميري : ٣٥٥/٢

(٨) الحيوان : ٣٢٧/٤ والمعاني الكبير : ٣٥٧ وصبح الأعشى : ٧٠/٢

فقد تحضنه وتنسى بيضها وبسبب من ذلك ربما حضنت هذه النعامة بيض تلك وحضنت تلك بيض هذه، وربما ضاع البيض بينهما ولذا وُصفت النعامة بين الطير بالملحق^(١) .

وقيل إنها وُصفت بالملحق لأنها إذا أدر كها القانص دَسَّت رأسها في الرمل وهي تظن في نفسها أنها استخفت منه واستترت عليه^(٢) .

وللنعامة على حلقها الذي وصفوها به تدبيرٌ عجيب في أمر بيضها فهي تقسمه أثلاثاً : ثلثاً تحضنه وثلثاً تتخذ من محه^(٣) غذاء ، وثلثاً تفتحه وتمرضه للهواء حتى يعفن ويتولد من عفونته دود ونحوه فتغذي به فراخها إذا خَرَجَتْ^(٤) .

والظلم يدفع عن فراخه الأذى ويصونها مما يضرُّ بها ومن هنا قال الحجاج لأهل الشام : « إنما أنا لكم كالظلم الرامح عن فراخه ، ينفي عنها المدر ، ويباعد عنها الحجر ويكثفها من المطر ويمحيها من الضباب ويجرسها من الذئاب »^(٥) .

والنعامة لا تشرب الماء فإن رآته شربته عبثاً ولذلك ضرب بها المثل فقيل : أروى من النعامة ، لأنها لا تحتاج إلى الماء ولا تشربه .

وهي حيوان شديد العدو ، وأشد ما يكون عدوها إذا استقبلت الريح فتضع عند ذلك عنقها على ظهرها وتخترق الريح .

والقانصون يعرفون هذا من النعام فيأخذون عليها طريق الريح، والعرب تضرب بسرعة النعام الأمثال فتقول : فلان أشرد من نعامة ، وأعدى من

(١) الحيوان : ٣٢٧/٤ وصبح الأعشى : ٧٠/٢

(٢) نهاية الأرب : ٣٤٠/٩

(٣) المح : صفرة البيضة

(٤) نهاية الأرب : ٣٣٩/٩

(٥) الحيوان : ٣٥٣/٦

نعامة ، وركب فلان جناحي نعامة إذا جدّ في أمره ، وتقول للقوم إذا ظعنوا مُسرّعين خَفَّتْ نعامتهم وشالت نعامتهم ، ويقال للفرس: له ساقا نعامة (١) . والعرب تشبه مراكبها بالنعام إذا وصفتها بالسرعة والنّجاء .

والنعامة تسكن الرمل ولا تؤمّ الجبال بخلاف الأروى فإنه يسكن الجبال ولا يؤمّ السهل ، لذلك يقال لمن جمع بين كلامين متناقضين في حديثه : فلان تكلم فجمع بين الأروى والنعامة ، وهما لا يجتمعان (٢) ، وجاء في الامثال أيضاً قولهم: ما يجمع بين الأروى والنعامة؟ وليس للنعامة حاسة سمع ولكن لها شماً بليغاً فهي تدرك بالشمّ ما تحتاج فيه إلى السمع فربما شمّت رائحة القناص من بعد ، لذلك تضرب العرب المثل بشمها فتقول : فلان أشمّ من النعامة كما يقال : أشم من الذر وقد قيل : « ليس في الدنيا حيوان لا يسمع ولا يشرب إلاّ النعامة » .

وللنعامة قدرة عجيبة على الهضم والاستمساك فهي تبتلع العظم الصلب ، والحجر الصلد ، والحديد المحمّي ، فتذيب ذلك كله وتمعه وتجعله كالماء (٣) .

ومن عجائب النعام أنه يبتلع الجمر فبدلاً من أن يعمل الجمر في جوفه فيحرقه نجده قد أطفأ الجمر ، فلقد روى الجاحظ عن النظم أن شهيد محمد ابن عبدالله يلقي الحجر في النار فإذا عاد كالجمر قذف به قدام النعامة فإذا بها تبتلعه ... والحجر أشدّ احتفاظاً بالحرارة من الجمر وأبطأ انطفاءً (٤) .

والنعامة إذا أكل نبتّ الربيع أحمرّ ظنّبوا به أو اصفرّ فيوصف بأنه خاضب وهو نعت يُعرّف به وإذا أطلق انصرف إليه (٥) .

(١) لسان العرب : ٦١/١٦ والمعاني الكبير : ٣٤١

(٢) انظر لسان العرب : ٦١/١٦ ونهاية الأرب : ٣٤٠/٩ وحياة الحيوان : ٣٥٩/٢

والمصايد والمطارد : ٢٢٢

(٣) انظر المصايد : ٢٢١ ونهاية الأرب : ٢٤٠/٩ والدميري : ٣٨٥/٢

(٤) انظر الحيوان : ٣٢٠/٤

(٥) المخصن : ٥٢/٨

كيف يصاد النعام :

ولصيد النعام طريقتان : إحداهما استعمال النار وذلك بأن توقد أمامه النيران فإذا رآها دَهَشَ وَتَسَمَّرَ في مكانه فبدا وكأنه لا يستطيع حراكاً فيتمكن منه الصائد وهو على هذه الحال (١) .

والثانية بنشر الخرق السود في مرايضها ومراتها حتى إذا أَلْفَتْهَا وَأَنِسَتْ بها لبسها القانص وأخذها حية (٢) .

وحكم لحمه الحِلُّ بالإجماع (٣) إلا أن لحمه بطيء الانهضام مُسَبِّبٌ للتخمة (٤) .

وقد أكثر الكتّاب والشعراء القول في النعام من ذلك قول أحد المتأخرين في رسالة نثرية : «فمن نعام خَضِبَ ظَلِيمها لَمَّا أَكَلَ رَبِيعاً ، واحمرت أطراف ريشها فكأنها سهام أصابت نجيعاً ، طالت أعناقها الناحلة فكأنها خَطِيئَةٌ ، واشتدت قوائمها الحاملة فكأنها مطيئة » ، شاركت الطير في وجود الجناح وفارقتها في كثافة الأشباح ، وأشبهت الوحش في سكنى القفار وشدة النفار ، (٥) .

(١) نهاية الأرب : ٣٤٠/٩

(٢) المصايد والمطارد : ٢٢٣

(٣) الدميري : ٣٥٨/٢

(٤) المصايد والمطارد : ٢٢٢

(٥) صبح الأعشى : ١٧٠/١٤

النعامَة



طائرٌ سريعُ الجري يساعده على ذلك فخذه العاريان وخِفِّاهُ الخشنان
الرسخان . تبيض النعامَة كل يومين بيضة كبيرة جداً ، ويتعاون ذكر
النعامَة مع أنثاه على حضن البيض .

الكرّي



طائر شديد الحذر، يبني عشته في أماكن خفية، ويحمي جماعات جماعات،
ويقوم على حراسة الجماعة واحداً منها بالتناوب .



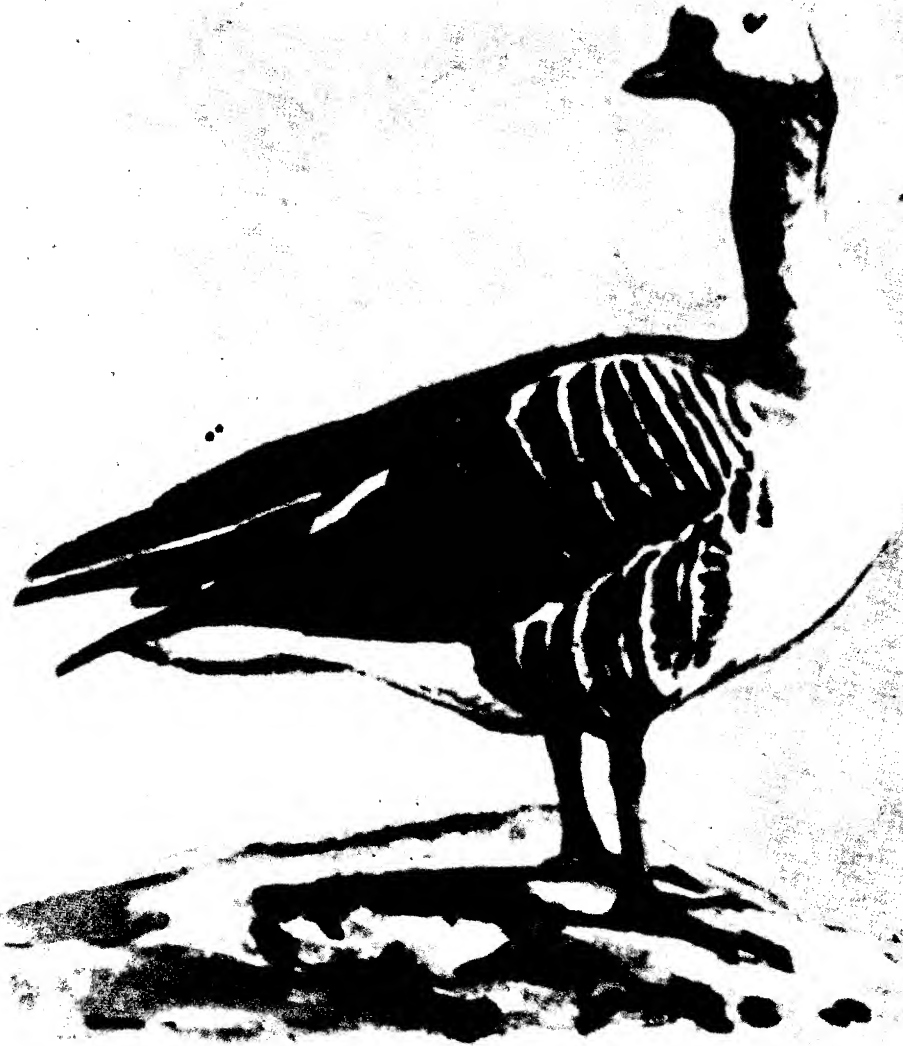
الكرّي



طائر شديد الحذر، يبني عشته في أماكن خفية، ويحيط جماعات جماعات،
ويقوم على حراسة الجماعة واحداً منها بالتناوب .



الإوزة البرية



الإوزة البرية طائر يسمى إليه الصائدون لطيب لحمه ، وهي حيوان يجيد السباحة ، ويمشي بجففة ورشاقة . يبني الإوز البري أعشاشه في الأماكن البعيدة لفرط حذره .

وذكور هذا الطائر شديدة الغيرة على الإناث .

٢ - الكركي

الكركي طائرٌ « من أعظم الطير »^(١) أغبر اللون طويل الساقين ذو منقارٍ عريضٍ غاية في العرض طويلٌ ، غساية في الطول ، بشعٌ غاية في البشاعة^(٢) وهو في حجم الإوزة .

ويجمع الكركي على كراكي ، وذهب بعض علماء الحيوان إلى أنه الغرنوق وقيل : إن الغرنوق هو الأخضر من الكراكي^(٣) .

وهو طائرٌ شديد الجبن كثير المخاوف عظيم الاحتراس لنفسه لذا فهو لا يعيش إلا على شكل جماعات .

والكراكي لشدة خوفها وعظيم احتراسها لا تنام إلا في أبعاد المواضع عن الناس وأشدّها احترازاً من صفار سباع الأرض كالثعلب وابن آوى وغيرها ، وهي مع هذا لا تنام أبداً حتى تقيم على نفسها حارساً من بينها يجرسها بالتناوب فإذا قضى الواحد من الحراس نوبته انضم إلى الفطيس وقام كركي آخر مقامه وهكذا .

(١) انظر الحيوان : ١٤٩/٥

(٢) انظر الحيوان : ١٨٨/٣

(٣) انظر التخصص : ١٦٣/٨ والمصايد والمطارذ : ٢٦٥

ومن شأن الحارس إذا خشي على نفسه النوم أن يرفع إحدى رجليه ليكون ذلك أدعى ليقظته . ثم هو لا يزال يهتف بصوت خفي ما دام حارساً كأنه يشعر الكراكي بيقظته ويسبغ عليها الطثمانينة والأمن^(١) ومن هنا ضرب به المثل فقول : فلان أحرص من الكراكي لأنه يقوم الليل كله على إحدى رجليه^(٢) .

وإذا أحس الكراكي الحارس بعود صوت بصوته الشديد الذي يُسمع من مسافة بعيدة فينبه بذلك أصحابه^(٣) .

والكراكي لشدة خوفها وعظيم حذرهما تعتمد التناصر والتآزر في حياتها فلا تطير الجماعة منها متفرقة وإنما تكون صفاً واحداً يتقدمها رئيس منها ، له عليها السمع والطاعة وتكون الرئاسة فيما بينها بالتناوب أيضاً فإذا انتهت نوبة رئاسة أحدها عاد إلى السرب وحل محله رئيس آخر وهكذا .
والكراكي برّ بأبويه فإذا بلغ عنده الكبر أحدهما أو كلاهما سعى عليه وعاله .

وللكراكي مشاتٍ ترحل إليها في الشتاء إذا استمر البرد، ومصايف تلجأ إليها في الصيف إذا آنست الحر .

فإذا تقدم مجيئها في فصل الشتاء عن مواعده استدلّ بذلك على قوة الشتاء وشدة برده^(٤) .

والكراكي تأتي مصر في فصل الشتاء قادمة من بلاد الترك حيث يدهمها البرد، وقد كانت ملوك مصر تتغالي في طلب الكراكي وصيدها تغالياً شديداً وتنفق في سبيل ذلك الأموال الجمة الوفيرة ، وكان لهم في صيدها شأن^(٥) لا يدانيهم فيه غيرهم ، أما أكلها فحلال بلا نزاع .

(١) انظر الحيوان : ٤٠٦/٣ وصبح الأعشى : ٦٣/٢

(٢) انظر الحيوان : ١٩٤/٧ وعجائب المخلوقات : ٢٨٧/٢

(٣) انظر الحيوان : ١٩٤/٧ وعجائب المخلوقات : ٢٨٧/٢

(٤) نهاية الأرب : ٢٣٥/١٠ وصبح الأعشى : ١٤/٢

(٥) صبح الأعشى : ٦٤/٢

٣ - الإوز

الإوز بكسر الهمزة وفتح الواو واحدته إوزة وجموه على إوزون ،
والمراد به الإوز المعروف بالتركي لا الإوز البلدي .

وهو طائر في قدر الإوز البلدي أبيض اللون ذو منقار يشبه الملعقة وهو
يتبختر في مشيته ويحب العوم .

والسباحة في الإوز فطرة وسجية فإذا خرج فرخه من البيضة سبح لتوه
دون تعليم ، والأنثى منه لا تقبل أن تحضن بيض غيرها وإنما تختص بحضن
بيضها هي ولا تقبل من البيض الا تسعاً أو إحدى عشرة .

وإذا حضنت الأنثى بيضها قام الذكر بحرسها لا يفارقها طرفة عين.
والإوزة تُخرج أفراخها يوم التاسع عشر فإن أبطأ خروج الفراخ امتد إلى
آخر الشهر .

وهو معدود في جملة طير الماء وأكله مباح قطعاً (١) .

(١) انظر صبح الاعشى : ٦٤/٢ والدميري : ٤٥/١ وعبائب المخلوقات ٥٥٢/٢

٤ - الحبارى

الحُبَارَى - بضم الحاء وفتح الباء - طائر «في قدر الذيك كثير الريش» طويل العنق، رمادي اللون، في منقاره شيء من الطول^(١) وتدعى بدجاجة البر^(٢).

والحبارى اسم جنس يطلق على الذكر والأنثى وواحد وجمعه سواء وإن شئت قلت في الجمع حباريات، وهي من أشد الطير طيراناً، وأطولها شوطاً؛ وذلك أنها تصاد في البصرة فيشق عن حواصلها فتوجد فيها الحبة الخضراء من البيطم غضة لم تتغير ولم تفسد، ومنابت أشجار البطم في جبال الثغور الشامية^(٣)، ولذلك قيل في المثل: فلان أطلب من الحبارى^(٤).

ويقال لذكر الحبارى: الحَرَب ويجمع على خراب وأخرُب وخربان^(٥) ويقال لفرخ الحبارى: (الشَّهَار).

وقد وصفت الحبارى بالحق والغفلة فقالوا: «ما في الطيور أشد بلهاً

(١) الديميري : ٢٢٦/١

(٢) المصايد والمطارذ : ٢٦٧

(٣) انظر الحيوان : ٤٥٢/٥ ونهاية الارب : ٢١٥/١٠ .

(٤) الديميري : ٢٢٦/١

(٥) انظر الحيوان : ٤٤٩/٥ وصبح الاعشى : ٦٥/٢

منها لأنها تترك بيضها وتحضن بيض غيرها (١) وقد ضرب بها عثمان بن عفان رضي الله عنه المثل فقال : « كل شيء يحب ولده حتى الحبارى » (٢) .

وسلاح الحبارى الذي تدافع به عن نفسها هو سلاحها فقد رأينا من قبل أن لها خزانة بسين دبرها وأمعائها تحتفظ فيها دائماً بسلاح رقيق لزج فإذا هاجمها الصقر يريد اقتناصها جعلت تعلق وتنزل وتتيامن وتتياسر حتى تجد فرصة فترمي به بذرقها فإذا أخطأته قضى عليها وإذا أصابته غدا كالمكتوف المقيد وعند ذلك تجتمع عليه الحسباريات فينتقن ريشه كله ويكون في ذلك هلاكه (٣) وكذلك قالت العرب : « سلاح الحبارى في سلاحها » وقالت : « فلان أسلح من حبارى » .

ومن شأن الحباريات أن تموت كهدأ إذا تحسّر ريشها وتساقط في موسم سقوطه ثم أبطأ نباته فطارت صويحباتها وبقيت هي عاجزة عن الطيران ومن هنا ضرب بها المثل ف قيل « مات فلان كهد الحبارى » (٤) .

وحكم لحم الحبارى الحل لكنه مما يعافه بعض الناس لأنها تأكل كل شيء حتى الخنافس (٥) .

(١) عجائب المخلوقات : ٢٥٨/٢

(٢) الحيوان : ٤٤٦/٥

(٣) انظر الحيوان : ٤٤٦/٥ وعجائب المخلوقات : ٢٥٨/٢ والمعاني الكبير : ٢٩٤

(٤) انظر الحيوان : ٤٤٥

(٥) الديميري : ٢٢٦/١ والمصايد والمطارذ : ٢٦٧

هـ - القطا

القطا وواحدته قطاة والجمع قَطَوَاتٍ وَقَطِيَّاتٍ^(١) . وهو معدود من الحمام وسمي « قطا » لحكاية صوته لانه يصيح « قطا قطا » ولذلك تصف العرب القطا بالصدق^(٢) والقطا نوعان 'كدري' و'جوني' أما الكدري فغير الألوان 'رقنش' البطون والظهور صفر الخلق قصار الاذنان.

والجوني سود بطون الاجنحة والقوادم، وظهرها أغيرُ أرقط تعلوه صفرة وهي أكبر من الكدري بحيث تعدل كل جونية كدريتين^(٣) .

وإنما سميت الجونية كذلك لأنها لا تفصح بصوتها إذا صوتت وإنما تفرغر بصوت في حلقها . وأما الكدرية فهي فصيحة تنادى باسمها^(٤) .

ومن شأن القطاة ألا تضع بيضها إلا أفراداً وأنها تبيض في القفر على مسافة بعيدة من الماء ، فإذا أرادت الماء خرجت من أفاحيصها أسراباً وجماعات - لا متفرقة - عند طلوع الفجر فتقطع إلى حين طلوع الشمس

(١) لسان العرب : قطور

(٢) لسان العرب : « قطا » وصبح الاعشى : ٧٢/٢

(٣) صبح الاعشى : ٧٢/٢ حياة الحيوان : ٢٥٢/٢

(٤) حياة الحيوان : ٢٥٢/٢ . (الافضل أن تكون التسمية ذات صلة باللون لا بالإفصاح

فالكدرية ذات لون فيه كدرية والجونية ذات لون فيه سواد) .

مسيرة سبع مراحل^(١) فإذا وقعت على الماء شربت نهلاً ثم أقامت عليه مقدار ساعتين أو ثلاث ساعات ثم تعود إلى الماء ثانية فترتوي منه ثم تؤوب إلى أماكنها وفي حواصلها الماء فتسقى منه أولادها ، والجونية تخرج إلى الماء قبل الكدرية ، وتوصف القطاة بالهداية وذلك لأنها تبيض في القفر حيث لا شجر ولا مسدر ثم تعود في الليلة المظلمة بعد ورود الماء إلى أماكنها فإذا صارت حيال أولادها صاحت (قطا قطا) من غير أن تخطيء أو تستدل بعلامة أو إشارة ؛ لذا ضَرَبَتِ العربُ بها المثل فقالت : « أهدَى من القطا » .

والعرب تصف القطا بحسن المشي لتقارب مُخطَاها ، ومشيتها يشبه مشي النساء الخفِيرات ، وقد أكثرت العرب من ضرب الامثال بالقطا فقالت : فلان أنسب من قطة ، وذلك أنها اذا صوتت فإنها تذبذب لانها تصوت باسم نفسها « قطا قطا » وقالوا : لو ترك القطا ليلاً لنام ؛ وسببه أن عمرو ابن ماجه نزل على قوم من مراد فطرقوه ليلاً فأثاروا اللقطة من أماكنها فرأىها امرأته طائرة فتنبهت زوجها فقال : انما هذه اللقطة ، فقالت : لو ترك القطا ليلاً لنام ، ويضرب هذا المثل لمن حَمِلَ على مكروه من غير إرادته .
وحكمها حل الاكل بالإجماع^(٢)

(١) الرحلة من ٢٨ إلى ٣٣ كم ، ومتوسطها ٣٠٠٥ كيلومتراً (انظر الطويق المدائن ص ١٤٤ ، دار النفائس)
(٢) انظر صبح الاعشى : ٧٣/٢ وحياة الحيوان : ٢٥٣/٢



آدابُ الصَّيْدِ عِنْدَ الْعَرَبِ

(قبل الإسلام وَبعده)

كانت لدى العرب في الجاهلية آدابٌ للصَّيدِ يتأدَّبون بها ، وتقاليد يرفعونها ، ثم جاء الإسلام يهديه العظيم فأضاف إلى هذه الآداب ما هو أكرم للإنسان الصائد وأرحم بالحيوان المصيد .

غير أن العرب لم يقتصروا على ما ورثوه عن آباءهم ، وما أخذوه عن نبيهم من آداب الصيد ، وإنما نظروا إلى تقاليد الصيد وآدابه عند الأمم الأخرى - وبخاصة الفرس - وضمَّوه إلى ما عندهم ، فكان لهم من ثمرة ذلك طائفة من الآداب: بعضها جاهليٌّ ، وبعضها إسلاميٌّ وبعضها فارسيٌّ . وكان من أقدم هذه الآداب للكفُّ عن صيد الحيوانات التي تلجأ إليهم بسبب شدة الجوع أو حدة العطش أو قسوة البرد ، فكانت عادت بهم ؛ وليس من المرومة أن يُنَالَ عائذٌ بسوء ، فكثيراً ما كانت تتراكم السُّحُبُ وتجري الأوديةُ ويتتابع السيل ، وتتلجُّ الصحراء حتى يعم ذلك معاقل الأروى (١) ومرابض المها ، ومفاحص القطا ، ومسالك الطير في الهواء

(١) الأروى جمع أروية وهي أنثى الوعل

فتلجأ الحيوانات إلى العمارة ويفدو في مُكَنَّة الناس أن يأخذوها قبضاً^(١).
 وكَم من أناس « أمكنهم أخذُ الحيوانات على هذه الحال فأثروا تركها
 وقالوا: إنما لجأت إلينا وعاذت بجوارنا فنؤمنها ولا نروعها ولا نجور عليها».

ومن فعل ذلك « مجير الجراد » واسمه الحارثة بن حنبل من طيء ، وكان
 الجراد قد وقع في أرضه ، فبدأ بالوقوع حول خبائه ، فخرج أهل الحي
 ليصيده فركب فرسه وأشرع إليهم صدر قناته وقال : ما كنت لأمكنكم
 من جاري ، وقد افتخر قومه بذلك فقال شاعرهم هلال بن معلوية التغلبي :

ومنا الكرميُّ أبو حنبلٍ أجار من الناس رجلاً الجراد
 وزيدٌ لنا ولنا حاتمٌ غياثُ الوري في السنين الشداد^(٢)

وظل هذا الأدب من آداب الصيد مراعى إلى ما بعد الإسلام يأخذ الناس
 أنفسهم به ويمجدون في المحافظة عليه بحمده ومأثرة .

فقد حدث صاحب البيزرة قائلا : أخبرني من وثقت بصدقه عن رجل من
 جِلَّة أهل مَزدان أن الثلج كثر في ضياعه حتى لجأت إليها عانات كثيرة
 فأخذها وكلاؤه ولم يحدثوا فيها حدثاً وأخبروه بخبرها فكتب إليهم أن أقيموا
 لها قضيباً^(٣) وعلفاً إلى أن ينحسر الثلج ، فإذا انحسر فخلوا سبيلها واحموها
 حتى تبلغ مأمنها ففعلوا^(٤) .

ومن ذلك ما فعله رجل من بني عبدالله بن كلاب يقال له همام وقد بات
 بأرض خلاء ليس معه أحد فأوقد ناراً وكان قد صاد صيداً فلما رأى الذئبُ
 النارَ أتاه ، فلما قرُب منه وهو غرثان^(٥) أقبل يتقرش^(٦) ما يرميه
 همام من العظام وهو لا يراه فلما تبينه رمى إليه بقية صيده ولم يرعه
 وأنشأ يقول :

(١) البيزرة : ٣٧ ، ٣٨	(٤) المصدر السابق
(٢) البيزرة : ٣٧	(٥) غرثان : جامع
(٣) القضيي : شعير الدابة	(٦) تقرش الشيء : أخذه أولاً بأول

يا رب ذئبٍ باسلٍ مقدم
 عاود أكل الشاء والأنعام
 في ليلة دانية الإرزام^(٢)
 فبات في أمني وفي ذمامي
 آثرته بالقسم من طمامي
 ولو أتسى غيري من الأقوام
 'منجردٍ'^(١) في الليل والإظلام
 قد ضافني في الليل ذي التمام
 يقرش' ما ألقى من العظام
 مستدفناً من لب الضرام
 ولا يخف' نبلي ولا سهمي
 من اللثام لا من الكرام

إذنٌ للآقي عاجل الحمام

واستضافة الذئب كثيرة في الشعر العربي ، وهي مأثرة من المآثر التي
 يعتد بها الرجال ، فما هو ذا النجاشي الحارثي يستضيف الذئب ويذكر ذلك
 مفتخراً به فيقول :

وماء كلون الفيسل قد عاد آجناً
 وجدت عليه الذئب يعوي كأنه
 فقلت له : يا ذئب هل لك في فقي'
 فقال : هداك الله للرشد إنما
 فلتت بآتيه ولا أستطيعه
 فقلت عليك الحوض إني تركته
 فطرب يستعوي ذئاباً كثيرة
 قليلٌ به الأصوات في بلد محل
 خليعٌ خلا من كل مال ومن أهل
 يواسي فلا من عليك ولا بخل'^(٣)
 دعوت لما لم يأتته سبُعٌ قبلي
 ولاك اسقني إن كان ماؤك ذا فضل
 وفي صفوه فضل القلوص من السجل
 وعدت فكل من هواه على شغل'^(٤)
 وما هو ذا الفرزدق أيضاً ينزل بالفريين فيعروه على ناره ذئب ، وكان

(١) المنجرد : قصير الشعر

(٢) الإرزام : شدة الرعد

(٣) في البيت إقواء حيث ضم قافية هذا البيت مخالفاً بذلك سائر القوافي التي جاءت مجرورة.
 والبيت يصاع لو قيل : بلا من عليك ولا بخل

(٤) حماسة الشجري : ٢٠٧

مع الفرزدق مَسْلُوحَةً فرمى إليه بيدها ثم بما بقي منها وقال مفتخراً
بذلك :

وليلة بتنا بالغريريين ضافتنا
تلمسنا حق أانا ولم يزل
فلو أنه إذ جاءنا كان دانيا
ولكن تنحى جنبه بعد ما دنا
فقاسمته نصفين بيني وبينه
على الزاد موشى الذراعين أطلس
لذنب فطمته أمه يتلس
لألبيسته لو أنه كان يلبس
فكان كقاب القوس أو هو أنفـس
بقية زادي والركائب نعس (١)

وللفرزدق قصيدة أخرى يفخر فيها بمثل هذا الموقف من الذئب فيقول :

وأطلس عسال وما كان صاحباً
فبت أقد الزاد بيني وبينه
وقلت له لما تكشتر ضاحكاً
تمش فإن واثقتني لا تخونني
وأنت امرؤ يا ذئب والغدر كتما
رفعت لناري موهناً فأثاني
على ضوء نار مرة ودخان
وقائم سيفي من يدي بمكان
نكن مثل من يا ذئب يصطحبان
أخيين كانا أرضما بلبان (٢)

ومن آداب الصيد الكريمة عند العرب أن يكون سبيله الطراد والمنازلة
والظفر بعد الطلب والجهد ، لذا يعاف عند الصائدين المتأدبين بآداب الصيد
فعل من عجز عن رمي الطير بسهامه وقصرت حيلته عن اصطيادها
بشباكه فألقى في ملاقطها ومراعيها سماماً مخدرة مهوسة حتى إذا تناولتها
جرت فيها مجرى الدم وقطعتها عن الحراك ، وطال بذلك تعذيبها فيضطرب
ذو الجناح الاضطراب الشديد ، وينقلب ذو القوائم فتندق قوائمه وتترضض
أعظمه فيكون قد قتل بذلك قتلاً .

(١) حماسة الشجری : ٢٠٨

(٢) حماسة الشجری : ٢٠٩

ومثله الذي يسدُّ على الوحش مذاهبها إلى المشارب فيجهدُها العطش حتى تتخاذل أعضاؤها وتهن قواها وتسقط على الأرض من شدة الإعياء فلا تريم عن مواضعها ، ثم تؤخذ وهي على هذه الحال (١) .

ومن آداب الصيد تهادي لحمه وبذله للطاعمين وجمع الصَّحَاب والأتراب على قديره أو شوائه ، وقد كان الصائدون يفتخرون بذلك فامرؤ القيس وأبو النجم العجلي والشمردل اليربوعي ذكروا هذا المعنى في شعرهم وافتخروا به « وكان الأشراف يتهادون القطيعة اليسيرة من لحم الصيد لا قيمة لها » (٢) ويجدون في ذلك متعة ومسرة .

ومن آداب الصيد التي التزمها العرب في الجاهلية وظلوا يلتزمون بها بعد الإسلام التغليس في التماس الطرائد لأنها تكون في وقت الغلس قد هدأت وربضت للنوم فتنسُّتثار وفي عيونها سنة الكرى فلا تقوى على المقاومة (٣) .

ومن هنا كثر في شعر الصيد عند الجاهليين وفي شعر الطرد عند الإسلاميين ومن تسلَّاهم افتتاح القصائد والأراجيز بقولهم : « وقد اغتدي والطيء في كنانها » (٤) وقولهم : « قد اغتدي والليل في جلبابه » (٥) ، وقولهم : « قد اغتدي والطيء في مثواتها » (٦) وما شاكل ذلك من العبارات التي تدل على التذكير .

ومن آداب الصيد أن تختار له الأيام الغائمة التي لا مطر فيها ، وذلك أن الضواري أفره ما تكون في يوم الغيم ، وأن الطرائد أشغل ما تكون في هذا اليوم بطلب المرعى والمداومة عليه ، وفي اشتغال الطريدة فرصة للصياد والضواري ، وقد كانت الملوك تقسم أيامها فتجعل يوم الغيم للصيد (٧) .

(٢) المصايد والمطارد : ٩

(٤) ديوان امرئ القيس : ١٩

(٦) الحيوان : ٣٦/٢

(١) المصايد والمطارد : ١٥

(٣) أنس الملا : ٢٢

(٥) التشبيهات : ٤٩

(٧) أنس الملا : ٢٢

ومن آداب الصيد التي جاء بها الإسلام وأخذ المسلمون أنفسهم بها عدم تعذيب الطريدة والإحسان إليها فقد جاء في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله كتب على نفسه الإحسان في كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القِتْلَةَ وإذا ذبحتم فأحسنوا الذَّبْحَةَ وَابْتِئِدْ أَحَدُكُمْ سَفْرَتَهُ وَابْتِئِزْ ذَبِيحَتَهُ » ومن هنا حرص علماء الصيد القانصين على أن يتخذوا سكينين حادثين للذبح وثالثة للسُلخ وقالوا في تعليل ذلك أنه ربما انكسرت إحدى السكينين قبل إتمام المذكاة فتألم الطريدة وتصير الذبيحة ميتة (١) .

كما حضوا على اتخاذ القوس الجيدة والسهم النافذة والفرس الخفيف السريع (٢) .

ومن آداب الصيد التي تظهر فيها روح الإسلام ألا يركب الصائد فرسه إلا على طهارة ، وأن يوقر من هو أكبر منه سناً أو أعلى رتبة ، وذلك بالألا يطرد صيداً عرض له كبير ، أو ركض خلفه ، وألا يزاحمه إلا إذا أذن له بذلك ، وإذا رمى صائداً آخر غير طريدة بسهم فلا يرمي معه إلا إذا فات سهمه وأخطأ هدفه .

وعلى الصائدين أن يتجنب دوس الزرع وإتلافه (٣) .

ومن آداب الصيد أيضاً أن يتناول القانص قبل ركوبه إلى الصيد ما يصلح له من طعام خفيف وشراب مباح وألا يملأ معدته ليكون أخف حركة وأقدر على الصيد وأنشط له (٤) ، وأن يستصحب معه الملح والإشنان والخلال والسفود لشيء اللحم (٥) .

ومن آداب الصيد أن يتخذ الصائد جواداً خفيفاً سريعاً ليتمكن من اللحاق بالطرائد ، وأن يتقلد سيفاً ماضياً حتى إذا رمى الطريدة وأخطأها

(١) أنس الملا : ١١ (٢) أنس الملا : ١٥

(٣) انظر أنس الملا : ٩ ، ١٠ ، ٢٠

(٤) أنس الملا : ٢١ (٥) أنس الملا : ١٠

فربما رجعت اليه بسرعةٍ وأعجلته عن أن يفوقَ إليها سهماً جديداً فبيادرها عند ذلك بضربةٍ من دبوسه فإذا أخطأها ضربها بسيفه (١) .

ومن آداب صيد طير الماء وتقاليده أن يستصحب البيازرة معهم الطبول حتى اذا ما وقعوا على أسراب الطير أحاطوا بها من كل جانب وتقدم حَمَلَةٌ البزاة وتأخر عنهم حملة الشواهين الكُوهِمِيَّة ثم تُدقُّ الطبول لإثارة طيور الماء فإذا هبَّت للطيْران أُرْسِلت عليها البزاة فتصيد منها ما تصيد وتخطيء منها ما تخطيء وعند ذلك يتقدم حملة الشواهين ويطلقونها على ما أخطأته البزاة فتلحق به وتصيده لأن الشواهين الكوهية أسرع طيراناً وأبعد مدى . فإذا صادت البزاة والشواهين ما يجب أن تصيده أطمِعت وأشبيعت وأُتي بغيرها حتى اذا انتهى الصيد وأشبيعت الجوارح كلُّها وَرَدُوا بها الماء لتشرب وتستحم (٢) .

ومن آداب الصيد التي أخذها العرب عن الفرس امساك الجوارح فقد أشرتا من قبل الى ما ذكره كشاحم من أن ملوك فارس كانت تحمل الجارح على اليسار، وكان الآيين في ذلك أن يأتي البازيار والجارح على يساره فيعارض الملك ورأسُ كلٍّ واحد منها الى كفل الآخر ثم يحوله البازيار - من يساره الى يسرى الملك - ثم أردف يقول وهذا مذهب العرب في امساك الجوارح (٣) .

ومن هذه الآداب أيضاً ما يتعلق بما يُهدى للملوك من الصيد فقد تُعْورَف على أن تُهدى الى الملوك الوحوشُ دون السباع «والآيين (٤) في ذلك ما كانت عليه الحال أيام ملوك فارس» فقد كانوا اذا أُدْخِلت عليهم هذه

(١) أنس الملا : ١٦٠١٥

(٢) الاعتبار : ١٩٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤

(٣) المصايد والطاراد : ٦١

(٤) الآيين : كلمة فارسية معناها الدين والمذهب والطريقة وقد أطلقت في العصر العباسي على ما أخذته العرب عن الفرس من الطرائق والمذاهب والأنظمة فقالوا : آيين الوزارة كذا وآيين الصيد كذا وآيين الحرب كذا ، وهم يقصدون بذلك ما نقلوه عن قدماء الفرس في هذه الأمور .

الأصناف صيداً أو هديةً وعرضت عليهم أن يسنح بها عن يسار الملك الى يمينه... أما الرقيقتي والسباع وما يركب فيسنح بها عن يمينه الى يساره (١).

وقد قسم العرب الأيام الى أيام يحسن فيها الصيد وأخرى يذم فيها ، وجعلوا يتفاءلون في الصيد ببعض الطوالع والنجوم ويتشاءمون ببعضها الآخر ويرجعون في ذلك الى آل نوبخت وغيرهم من أهل فارس ممن لهم علم بالكواكب والطوالع .

وقد تناولتُ جلُّ كتب البيزرة التي وقفنا عليها هذا الأمر تناولاً يسيراً أو كثيراً ، وعقد له صاحب المصايد والمطارد باباً خاصاً جاء فيه : (أن الملوك جعلوا أوقاتاً محمودةً للصيد وأخرى مذمومة وحددوا أياماً خاصةً من الأسبوع يُستحسنُ فيها الصيد وهو يوم السبت دون غيره من الأيام وقاسوا أمر الطالع في الصيد على الحرب لأن 'كلاًّ منها كراً وفرّاً ودرك وفوت' (٢) .

ولأبي سهل اسماعيل بن عليّ النوبختي (٣) طرديةٌ يصف فيها يوم صيدٍ مسعوداً جاء فيها :

وصاحب الطالع فيه الزهرة والمشتري يسعدها بنظرة (٤)

هذه هي جملة الآداب العامة التي تأدب بها الصائدون العرب وأخذوا أنفسهم بها . وهناك آدابٌ خاصةٌ تتعلق بمعاملة بعض الطيور أئمنها بها عند الحديث عن الجوارح والضواري .

(١) سنح الطير أو الظبي : مر من الميامن إلى المياسر .

(٢) المصايد والمطارد : ٢٤٠

(٣) المصايد والمطارد : ٢٣٨

(٤) انظر في ترجمته الأغاني : ١٧٠/١٨ وتاريخ الحكماء للقفطي : ١٦٥ ، ٤٠٩ ، والمصايد والمطارد : ٢٣٨ حيث قال عنه كشاجم : وهذا الرجل معدن من معدن علم النجوم لا يتكلم إلا عن أصل صحيح .

المصايد والمطارد : ٢٣٧ ، ٢٣٨

الفصل الثاني عشر

الصَيْدُ فِي الْعَصْرِ الْحَدِيثِ

لم يفتر ولعُ الإنسان بالصيد في العصر الحديث عما كان عليه في المصور القديمة .

إذ ما فقه هواة هذه الرياضة يبذلون في سبيلها مُنقَسَ المال ، وثمينَ الوقت ، بل ربما بذلوا في سبيلها نفوسهم أيضاً .

ذلك لأن الميدان الأكبر للصيد قد غدا اليوم في أعماق الغابات العذراء المتشرّعة بمجائب الأسرار ، الحافلة بفوادح الأخطار .

على أن الذين يمارسون الصيد في هذا العصر ليسوا جميعاً من هواة وإنما وجد إلى جانبهم فريقان آخران :

أحدهما : التجار الذين رأوا في الصيد تجارة رائجة تدرُّ عليهم الربح الوفير والمال الكثير ، حيث أخذوا على عاتقهم تزويد حدائق الحيوان المنتشرة في أرجاء المعمورة بمجائب المخلوقات ، وسدِّ حاجات حدائق الحيوان والملاهي التي تعرض على النظّارة الحيوانات المدربة وتخلب ألبابهم بألعابها الرائعة ، وتلبية الطلب المتزايد على الفراء الثمينة ، والجلود البديعة ، وأنياب

بعض الحيوانات وعظامها التي تُسْتَعْمَل في صنع الحلبي وأدوات الزينة .
وثانيها : تلك الشعوب البدائية الفقيرة المنتشرة في أجزاء متفرقة من
القارة السوداء .

وكثير من السكان الأصليين في الأمريكتين وأستراليا والملايو والهند
والأسكيمو وشرقي سيبيريا من أخذ المستعمرون أراضيهم الصالحة للسكن
والزراعة ، ودفعوهم إلى استيطان الأدغال الوحشة أو الأراضي المقفرة ؛ مما
حملهم على اعتماد الصيد وسيلة لسد حاجتهم من الغذاء والكساء .

ومن هنا كان الممارسون للصيد في عصرنا الحديث أصنافاً ثلاثة : فهم إما
هواة مترفون ، وإما تجار محترفون ، وإما شعوب متبدية فقيرة .

ثم إن الصيد قد اتجه في هذا العصر نحو اقتناص الوحوش الكاسرة
والحيوانات الضخمة الرهيبة كالفيل ، ووحيد القرن ، والكر كَدَن والدب
الأبيض ، والجاموس الهندي ، والحصان البري ، والنمر ، والأسد ، بينما
كان الصيد في القديم يتجه نحو الطيور والغزلان وحمر الوحش والنعام وغيرها
عما لا يبلغ في قوته وخطورته تلك الحيوانات الآنفة الذكر .

وقد أدّى هذا الاتجاه الجديد الى تجديد طرق الصيد ، وأدواته .

طرق صيد الوحوش :

تختلف طرق صيد الوحوش باختلاف المنطقة التي يجري فيها الصيد من
جهة ، وباختلاف الحيوانات المطرودة من جهة أخرى .

فالمناطق المكشوفة العارية من الأشجار تختلف عن الأخرى المكسوة
بالغابات اللثاء .

والحيوانات الشرسة المفترسة تصاد بطرق غير الطرق التي تصاد بها
الحيوانات التي لا تسبب خطراً للإنسان .

ومع ذلك ففي وسعنا ان نوجز أهم طرق صيد الوحوش فيما يلي :

١ - طريقة التمسك :

وَتُسْتَعْمَدُ هذه الطريقة في المناطق العارية من الأشجار بحيث يستطيع القانص رؤية الطريدة من مسافات بعيدة كما تستطيع الطريدة أن تراه أيضاً فتولّي هاربة منه أو تُقْبِلُ هاجمةً عليه . وعلى الصائد في أمثال هذه المناطق أن يتذرّع بالحذر وأن يتعلّى باليقظة وأن يحسب لكل خطوة حسابها .

وأن يتخذ من كل حفرة أو صخرة ستاراً يُخفيه عن عيون فريسته ، وأن يهتم باتجاه الريح ؛ فلا يقبل على الحيوان إلا من الجهة المخالفة لهبوبها حتى لا يشم الحيوان رائحته فيولّي هارباً منه وتدعى هذه الطريقة بطريقة التمسك .

٣ - طريقة المباغتة :

وتتحتّم هذه الطريقة في المناطق المكسوّة بالأدغال العامرة بباسقات الأشجار ، مما يجعل ساحة الرؤية أمام الصائد ضيقة بالغة الضيق بحيث لا تتجاوز بضعة أمتارٍ مربعةٍ ومما يتيح للطرائد أن تختفي عن عينيه على الرغم من شدّة قربها منه .

وفي هذه الحالة يجب على الصائد أن يتنبّه إلى أمرين أولهما قوّة حاسة الشم عند فريق كبير من الحيوانات ، وقوّة حاسة السمع عند فريق آخر ، وقوّة الحاستين معاً عند "جل" الحيوانات .

ومن هنا وجب على الصائدين أن يستخدموا الإشارات بدلاً من الكلام ، ويُنصَحُ لهم أن يطلوا ثيابهم بالطين أو ببعض عصارات أعشاب الغابة حتى لا تنذر بهم الحيوانات (١) .

(١) بعض الدول ، كالولايات المتحدة ، تحرم تلك الطرق في قوانينها كيلا يصيد الصائدون بعضهم بعضاً . لذلك يجب الحذر الشديد عند اللجوء الى مثل هذه الطرق .

فليس هناك صوتٌ يثير الوحوش كصوت الإنسان ، ولا رائحة تحركها كرائحته .

وعلى الصائد في هذه الحالة أن يكون مرهف الأعصاب ، شديد اليقظة مستمداً في كل لحظة لأن يباغتَ الحيوان أو يباغته الحيوان .

٣ - طريقة اقتفاء الأثر :

وإذا كانت الطريقتان السابقتان قد اقتضتْها طبيعة منطقة الصيد ، فهذه الطريقة تقتضيها طبيعة الحيوان المطرود .

فالأفيال وما شاكلها من الحيوانات الضخمة التي تسير عادةً على شكل قطعان ، تتركُ في الأرض آثاراً أقدامها .

فإذا كانت الأرض رطبة كانت هذه الآثار واضحةً لا تخطئها عينٌ ، أما إذا كانت جافة صلبة فتحتاج إلى خبيرٍ بقصّ الأثر ، ويكثر هؤلاء الخبراء بين سكان الغابات .

لذا كان لا بُدَّ للصائدين للطائرين من الاعتماد على السكان الأصليين إذا لم تتوفر لديهم هذه الخبرة .

ومن شأن الصائدين أن يقتفي آثار هذه الحيوانات حتى يصل إليها وتصبح في مجال رميهِ ، وعند ذلك يسدّد سلاحه إليها .

٤ - طريقة قرع الطبول :

هناك أصناف كثيرة من الحيوان تتسَخِّد من الأماكن الخفية بين الأدغال سكناً لها ونخباً يسترها عن أعين الوحوش الأخرى ، ويخفيها عن الصائدين . ولا يمكن صيدُ هذه الحيوانات إلا إذ أُخْرِجَت من مخابئها وبرزت للناظرين .

ولذا يعمد الصائدون في أمثال هذه الحالات إلى قرع الطبول حيث يستمعون بطائفة من السكان للقيام بهذه المهمة فيملأون أرجاء الغابة بضجيج

طبولهم ، مما يثير هذه الحيوانات ويخرجها من مكانها . وعند ذلك يستتر عنها الصائدون بين الأدغال ويرمونها من حيث لا تدري ولا تحسب .

٥ - طريقة الطرد :

وتقوم هذه الطريقة على استخدام الفيكة المستأنسة بحيث يجند الصائدون طائفة منها ، ويدفعونها إلى السير في الغابة في صفٍ كأنه البنيان المرصوص ، فإذا سمعت الحيوانات المحتبئة في داخل الأدغال صوت أقدامها انطلقت من مخابثها خوفاً منها ، وعند ذلك تبرز للصائدين الكامنين لها في كل اتجاه فيبادرون إلى رمنها .

٦ - طريقة استخدام الأصوات :

وهي طريقة قديمة امتدّى إليها الإنسان مبكراً ، ولكنه حذقها في العصر الحديث وأتقنها بسبب اختراع آلات التسجيل . وتستخدم هذه الطريقة في أوقات تزواج الحيوانات ، وهي أوقاتٌ محددةٌ معروفةٌ لدى الصائدين من كل عام .

وتقوم هذه الطريقة على تقليد أصوات أنثى هذه الحيوانات فإذا سمعتها الذكور هبت من مراقدها واتجهت نحوها .

وقد تقوم على تقليد أصوات الذكور ، فإذا سمعتها الذكور المعتصمة بالغابة هبت مغيظةً مُحنّقةً لتواجه الفزاة الذين اقتحموا حرّمها وراموا إناثها . وعند ذلك يكون الصائدون لها بالمرصاد .

وقد غدت هذه الطريقة متقنةً محكمةً بفضل التسجيلات التي يحتفظ بها الصائدون لأصوات الحيوانات ، وإمكان إطلاقها في الوقت الذي يريدون ، والقوة التي يحتاجون إليها ، بينما كانوا يعتمدون في الماضي على تقليد الإنسان لصوت الحيوان .

٧ - طريقة التربص والختل :

وتقوم هذه الطريقة على أن يكن الصائد في أحد المكامن المصنوعة أو

الطبيعية القريبة من المشارب التي ترد عليها الحيوانات لإرواء ظمئها ، أو
المالح التي تؤمها لتلتمق منها حاجتها من الملح الذي لا غنى لها عنه .
فإذا انهمكت في شرب المساء أو كتمق الملح سدّد إليها الصائد سلاحه
ورماها به .

وهي طريقة لا ينظر إليها الصائدون بعين الرضا وخاصة إذا كانوا من
الحواة ؛ لأنها تقوم على الغدر بالحيوان ، ولا تعطيه أي فرصة للدفاع عن
نفسه .

عتاد الصائد :

لا بُدّ للصائد من أن يوفر لرحلة الصيد ما يحتاج إليه في أي رحلة
أخرى من وسائل الحياة الضرورية التي لا غنى عنها ، وبوصى خاصة بالأشياء
التالية وهي (١) :

١ - الملابس الخاصة بالصيد المصنوعة من قماش خفيف متين مخطط على
وجهه ملائم للصيد ؛ فالقميص - مثلاً - يجب أن يخلو من الجيب العلوي
الأيمن حتى لا يعوق حركة البندقية عند إطلاق النار ، والسروال يجب أن
يكون ضيق الأكم من الأسفل حتى لا يقيّد حركة القدمين . كما يجب ان
يكون حداؤه من النوع الذي يلصح للسير في الأراضي الوعرة .

٢ - بندقيتان : إحداهن حربية ذات سبطانة واحدة والأخرى صيدية
ذات سبطانة مزدوجة مع قطع التبديل الكافية .

٣ - قدر واف من الذخيرة المتنوعة الأحجام لتلائم الطرائد المختلفة .

٤ - مسدس حربي سريع الطلقات للطوارئ مع الطلقات اللازمة له .

٥ - نظارة ميدان للرؤية البعيدة .

(١) الملابس والعتاد المذكور ضروري لصائد الوحوش ، الذي يضرب في الأدغال ، أما
من يخرج في رحلة صيد عادية ، لصيد الطيور مثلاً ، فله أن يختار ما يناسب كل رحلة .

- ٦ - سكين حادة في غمد من الجلد .
- ٧ - مصباح يضاء بالمدخرات الكهربائية .
- ٨ - قربة ماء سهلة الحمل أو نحوها .
- ٩ - معطف مشمّع يمنع من البلل ، ذو لونٍ مائلٍ إلى الخضرة حتى لا يجذب أنظار الحيوانات .
- ١٠ - 'مطهرات' للجروح ، وذلك بالإضافة إلى صيدلية صغيرة تحوي الأدوية الأساسية ، وخاصة ما يتعلق بالاسعافات الأولية .
- ١١ - إبرة مغناطيسية (بوصلة) لتحديد الجهات .
- ١٢ - إحدى وسائل إشعال النار أو أكثر (كبريت أو نحوه) .
- ١٣ - آلة تصوير لالتقاط المناظر النادرة للفريدة .

بعض التوجيهات للصائدين :

- يحرص 'خبّراء' الصيد على أن يُسندوا للصائدين بعض الإرشادات التي هدتهم إليها تجاربهم الطويلة ، ومن أهمها :
- ١ - إذا تعرض الصائد لهجوم مفاجيء من قبل قطيع من الحيوانات ، ولم يجد لنفسه ملاذاً يجتمى به ، فعليه أن يستلقي على الأرض حتى إذا أصبحت الحيوانات قريبة منه قفزَ في وجهها وصاح بأعلى صوته ، و'لوح بيديه في الهواء بشدة' ، فلا تلبث أن تجفل الحيوانات منه ، وتنقسم إلى شطرين يسير كل شطرٍ منها في طريق ، وعند ذلك ينجو الصائد بنفسه .
 - ٢ - إذا فوجيء الصائد بحيوان مفترس فعليه أن يعاجله بطلقات مسدّسه ، على أن يجاذر من استنفاد جميع ما معه من الذخيرة دفعة واحدة من غير وعي ، وأن يحرص أشد الحرص على الطلقتين الأخيرتين .
 - ٣ - إذا نفذ الماء الذي يحمله الصائد ولم يجد ماءً في المكان الذي هو فيه ، فعليه أن يقتني آثار الحيوانات التي تقصّد إلى موارد المياه ، أو أن يحفر في

الأماكن المنخفضة من مجاري الأنهار الصغيرة التي تجف في الصيف ، فإنه لا يلبث أن يجف فيها ما يكفيه من الماء على عمق غير بعيد .

كما أن النباتات الشديدة الخضرة في مكانٍ مقفر دليلٌ على وجود ماءٍ جوفيٍّ قريب .

٤ - إذا ضلَّ الصياد مخيمه ، وجنَّ عليه الليل ، وجبَ عليه أن يلزم مكانه ، وأن يوقد النيران حوله حتى يصبح ؛ ذلك لأن النيران الساطعة تدل عليه رفاقه من جهة ، وتمنع الحيوانات المفترسة من الدنو منه ، من جهةٍ أخرى .

فإذا طلع عليه النهار وجب عليه أن يلقي فوق النيران بعض الحشائش الخضرة لتدخين ؛ فإنَّ الدخان يمكِّنُ الباحثين عنه من الاهتداء إليه .

٥ - ثم إنه لا بُدَّ للصائد من أن يعرف مقاتل الحيوانات ، وهي تختلف أحياناً من حيوانٍ لآخر ، حتى لا يبدد طاقته سدى ، وحتى لا يعرض نفسه لثورة الحيوان الجريح . وأفضل الأماكن التي يجب أن يتوخاها الصائد بشكل عام هي : المخ ، والقلب ، وجهاز التنفُّس .

٦ - وأخيراً فإن نبي الإسلام صلوات الله وسلامه عليه يقول الراكب شيطان والراكبان شيطانان والثلاثة ركب ، ومن هنا وجب على الصائد أن يكون مع غيره فريقاً لا يقل عن ثلاثة لدفع الأخطار والتعاون في مجال الصيد .
اقتناصُ الحيوانات حَيَّةٌ :

يحرص كثيرٌ من الصائدين على اقتناص الحيوانات حية سليمة بغية بيعها لحدائق الحيوانات أو الملامي (السيرك) بأثمان باهظة لما يترتب على إمساكها حيةً من أخطارٍ لا يتعرض لمثلها الصائدون الآخرون .

وقد ابتكر أرباب هذه الحرفة طرقاً مختلفة لصيد الوحوش حية أهمها الحطائر ، والحفائر ، والتخدير :

فالفيلة ونحوها تصاد بالحظائر ، حيث يعمد الصائدون إلى إقامة حظيرة كبيرة دائرية الشكل ، قطرُها نحو مئة وخمسين ذراعاً في مكانٍ مناسب من الغابة .

وتستعمل في بنائها جذوع الأشجار التي تغرس في الأرض وتدعم جميع وسائل التدعيم .

ثم تقام عند بابها حظيرةٌ أخرى على شكل القُمعِ ينتهي طرفُها الضيقُ عند بابِ الحظيرةِ الدائريةِ ، وتكون فتحتها الكبيرةُ في الخارج .

فإذا شاهد الصائدون قطع الفيلة جمعوا له حشداً كبيراً من سكان الغابة ، وساروا وراءه على شكل نصف دائرة ، وجعلوا يضربون خلفه بالطبول ويحوشونه حتى يدخل في الحظيرة القُمعيةِ ، ثم ما يزالون يوجهونه ، ويدفعونه ، حتى يمتاز أفرادهُ بابَ الحظيرةِ الدائريةِ ، وهناك يوصدون وراءه بابها الفولاذي المعلق بجبلٍ أو نحوه .

وعند ذلك يُطلِّثون على الحظيرة من مراقبٍ عاليةٍ ويتخيرون الفيلة الصغيرة الفتية ، ويطلقون النار على ما عداها ثم يضعون أمام بابِ الحظيرة الأقفاس الضخمة ويفتحون بابها فإذا خرج الفيل منها وجد نفسه في القفص . وما يزالون يفتحونها أمام كل فيل على انفراد ويعلقونها وراءه حتى يتم لهم أخذ ما اختاروه منها .

ثم هناك طريقة الحفائر وهي أقل كلفة من الحظائر . وتقوم هذه الطريقة على أن تُحفَّر في الطرق التي تسلكها الحيوانات إلى المشارب أو المالح 'حَفَر' مناسبة ثم تُغطَّى بالأغصان والأعشاب وأوراق الشجر ، فإذا مرَّ فوقها الحيوان سقط فيها وهو لا يدري .

وعند ذلك يوثق بالحبال ويُخرَجُ منها ، ولكنَّ هذه الطريقة كثيراً ما تؤدِّي إلى إصابة الحيوان المصيد بكسر أو تشويهٍ يجعل صيده عبثاً .

ثم تليها فان الطريقتان طريقة ثالثة تقوم على إلقاء الخدرات عند المشارب
والمالح بحيث توضع على أصنافٍ من المطاعِمِ تحببها الحيوانات ، فإذا أكلت
منها أصيبت بالخدَرِ وأخذت حية (*) .

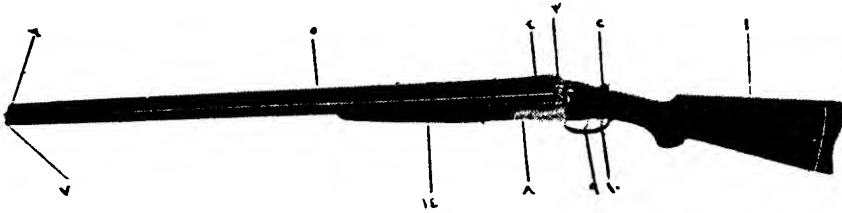
أدوات الصيد في العصر الحديث :

آلات الصيد التي تستعمل في العصر الحديث منها القديم الموجل في القدم
كالقوس والرمح والحربة والمقلاع والشبكة والفتح ، ومنها الجديد كالبنديقية
وما شاكلها .

وعلى الرغم من أن الأدوات القديمة قد أدخل عليها شيء من التطوير
والتحسين فهي ما تزال محتفظه بجوهرها الذي ألمنا به في أماكن سبقت من
هذا الكتاب ؛ لذا رأينا أن نقصر كلامنا في هذا الفصل على البندقية التي
أصبحت اليوم أداة الصيد الأساسية :

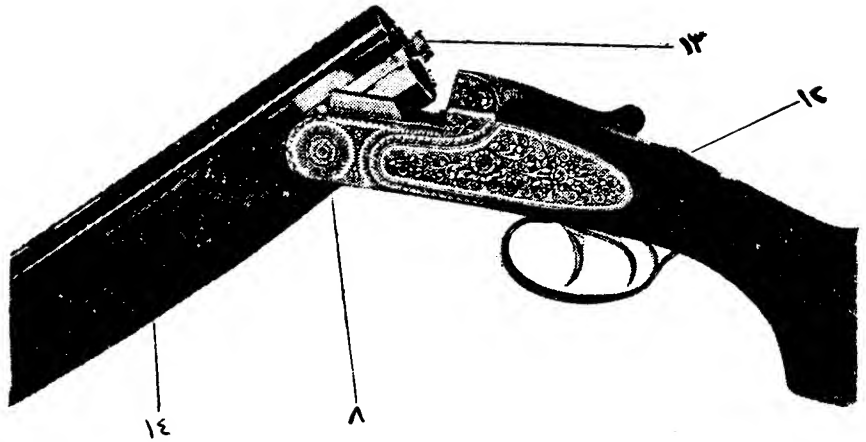
تتألف البندقية بصورة عامة من قسمين متمايزين رئيسيين :

قسم أمامي وهو عبارة عن أنبوب فولاذي ، اصطلاح على تسميته في بعض

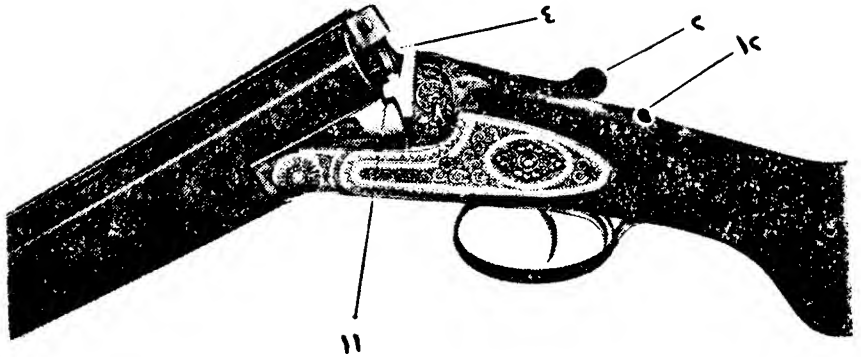


صورة فوتوغرافية لجفت الصيد عيار ١٢ ملم
(يلاحظ أن السبطانة مؤلفة من «ماسورتين» متوازيتين متجانبتين)

(*) انظر كتاب صيد الوحوش من تأليف الدكتور حسين فرج زين الدين .



جفت « بماسورتين » فوق بعضها في حالة الفتح
(لاحظ النازع رقم ١٣)



جفت « بماسورتين » وزناد واحد في حالة الفتح

- | | |
|---|--|
| ٩ - زناد الطلقة اليمنى | ١ - الأخص |
| ١٠ - زناد الطلقة اليسرى | ٢ - مفتاح التثبيت |
| ١١ - فرضة تثبيت القسم الأمامي على القسم الخلفي | ٣ - فرضة التسديد |
| ١٢ - مفتاح الأمان | ٤ - غرفة الانفجار |
| ١٣ - النازع (عند فتح السلاح ينزع الطلقة بسحبها من مكانها) | ٥ - السبطانة أو الماسورة |
| ١٤ - واقية اليد (من الخشب) | ٦ - الشعيرة (القمحة) |
| | ٧ - فوهة السلاح |
| | ٨ - برغي التثبيت (يثبت القسم الأمامي على القسم الخلفي) |

الأقطار العربية « سبطانة » وفي بعضها الآخر « ماسورة » ، يخرج المقذوف من مقدمته .

وقسم خلفي ، ويتألف في معظمه من الخشب ، يسند الرامي مؤخرته الى كتفه . ويتصل القسمان مع بعضهما ببرغي تثبيت فولاذي . وعند التقاء القسمين تقع غرفة الانفجار التي تكون لبّ السلاح ، ثم تأتي تبعاً لذلك طائفة من الأجزاء الثانوية التي سنُسلّمُ بها بقدر الامكان .

١ - الأخص : ويراد به القسم الخشبي من البندقية الذي يسنده الرامي إلى كتفه عند الإطلاق ، ويشكل قسمه العلوي الأمامي الفولاذي مؤخرة غرفة الانفجار ويلاحظ عليها من الداخل ثقبان تخرج من كل منها الإبرة عند الإطلاق . ويتصل بالقسم الأمامي بواسطة برغي تثبيت فولاذي متين (انظر الشكل) .

٢ - السبطانة أو الماسورة : وهي تشكل القسم الأمامي من السلاح وتُصنَعُ عادةً من الفولاذ المتين ، وفي طرفها الملاصق للأخص تقع غرفة الانفجار .

وقد يكون للبندقية ماسورتان اثنتان إما متجاورتان أحدهما بجانب الأخرى ، وإما متراكبتان إحدهما فوق الأخرى ، وعند ذلك تُدعى البندقية « جفتاً » و « الجفت » لفظاً تركيبة معناها الزوج ويختلف جف بندقية الصيد (داخل السبطانة) عن جف البندقية الحربية من حيث أن جف بندقية الصيد أملس من الداخل بينما يكون جف البندقية الحربية حازونياً ليساعد على توجيه الرصاصة وزيادة سرعتها .

٣ - غرفة الانفجار : وهي غرفة فولاذية ذات جدران سميككة صلبة تقع في مؤخرة السبطانة ويشكل القسم الفولاذي في الأخص جدارها الخلفي وفيها تُوضَعُ الطلقة ، وإذا كان السلاح « جفتاً » كانت له غرفتا انفجار .

ويوجد في مؤخرة غرفة الانفجار النازع الذي ينزع الطلقات عند فتح السلاح . ويركب على السباطة من الداخل بينما تكون الإبرة، أو الإبرتان، في مقدمة الأخص (الجدار الخلفي لغرفة الانفجار) ويلاحظ في اسفل السباطانة قطعة خشبية تدعى واقية اليد تحمي اليد من الحرارة الناشئة عن الانفجار .
 ٤ - الزناد : وهو لسان فولاذي مدلىّ اسفل غرفة الانفجار يَضْغَطُ عليه الرامي فينطلق منه المقذوف .

وإذا كان السلاح « جفتاً » كان له زنadan ، زناد أمامي للطلقة اليمنى وزناد خلفي اليسرى ، ونادراً ما يكون له زناد واحد ، عند ضغطه الضغطة الأولى يرمي الطلقة اليمنى وعند الضغطة الثانية يرمي الطلقة اليسرى .
 مفتاح التثبيت : وهو مفتاح متصلٌ بمثبتٍ إذا ضغط عليه نحو اليمين أدى إلى فتح السلاح ، وذلك لوضع الطلقات في غرفة الانفجار أو إخراجها منها .

وفي وسع القارىء أن يلقي نظرة على الشكل (ص ٢٥٠ - ٢٥١) ليزداد تصوراً لأجزاء هذا السلاح .
 خطُّ التسديد : هو خط وهمي بين ثلاث نقاط الأولى : فرضة التسديد الواقعة فوق غرفة الانفجار ، والثانية : الشعيرة (القمحة) وهي النتوء البارز فوق فوهة السباطانة ، والثالثة : الهدف المراد رميه .

الطلقة :

بعد أن ألمنا هذه الإمامة الموجزة بسلاح الصيد سواء أكان بندقية أم «جفتاً» لا بُدَّ لنا من أن نلقي نظرة عجمي على الطلقة التي تُستعمل في هذا السلاح لنقف على أجزائها من جهة ، وطريقة سيرها من جهة أخرى . وسيكون كلامنا على طلقة الجفت ذي الرقم (١٢) لأنه أكثر أدوات الصيد استعمالاً في بلادنا وهي مشابهة تماماً للطلقات المستعملة في معظم أسلحة الصيد مع اختلاف في العيار فقط .

تتألف الطلقة بصورة عامة من أربعة أجزاء هي : الغلاف ، والطعم ،
والحشوة ، والمقذوف .

أما الغلاف : فيتألف في الغالب من جزء معدني في أسفله لا يتجاوز ارتفاعه « سنتيمتراً » واحداً يليه قسم من المِقْوَى - ونادراً ما يكون من الممدن - طولُه خمسة « سنتيمترات » تقريباً ، ووظيفته حماية محتويات الطلقة من بارود وغيره .

الطعم : أو الكبسولة وهو وعاء معدني صغير مملوء بمادة شديدة الانفجار سريعة الاشتعال تنفجر بالطرق والاصطدام . فهي تشتعل بمجرد اصطدام الإبرة بها ، ثم تقوم هي بإشعال البارود .

الحشوة : وهي في المادة كمية من البارود تنفجر لدى اشتعال الطعم فتدفع المقذوف بقوة فيخرج من فوهة الأنبوب باتجاه الهدف .

المقذوف : ويتكوّن عادةً من كرات رصاصية صغيرة تسمى «الخردق» والخردق ذو أحجام متعددة؛ فمنه الصغير ومنه الكبير ومنه ما هو بين ذلك . ويتناسب حجم الخردق عكساً مع رقمه فكلما كبر الرقم صغرت الخردقة ، ومن هنا كانت الخردقة ذات الرقم عشرة أصغر من ذات الرقم خمسة ، وهذه أصغر من ذات الرقم ثلاثة وهكذا ... ويُختار حجم الخردق حسب صغر الطريدة وكبرها وقوتها وضعفها .

سير الحركة في السلاح :

يبدأ الرامي بالضغط على الزناد فتتحرك بسبب ذلك الإبرة ، وتصدم الطعم بقوة ، فيشتعل ، ثم يشمل هو بدوره البارود . فإذا اشتعل البارود ضغط على الخردق بعنف فيخرج من فوهة الأنبوب باتجاه الهدف .

هذا ويخرج الخردق من فوهة الأنبوب على شكل حزمة أسطوانية ثم تأخذ بالتباعد تدريجياً كلما ابتعدت عن فوهة السلاح .

والطريدة التي تقع في نطاق الحزمة تصاب بمدة حبات من الخردق، فإن كانت الطريدة ضمن المدى المناسب صرعت .
ويقدر هذا المدى بنحو سبعين ذراعاً تزيد أو تنقص حسب نوع السلاح وطبيعة الطريدة .

على أن إصابة الهدف تعتمد على صحة التسديد ، ويكون التسديد صحيحاً إذا وضَّح الرامي هدفه على خطٍ مستقيم يمر بنقاط ثلاث اشرنا إليها سابقاً هي : فريضة التسديد ، والشعيرة ، والطريدة .

آداب الصيد عند الصائدين المحدثين :

رأينا من قبل آداب الصيد عند العرب في القديم ، ونعرض الآن لأهم آداب الصيد عند الصائدين المحدثين .

وتتلخص هذه الآداب في ثلاث كلمات هي : حسن الصحبة ، وعدم الإضرار بالناس والأرض ، والرفق بالحيوان المطرود .
وفيما يلي شيء من التفصيل لهذا الذي أجزلناه :

١ - إذا اشترك صائدان في الصيد ، وانطلقت الطريدة أمامها غير منحرفة إلى جهة أيّ منهما كان لكل منهما الحق في أن يرميها ، أما إذا انجبت نحو أحدهما فقد أصبح له الحق برميها دون صاحبه .

٢ - إذا اشترك في الرمي على الطريدة صائدان أو أكثر وسقط الطائر فهو لمن رمى أولاً وإن رماه أحدهما فلم يصبه وكان سلاحه بندقية بطلقة واحدة أصبحت الطلقة الثانية من حق زميله أما إذا كان سلاحه جفتاً أو بندقية «اوتوماتيكية» فهو صاحب الحق بالطلقة الثانية ، وإن رماها زميله واسقطها فهي لمن رماها أولاً .

٣ - إذا انطلقت أمام صائدين عدّة طرائد كان لكلٍ منها الحق في رمي الطريدة التي تقع في جهته فقط .

٤ - يمتنع الصائدون عن الصيد في الأراضي المملوكة للآخرين إلا بإذن من أصحابها .

٥ - يمتنع الصائدون عن الرمي إذا كان أمامهم سياج أو نحوه لاحتمال أن يكون وراءه أشخاصٌ غير مرئيين ، كما لا يطلقون النار في الأماكن الآهلة بالسكان لما ينشأ عن ذلك مما لا يحمله عاقل .

٦ - يلتزم الصائدون في أثناء تجوالهم بحثاً عن الطرائد ألا يؤذوا شجراً ، أو يقطعوا ثمرأ ، أو يعمشوا بزرع ، وهي تقاليد معروفة عنهم لذلك يرحب بهم أصحاب الأراضي ويكرمونهم في كل مكان يمرُّون به .

٧ - وهم لا يرمون طائراً واقفاً أو حيواناً نائماً وإنما يشيرون الواقف ويوقظون النائم بحجر أو نحوه ثم يرمونه .

٨ - وهم لا يصيدون الطيور في أوقات بيضها وتفريخها ولا يطردون الوحوش في أثناء حملها ، كما لا يرمون حيواناً مصاباً ، أو طائراً مفرداً أو وحشاً لا يُستفاد من لحمه .

٩ - وهم لا ينعون أبناءهم من إشباع رغبتهم في إمساك السلاح الخالي من الذخيرة ، وينصحون بتدريب الفتيان على الرماية تحت إشراف أهلهم ، مبتدئين ببندقية الضغط ، ثم بالبندقية القوية (الفلوبر) وهكذا .

وهم في الوقت نفسه يحذرون من ترك الذخيرة بين أيدي الصغار أشد التحذير .

الفصل الثالث عشر

التعريفُ بأهمِّ كتب الصيد والبِيزرة

رأيت أن أختم الكتاب بعرض لأبرز مصادره أخذاً بالمتبع العلمي الحديث من جهة ، ورغبةً في إيقاف القارئ على أهم كتب التراث في الصيد والطرْد والبِيزرة من جهة أخرى .

ومصادر هذا الكتاب ضربان : ضربٌ لا يحتاج إلى تعريف لأنه ذائع متداول معروف كالحيوان للجاحظ ، وحياة الحيوان للدميري ، ونهاية الأرب للنويري ، وصبح الأعشى للقلقشندي ، وعجائب الخلوقات للقرزويني .

وضربٌ يحتاج إلى تعريف إما لقلة تداوله وندرة وجوده ، وإما لكونه ما زال مخطوطاً لم يظهر عليه أحد إلا خزنته ، وفيما يلي عرض لأهم كتب الضرب الثاني :

١ - المصايد والمطارد :

وهو كتاب أصدرته دار البيقظة في بغداد سنة أربع وخمسين وتسعمائة وألف في خمسين وثلاثمائة صحيفة .

حقيقه وعلقت عليه المرحوم الدكتور محمد أسعد طلس ، وقد عثر المحقق على مخطوطة الكتاب في إحدى مكاتب طهران عام ١٩٤٦ م .

والمخطوطة كما يصفها المحقق جد نفيسة مكتوبة على ورق عادي بقلم نسخي جيد مضبوط في الغالب ، وعدد أوراقها مئتان وثمانون ورقة (١) ، فرغَ ناسخها من كتابتها في يوم الثلاثاء الثالث من شوال سنة سبع عشرة وستائة للهجرة الطاهرة ، وقد نسخها عن نسخة أكلت الأرض كثيراً من حروفها (٢) .

وقاسي ناسخها كثيراً من الغناء في إصلاح نسخته ، على أنه ترك بعض المواضع خالياً من الكتابة . فجاء في النسخة بعض الخروم .

أما مؤلف الكتاب فهو الشاعر الكاتب الأديب أبو الفتح محمود بن محمد بن الحسين بن السندي بن شاهك المعروف بكشاجم المتوفى سنة ٣٥٨ هـ .

ونسبة الكتاب إلى كشاجم صحيحة فقد جاء في شذرات الذهب عند الحديث عن كشاجم أن « شعره أنيق وأرج مدوناته فتيق ، منها كتاب المصايد والمطارد » (٣) .

وقد أورد صاحب كشف الظنون كتاب المصايد والمطارد في ثبوت مؤلفات كشاجم (٤) . ولعل كتاب كشاجم هذا هو أجل وأقدم ما ألف في هذا الفن .

(١) المصايد والمطارد : ٤

(٢) المصايد والمطارد : ٤

(٣) شذرات الذهب : ٣٧/٣

(٤) المصايد والمطارد : ٤

والكتاب يشتمل على مقدمة المؤلف يتلوها فصل ضاف عن أحكام الصيد في الإسلام وتذكية الطريدة والتسمية عليها وحد تعليم الجارح وأقوال العلماء في صيد المُعْجَرِم وما إلى ذلك ، ثم فصلٌ عن طبائع الحيوان ووسائله في الدفاع عن نفسه .

ثم يتلو ذلك باب المكائد التي يُتَوَمَّلُ بها إلى الصيد والآلات المتخذة لذلك ، ثم باب الجوارح وهي عنده أربعة : البازي ، والشاهين ، والصقر ، والعقاب .

وهو يورد عقب الحديث عن كل جارح أجوداً ما قيل فيه من أراجيز ، ثم يتحدث عن إطعام الجوارح ، وحسن سياستها وعلامات صحتها ومرضها وأدوائها وعلاج كلِّ منها .
ثم يتلو ذلك بابُ « الكلب » .

وهو باب يتحدث فيه المؤلف عن خصائص الكلب ومنافعه وأمارات فراهته وألوانه وأذوائه .

ثم يسوق الحديث عن الحيوانات التي يصيدها الكلب وهي الأيثل والأرنب والثعلب وحمار الوحش وبقر الوحش، ويورد أجود ما قيل في هذه الحيوانات وصيدها من شعر .

ويعقد فصلاً لآلات الصيد من نشاب ونبل وقسيبيّ وسهام .

ويتحدث عن الأسد وصيده ومنافعه ويورد ما قيل فيه من شعر .

ثم يتحدث عن طائفة من الحيوانات المصيدة كالظبي والنمر والخنزير والسنور البري والنعام .

(١) حسن المحاضرة ، الطبعة الحجرية : ٢٥٧/١

(٢) شذوات الذهب لابن العماد : ٣٧/٣

ويتحدث عن (عناق الارض) وابن عرس ، ثم يعقد باباً لصيد البحر
وما قيل فيه من شعر وباباً آخرَ لاوقات الصيد المختارة .
كما يتحدث عن صيد الضب .

ويعقد باباً للصيد بالجُلَاهِقِ ويورد ما قيل فيه من شعر ثم يختم الكتاب
بباب الطير .

وتبدو أهمية الكتاب من ناحيتين اثنتين أولاهما ما اشتمل عليه من
معلومات في فن البيزرة 'تبيين' مدى ما وصل إليه المسلمون في القرن الرابع
في هذا الفن من دراسة طبائع الحيوان وسياسته وأمراضه وعلاجها .
وثانيها ما حفل به من مختار الشعر الذي قيل في الطرد ، غير أن المحقق
غفر الله له لم يول هذا الكتاب ما يستحقه من عناية فجاء بحرف الكلمات
مشوهة الابيات محشواً بالخطأ حتى إن القارئ البصير ليمجز أشد العجز عن
قراءة قصيدة كاملة مما ورد فيه قراءة صحيحة .

والكتاب على أي حال يعد ديواناً لشعر الطرد في العصر العباسي جمع
فيه مؤلفه خير ما قاله هو في هذا الباب وأجود ما اختاره من شعر أبي نواس
والرقاشي وابن أبي كريمة وابن الممذل وابن المعتز والناشيء وغيرهم من فحول
شعراء الطرد .

وهو سفر جليل حري* بأن يعاد تحقيقه بعد أن وُجِدَت منه نسخ
أخرى غير التي وقف عليها الدكتور أسعد طلس لأنه يحتوي على مجموعة طيبة
من شعر طائفة من الشعراء الذين لا دواوين لهم . ولأنه يعد نواة مصفحة
لديوان شعر الطرد .

٢ - البيزرة :

وهو كتاب نشره المجمع العلمي العربي في دمشق سنة ثلاث وخمسين

وتسمائة وألف ، وذلك قبل صدور كتاب المصايد والمطارد في بغداد بسنة واحدة .

وهو يقع في مائتين وثلاث عشرة صحيفة ، وقد حققه وعلق عليه المغفور له الاستاذ محمد كرد علي رئيس الجمع العلمي العربي بدمشق .

أما مؤلف البيزرة فنترك للمغفور له الاستاذ محمد كرد علي الحديث عنه قال في مقدمة الكتاب : « لم نعرف اسم صاحب هذا الكتاب لان 'سراق' الكتب في العادة ينتزعون الصحيفة الاولى من الكتب المسروقة ويستحلون ذلك خاصة في كتب الوقف .

وقد ظهر من صفحات ألحققت في آخر الكتاب أن المؤلف كان بازيار العزيز بالله نزار الفاطمي المتوفى سنة ست وثمانين وثلاثمائة وكان الخليفة الفاطمي هذا مفرماً بالصيد ... حتى يصح أن يسمى الخليفة الصياد وهو الذي ربى المؤلف منذ كان له من العمر إحدى عشرة سنة وأخرجه في صناعته وغذاه بنعمته وعلمه (١) .

وقد كتب المؤلف مؤلفه في مصر ، وهو مصري عاش في ظل ملك مصري وربى في نعمته حتى أثرى وفاق أقرانه (٢) ... ويرى بعض أصدقائنا من العراقيين كالاستاذ عباس الغزالي أن المؤلف ربما كان أبا عبدالله الحسن بن الحسين البازيار الذي وُزِرَ للخليفة الفاطمي سنة ونصف السنة هـ (٣) .

وترجح لدى بعض الدارسين أن مؤلف كتاب البيزرة هو كشاجم نفسه ، وأن كتاب البيزرة هذا لا يبعد أن يكون أصلاً لكتاب المصايد والمطارد ثم شاء المؤلف أن يوسعه ويزيد فيه فوضع كتاب المصايد والمطارد .

(١) مقدمة البيزرة : ٦

(٢) مقدمة البيزرة : ٨

(٣) مقدمة البيزرة : ٨

والذي جعلهم يذهبون هذا المذهب الامور التالية :

١ - يورد المؤلف أبياتاً لشاعر يصف فيها مشهداً من شاهد الطبيعة اجتمعت فيه مصايد البر والبحر ثم يردف قائلاً ولي في نحو هذا المعنى، وكنا نخرج للصيد بمصر في موضع يعرف بدير القصير على ذروة جبل المقطم مطل على النيل فهو سهلي جبلي بحري :

سلام^١ على دير القصير وسفحه فجنات حلوان إلى النخلات

والخبر موجود في كتاب المصايد والمطارد بنصه^(١) والابيات مثبتة في ديوان كشاجم^(٢)، وفي غيره من المصادر كمعجم البلدان^(٣)، ومن غير المعقول أن ينتحل المؤلف شعراً لغيره وأن يسرق قصيدة لشاعر معروف معاصراً له؛ إذ أن المدة بين تأليف الكتابين لا تزيد على ثلاثين إلى أربعين سنة كما يقرر الاستاذ كرد علي .

٢ - أن أبواباً برمتها وفصولاً بتمامها قد تطابقت في الكتابين لفظاً ومعنى وذلك كباب الكلاب وباب الظباء وباب من كان مشتهراً بالصيد من الاشراف .

٣ - أن كلا من الكتابين حفل بطائفة كبيرة من المختارات الشعرية في الطرد ووصف الحيوان مع أن المبحث مبحث علمي طبي لا مجال فيه للشعر والادب، ومع أن كتب البيزرة الاخرى قد اقتضرت في الغالب على النواحي العلمية المتصلة بحياة الجوارح وطباعها وخصائصها وتربيتها وحسن سياستها وأدائها وعلاجها وما إلى ذلك مما يتصل بالحيوانات المصيدة .

٤ - ثم إن^٣ جل المختارات الشعرية التي وردت في المصايد والمطارد وردت في البيزرة .

(١) المصايد والمطارد : ٦

(٢) ديوان كشاجم

(٣) معجم البلدان

هـ - يضاف إلى ذلك أن جميع كتب البيزرة المتداولة من مخطوطات ومطبوعات تنقل عن المصايد والمطارد بينما لم ينقل عن كتاب البيزرة ناقلاً ولم يُشير إليه مؤلف .

ونحن مع تسليمنا بجميع ما أورده أصحاب هذا الرأي من حجج لا نميل إلى القول بأن مؤلف كتاب البيزرة هو كشاجم ، وذلك للفرق الواضح بين عبارتي الكتابين حين لا تتطابق الفصول والمباحث .

وللاختلاف الظاهر في تقسيمات الجوارح وتقويمها وتفضيل بعضها على بعض في كلٍّ من الكتابين .

وللتباين الجلي في تشخيص أمراض الجوارح ووسائل علاجها . ولو كان المؤلف واحداً ما وقع شيء من ذلك ، وكلُّ ما في الامر هو أن أحد النساخ أو طلاب المعرفة بهذا الفن أخذ فصولاً وفقرات من كتاب كشاجم وأضافها إلى نسخته المدعوة بالبيزرة فوقع هذا الاشتباه . وهذا ما جملنا نظمنا إلى أن كتاب البيزرة الذي نشره المجمع العلمي العربي في دمشق وعلق عليه الاستاذ محمد كرد علي في أخريات حياته إنما هو لمؤلف آخر غير كشاجم .

والكتاب يشمل على مقدمة للمؤلف ، وسبعة أبواب لكلٍّ من الباشق ، والبازي ، والصقر ، والشاهين ، والسقائوات ، والعقبان ، والزمامجة .

تحدث فيها عن ألوان هذه الجوارح وأوزانها وطريقة تضريرتها وعلامات فرائدها وما يعتريها من أمراض وعلاجها ، ثم انتقل إلى الضواري فخصَّ الفهد بباب تحدث فيه عن طريقة اقتناصه وكيفية تضريره والصيد به وما يستحسن منه وما كانت تبذل الملوك من نفوسها لمباشرة الصيد به .

ثم عقد بعد ذلك باباً خاصاً بالطباء أتى فيه على أوصافها ومواضعها وأسنانها وصيدها ومنافعها وما قيل في ذلك من الشعر .

وأُتبع هذا الباب بباب خاصّ بالكلاب تحدث فيه عن كلاب سلوق وخصائصها وصيدها وما قيل في ذلك من الشعر، ثم عَقَّبَ على ذلك بفصول تتعلق بهرم الكلب وفتائه وأمارات فراسته وأدوائه وعلاجها وصيده .

ثم أورد بعد ذلك ما قيل في الجوارح من شعر مُستحسن ثم ختم الكتاب بباين أحدهما في صيد طير المساء في ضوء القمر ، وثانيهما في شدّ الجوارح على الكنادر .

والكتاب على الجملة خير من المصايد والمطارذ تحقيقاً وطباعةً وإخراجاً وإن كان لم يبلغ الغاية ؛ فقد حققه المفقور له كرد علي في أخريات حياته الحافلة بالمآثر العملية واستعان ببعض أعوانه على شرح الغامض من ألفاظه ولم يخرج الكتاب إلى النور إلا بعد أن غيب الثرى محققه ، فسحّ الله له في جناته .

٣ - الصيد والطرد عند العرب :

وهو كتاب أصدرته دار النشر للجامعيين سنة إحدى وستين وتسمائة وألف أي بعد صدور المصايد والمطارذ بسبع سنوات . وهو يقع في مائة وخمس عشرة صحيفة . حققه وشرحه وقدم له وزينه بالصور الدكتور ممدوح حقي .

وقد وقع المحقق على مخطوطة الكتاب في إحدى مكتبات المغرب الخاصة ثم وقف على نسخة ثانية من الكتاب في مكتبة الاوقاف في ليبيا موسومة برقم ثمانمائة وأربعة وتسعين وهي من بقايا المكتبة السنوسية المشهورة في الجغبوب والكفرة .

وتأكد لديه بمضاهاة خطي النسختين أن الثانية منقولة عن الاولى وأنها جاءت مع الطلاب المغاربة إلى ليبيا كما جاء كثير من الكتب التي هُرِّبَتْ بعد نكبة الأندلس إلى الشمال الافريقي وهي مكتوبة بخط مغربي نصف مقروء تنقصها الورقة الاولى وعدد من الاوراق في آخرها ، ولم يكتب عليها اسم المؤلف، ويبدو للمحقق بمضاهاة هذه المخطوطة مع غيرها من المخطوطات

الاثرية أنها كتبت حوالي القرن التاسع أو العاشر ، وَوَسَمَّهَا الْمُؤَلَّف بِاسْمِ
شِعْرِي طَرِيفٌ مَطْوَلٌ عَلَى عَادَةِ الْمُؤَلَّفِينَ فِي الْعَصْرِ الْمَتَأَخَّرَةِ فَسَاهَا « نَزْهَةٌ
الْمَلُوكِ وَالسَّادَاتِ بِالطَّيُورِ وَالْجَوَارِحِ وَالْجِيَادِ الصَّافِنَاتِ » وَنَسَّقَهَا تَنْسِيقًا حَسَنًا
فِي أَبْوَابٍ وَفُصُولٍ ، وَرَجَعَ كُلُّ مَوْضُوعٍ إِلَى قَائِلِهِ وَكُلُّ فِكْرَةٍ إِلَى صَاحِبِهَا ،
وَتَخَلَّصَ مِنَ الْأَسْلُوبِ الْكَشَاجِمِيِّ فِي الْأَسْتِشْهَادِ بِالشَّعْرِ بِمُنَاسَبَةٍ وَغَيْرِ مُنَاسَبَةٍ
مَعَ إِقْرَارِهِ لَهُ بِالسَّبْقِ ؛ فَجَاءَ كِتَابُهُ حَسَنَةً مِّنْ حَسَنَاتِ الْعِلْمِ فِي الْقُرُونِ
الْمَتَأَخَّرَةِ . وَإِذَا تَجَاوَزْنَا مَقْدَمَةَ الْكِتَابِ الَّتِي التَّزَمَ فِيهَا الْمُؤَلَّفُ السَّجْعَ إِلَى مَتْنِهِ
طَالَعْنَا أَسْلُوبًا سَمِيحًا وَتَعْبِيرًا وَاضِحًا مُشْرِقًا مِمَّا يَسْتَرُّ الْكِتَابَ لِلْقُرَاءَةِ .

والكتاب يمتاز عن المصايد والمطارد والبيزرة بحسن العرض والإيجاز
والوضوح والإفادة من التقدم العلمي الذي أصابه فنُّ البيزرة خلال القرون
التي انقضت بين تأليفه وتأليف كلِّ من المصايد والبيزرة .

ولقد بذل المحقق جهده للعثور على نسخة أخرى من هذه المخطوطة
ليتعرف وجه مؤلفها ويتأكد من عصره ومكانه ، واستعان بكلِّ قَيْمٍ نَحْرِي
على المكتبات الكبرى في العالم عامة واستعان في العراق خاصة بعالمين كبيرين
في الموصل هما الدكتور داود الجليبي وسعيد الديوجي وبكور كيس عواد قيم
مكتبة بغداد ، وهم أشهر من توسم وجوه المخطوطات ، وبسوى هؤلاء من
المشهورين والمغمورين فلم يجد لهذه النسخة الفريدة صنوًا .

ولما ينس من ذلك وخشي أن تضيع النسخة التي بين يديه ، كما ضاع
كثير غيرها من آثارنا الثمينة ، عزم على تحقيقها وطباعتها ، وأعد لها من
الصور الموضحة ما وصلت إليه يسهه وأوجز عنوان الكتاب المطول فأسماء
« الصيد والطرود عند العرب » .

وقد أفاد المحقق كثيراً من كتاب المصايد والمطارد في تحقيق مخطوطته
وشرحها والتعليق عليها .

والكتاب يشتمل بعد المقدمة على ثلاثة مطالب .

المطلب الاول في قوله عزّ من قائل «وما علّمتم من الجوارح مكلّين» .
والمطلب الثاني في الجوارح وهي من الطير أربعة : العقاب ، والبازي ،
والصقر ، والشاهين .

ومن الضواري : الفهد ، والكلب ، والنمر ، وغناق الارض .
وقد تحدث في هذا المطلب عن كلّ من هذه الجوارح من حيث أنواعه ،
وأوانه ، وصفاته ، وفراسته ، وأدواؤه ، وعلاجها .

أما المطلب الثالث : فهو في الخيل والمشهور منها عند العرب وصفاتها
المحمودة ، وأحسن أوصافها ، وشرّفها ، وطبائعها ، وأول من ركبها ،
وخيل السبق ، وعمد خيل الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام .

٤ - الاعتبار :

وهو كتاب أصدرته مطبعة جامعة برنستون في الولايات المتحدة الامريكية
عام ثلاثين وتسعمائة وألف . وهو يقع في مائتين وأربعين صحيفة . وقد حققه
الاستاذ فيليب حثتي .

ومخطوطة كتاب الاعتبار هذا واحدة لا ثانية لها على ما وصل إليه
الحقق ، وهي محفوظة في مكتبة الإسكوريال باسبانيا وتقع في سبع وستين
ورقة غير أنها مخرومة الاول حيث ضاع منها إحدى وعشرون ورقة .

والمخطوطة مكتوبة بالحبر الاسود بالخط الشامي الذي يرتقي إلى القرن
الثالث عشر الميلادي ومن هنا تعد من أقدم المخطوطات العربية .

وقد تم نشر هذه المخطوطة على يد الاستاذ هارتوغ دربنورغ في مطبعة
ليدن عام ١٨٨٤ ، ثم أعاد الاستاذ فيليب حثتي نشرها .

والحقق يعترف بأن الاستاذ دربنورغ جاهد قبله جهاد العلماء الأبطال
في حل ألغاز المخطوطة العربية المشوّمة بالأخطاء وكشف معيبتها ، وأنه
مدّين له بالشيء الكثير من حيث قراءة الأصل وفهم المراد منه .

وكتاب الاعتبار هذا مُرجم إلى الفرنسية والالمانية .

أما مؤلف الكتاب فهو مؤيد الدولة أبو مظفر أسامة بن منقذ ، عاش فارساً شهماً ، وزها مجاهداً مقاتلاً ، ولمع أديباً وشاعراً ، وتلهى صائداً وقضى الكثير من سني حياته جوّاباً ، وصرف معظم شبابه في بلاط نورالدين زنكي بدمشق ، وفي قصر الخليفة الفاطمي بالقاهرة - ثم آل إلى بلاط صديقه صلاح الدين في دمشق ، فقضى فيه أواخر حياته ينعم بكريم شمائله ويسعد بعطفه ووداده .

عاشر فرسان الفرنجة في أيام السلم ، وقاتلهم أشد القتال في ساحات الحرب ، جاهد الإسماعيلية ، وصارع الوحوش وقاتل الأسود ، ثم دَوّن في أخريات حياته أروع تجاربه في مذكرات شخصية رائعة شائقة عزّ نظيرها في الآداب العربية من حيث الأمانة في النقل والصدق في الرواية والدقة في الملاحظة .

وقد ولد المؤلف في قلعة شيزر ، وقلعة شيزر هذه تقع على أكمة صخرية منتصبة على ضفة نهر العاصي الغربية على بعد عشرة أميال إلى الشمال من حماة ، يكللها حصن لم يزل قائماً إلى اليوم معروفٌ باسم « سيجر » وهو تحريف لكلمة « شيزر » التي وردت في بيت امرئ القيس حيث يقول :

تقطع أسباب اللبانة والهوى عشية رحنا من حماة وشيزرا

وفي بيت آخر لعبيد الله بن قيس الرقيات ، حيث يقول :

فوَاحَزنَا إذ فارقونا وجاوروا سوى قومهم أعلى حماة وشيزرا

في هذه القلعة ، وفي سنة ثمان وثمانين وأربعمائة ، وُلد لأمرائها بني منقذ مولود هو أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ مؤلف كتاب الاعتبار . وتوفي سنة أربع وثمانين وخمسمائة (١)

(١) الأعلام : ٢٨٢/١

والكتاب يشتمل على ثلاثة أبواب ، الأول والثاني منها يرويان حروب
أسامة وأسفاره وطرائفه وأخباره .

أما الثالث فيتحدث فيه عن الصيد في سورية والجزيرة العربية ويروي
أخبار صيده وصيد والده .

ويصف ما لدى أسرته من أفتره الجوارح وُحذَقِ البيازرة ، وهو باب
قيّمٌ يقع في قرابة أربعين صحيفة يروي تجارب شخصية تنسم بالواقعية
والصدق .

٥ - الجمهرة في علوم البيزرة :

وهي مخطوطة محفوظة في مكتبة أيا صوفيا في القسطنطينية رقمها ثلاثة
عشر وثمانمائة وثلاثة آلاف ، وعدة ورقاتها سبع ومائتا ورقة ، في كل
ورقة صفحتان ، وفي كل صفحة سبعة وعشرون سطراً ، وفي كل سطر
خمس وعشرون كلمة تقريباً .

وقد كتبت المخطوطة بخط نسخي جلي جيد وُضِبِطت بالشكل ضبط
لا يخلو أحياناً من خطأ .

وهي خالية من الخروم محفوظة من فتك الأرض مما يُيسّر قراءتها ويُعين
على تحقيقها والإفادة منها .

نسخ المخطوطة (العبد الفقير إلى رحمة الله العظيم « القليسي بن علي بن
عمران » غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين) (١) .

وكان الفراغ من نسخها في شهر جمادى الأولى سنة اثنتين وسبعين وخمسةائة
بعد أن قوبلت على نسخة أخرى .

(١) الجمهرة في علوم البيزرة : ٢٠٧

أما مؤلف الكتاب فهو « الشيخ الاجل الاوحد العالم عيسى بن حسان
الأسدي » (١) .

وقد رجعت إلى كتب التراجم ومعجمات المؤلفين والمؤلفات واستعنت
بذوي الخبرة لأعرف شيئاً عن المؤلف فلم أفلح .

ثم وقع في يدي كتاب أنس الملا في وحش الفلا لمحمد بن منكلي من أهل
النصف الاول من القرن الثامن الهجري ، وهو مطبوع في باريس سنة ثمانين
وثمانمائة وألف ، وفي دار الكتب في القاهرة نسخة منه موجودة في المكتبة
التيمورية تحت رقم ثمان وستين «فروسية» ، فألفت صاحب أنس الملا يكثر
من النقل عن صاحب الجهرة كثرة تلفت النظر ، ويخلع عليه أجلّ النعوت
من مثل قوله : « قال عيسى الأسدي ، وكان عالماً بأمور الصيد لم يكن
مثله » (٢) وما شاكل ذلك مما يدل على مكانة الاسدي في عالم الصيد والبيزرة ،
ومنزلة في نفس المنكلي ، فعزمت على أن أتتبع الكتاب كله لعلي أجد فيه
ما يزيدني معرفة بالأسدي ، فما لبثت أن وقمت على بغيقي وذلك عند حديث
المنكلي عن الفهود حيث قال : « وأما الإقليم الذي ينعدم فيه هذا الجنس
فهو الإقليم الشمالي مما يلي بلاد المعجم إلى بلاد الترك فالكرج ، ذكر ذلك
الاستاذ أبو الروح عيسى الأسدي وكان عالماً بأمور الصيد مُتَبَصِّراً - رحمه
الله - وكان في زمن الأيوبية في سني شيء وخمسمائة رأيت ذلك مؤرخاً » (٣) .
وعلى هذا فمؤلف الجهرة في علوم البيزرة هو «عيسى بن حسان الاسدي»
وكنيته أبو الروح ، وعصره القرن السادس الهجري .

وقد جعل المؤلف كتابه في جزأين عددُ ورقات الاول ثلاثٌ وعشرون
ومائة ورقة ، أما الثاني فأربع وثمانون ورقة ، وقد افتتح كتابه بحمد الله

(١) الورقة : ١٢٣

(٢) أنس الملا : ٢٠ و ٨١ و ٨٦ و ١٢٦ و ١٣٣ و ١٤٣

(٣) أنس الملا : ٦٥

والثناء عليه ثم أتبع ذلك بالحض على التعلم ، ثم أورد آيات حل الصيد وعلق عليها بقوله «وأعلم أيّدك الله أن الله تعالى أحل لحلقه صيد البر والبحر وأنه لن يناله الراغب فيه إلا بشقّ النفس لأن من الحيوانات ما يصاد بالشباك ومنها ما يطرح بالسهم ومنها ما يصاد بالدفائن في الأرض ، ومنها ما يصاد بالضواري كالفهود والكلاب وسباع الطير ، ومنها ما يصاد بالبندق .. وقد جمعت في هذا الكتاب من كل فن ما يرضي أرباب المصايد والمطارذ مما يحتاج إليه المبتدي ولا يستغني عنه المنتهي ونظرت إلى 'جل' من يرغب في الصيد فوجدت أكثرهم يعمل بغير علم فأفردت لكل أمر ما ينبغي أن يكون له من الآلة والعدة وما يُفتمل فيه ، ولم أغادر أمراً إلا ذكرته ولم أترك أحداً ممن لها بالصيد إلا أوردت خبره ، فمن كان منهم على الصواب أجرته على ما هو فيه ، ومن كان على خطأ أريته ما يقتدي به وأوضحت له السبيل^(١).

ولم يكن الأسدي مُتزيّداً حين أدعى لكتابه ما ادعاه له من السعة والشمول ، فهو في الواقع لم يغادر صغيرة ولا كبيرة من أمور الصيد إلا تناوّلها بالبحث وأفاض فيها إفاضة العالم المتبحر ، ولم يترك شيئاً يتعلق بالحيوان الصائد أو المصيد إلا وفّاه القول وبلغ فيه الغاية .

وقد تناول في الجزء الأول آلات الصيد وأدواته وطرقه وأساليبه وجوارحه وضواريه فتحدث عن طرق اقتناصها وكيفية تأنيبها وتعليمها وتضربتها وآداب معاملتها ومظاهر نجابتها وعلامات عتقها وألوانها وأوزانها وأماكن وجودها ومن أولع بها وما إلى ذلك حتى بلغت عدة أبواب هذا الجزء مائة وستة وأربعين باباً^(٢) .

أما الجزء الثاني فخصه المؤلف لطب الجوارح والضواري ، وتحدث فيه

(١) الورقة : ٣

(٢) الورقة : ٥

عن أمارات صحتها وعلامات مرضها ، وأنواع عللها ، وما يصيب كل حيوان من الأدوية وما يصلح له من الدواء .

والمؤلف واقف على فن البيزرة عند الفرس والروم ، مطلع على ما كتبه كشاجم في كتاب « المصايد والمطارد » ؛ فهو في أكثر أبواب الجزء الثاني من كتابه يورد المبحث على الوجه الذي يراه ، ثم يتبعه بقوله : « باب ما قالت الفرس بذلك » ثم يتبعه بباب « ما قالت الحكماء في ذلك » ثم يتبعه بباب « ما قاله كشاجم في ذلك » فكأنه يعرض الموضوع أربع مرات واحدة من عنده وثلاثاً من عند الفرس والروم وكشاجم . وهو كثيراً ما يناقش هؤلاء وهؤلاء فيما قالوه ، ثم يرفض ما ذهبوا إليه أو يقبله .

ومنهج الأسدي في كتابه قائم على التجريب والحس فهو يقول : « وكل ، ما لا يشاهد بالعين لا يجوز أن يؤخذ بالقبول ^(١) ، وهو يكثر من إيراد الشعر في كتابه حتى لا تكاد تخلو ورقة من قصيدة أو أرجوزة ، وهو شديد الحفاوة بأبي الطيب وأبي فراس كثير الرواية لشعر امرئ القيس والشماخ ورؤبة وأبي نواس والناشئ وابن المعتز وغيرهم ممن ذكر أسماءهم أو لم يذكرها . والكتاب جدير بأن يحظى بعناية الأدباء وأطباء الحيوان وعلمائه ، حريء بأن يتوفر أحد الباحثين على تحقيقه وإخراجه للناس .

(١) أنس الملا : ٨٦

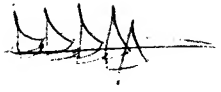


محتويات الكتاب

<u>الصفحة</u>	<u>الموضوع</u>
٥	المقدمة
	الفصل الأول : الصيد عند الأمم التي اتصلت بالعرب من قوس وروم
١١	الصيد عند الفرس
١٩	الصيد عند الروم
	الفصل الثاني : الصيد عند العرب في الجاهلية والاسلام
٢٣	أ - الصيد في الجاهلية
٢٨	ب - الصيد في صدر الإسلام
٣١	ج - الصيد في عصر بني أمية
٣٨	د - الصيد في عصر بني العباس
٥٩	الفصل الثالث : حاجة الصائد الى المعرفة بالحيوان وطبائعه
٦٥	الفصل الرابع : معرفة العرب بالحيوان والبيزرة

٧٧	الفصل الخامس : الصيد بغير الحيوان
٧٨	١ - الصيد بالقوس
٨٢	٢ - الصيد بالرمح
٨٥	٣ - الصيد بالجلاهق أو قوس البندق
٨٧	٤ - الصيد بالأوماق
٨٧	٥ - الصيد بالشبكة
٨٨	٦ - الصيد بالفخ
٨٨	٧ - الصيد بقصب الدبق
٨٩	٨ - الصيد باللباد
٩٠	٩ - الصيد بالتطريب
٩٠	١٠ - الصيد بالنار
٩٠	١١ - الصيد بالحفائر
٩١	١٢ - الصيد بالحيلة
٩٣	الفصل السادس : الجوارح (سياستها والصيد بها)
٩٧	أولاً - الجوارح
٩٨	١ - البازي
١٠٤	تعليم البازي وتضريته على الصيد
١٠٨	قرنصة البازي
١١١	آداب معاملة البازي
١١٣	أنواع البزاة
١١٣	(أ) الباشق
١١٥	(ب) الزرق

١١٦	(ج) البيدق
١١٧	(د) القيمي
١١٧	٢ - الشاهين
١٢٣	٣ - الصقر
١٣٢	٤ - العقاب
١٤٣	الفصل السابع : الضواري (سياستها والصيد بها)
١٤٥	١ - الكلب
١٦٠	٢ - الفهد
١٧١	٣ - عناق الأرض
	الفصل الثامن : أمراض الجوارح والضواري وعلاجها
١٧٣	أ - أمراض الجوارح
١٧٧	أمراض العين وعلاجها
١٧٨	أمراض جهاز التنفس وعلاجها
١٨٠	أمراض جهاز الهضم وعلاجها
١٨٣	أمراض الرجلين وعلاجها
١٨٥	أمراض المنسر وعلاجها
١٨٦	أمراض الريش وعلاجها
١٨٧	أمراض الحر والبرد وعلاجها
١٨٨	ب - أمراض الضواري
	الفصل التاسع : المصيدات من الوحوش
١٩١	١ - الحمار الوحشي
١٩٧	٢ - البقر الوحشي



الصفحة

الموضوع

٢٠٣	٣ - الأيل واليحمور
٢٠٧	٤ - الطيبي
٢١٤	٥ - الأرنب
	الفصل العاشر : المصيدات من الطير
٢١٩	١ - النعام
٢٢٥	٢ - الكركي
٢٢٧	٣ - الإوز
٢٢٨	٤ - الجبارى
٢٣٠	٥ - القطا
٢٣٣	الفصل الحادي عشر : آداب الصيد عند العرب (قبل الاسلام وبعده)
٢٤١	الفصل الثاني عشر : الصيد في العصر الحديث
٢٤٢	طرق صيد الوحوش
٢٤٦	عتاد الصائد
٢٤٧	بعض التوجيهات للصائدين
٢٥٠	أدوات الصيد في العصر الحديث
٢٥٥	آداب الصيد عند الصائدين المحدثين
٢٥٧	الفصل الثالث عشر : التعريف بأهم كتب الصيد والبيزرة
٢٥٨	١ - المصايد والمطارد
٢٦٠	٢ - البيزرة
٢٦٤	٣ - الصيد والطرود عند العرب
٢٦٦	٤ - الاعتبار
٢٦٨	٥ - الجمهرة في علوم البيزرة